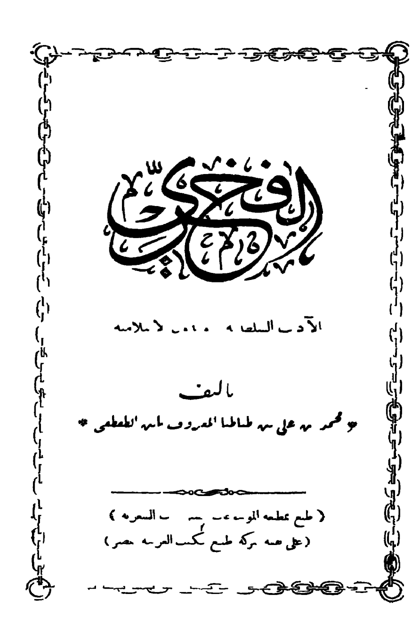






الفخري

في الآداب السلطانية والدول الإسلامية

تأليف

* محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى *

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الشعرية)
(على نفقة شركة طبع الكتب العربية بمصر)



فهرست

کتاب [illegible]

صفحه

٣ مقدمه

١ [illegible]

٦٥ [illegible]

٦٥ [illegible]

٦٧ [illegible]

٦٧ [illegible]

٦٨ [illegible]

٧ [illegible]

٧٣ [illegible]

٨ [illegible]

٨٥ [illegible]

٨٧ [illegible]

٨٨ [illegible]

٩ [illegible] المؤمنين علی [illegible]

٩٣ [illegible]

٩٧ [illegible]

٩٩ [illegible]

صحيفة

١ ٣ يزيد بن معاويه
١٠٣ مقتل الحسين رضي الله عنه
١ ٦ سـح كعبه وهدمه الحرم
١ ٧ غزو الكعبه
١٠٧ معاويه بن يزيد بن معاويه
١٠٧ مروان بن الحكم
٩ ١ أخذ الشيعه ثار الحسين
١١٠ عبد الملك بن مروان
١١٤ الوليد بن عبد الملك بن مروان
١١٥ سليمان بن عبد الملك بن مروان
١١٥ عمر بن عبد العزيز بن مروان
١١٧ يزيد بن عبد الملك
١١٧ هشام بن عبد الملك
١١٩ الوليد بن يزيد بن عبد الملك
١٢ يزيد بن الوليد بن عبد الملك
١٢١ ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك
١٢١ مروان بن محمد بن مروان
١٢٢ خروج عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب
١٢٣ ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني ونسبه
١٢٦ شرح ابتداء الدوله العباسيه

صحيفة

١٣٠ شرح كيفية الوقعة بالزاب وخذلان مروان وانهزامه
١٣١ شرح مقتل مروان الحمار
١٣٢ * الدولة العباسية *
١٣٣ * أبو العباس بن عبد الله بن محمد السفاح *
١٣٥ شرح حال الوزارة في أيامه
١٣٩ ذكر وزارة خالد بن برمك وشيء من سيرته
١٤١ * خلافة أبي جعفر المنصور *
١٤٣ شرح كيفية الحال في بناء بغداد
١٤٨ ذكر خروج النفس الزكية
١٤٩ ذكر خروج أخيه ابراهيم
١٥٠ قتل أبي مسلم الخراساني
١٥٦ شرح حال الوزارة في أيام المنصور
١٥٦ وزارة أبي أيوب المورياني
١٥٧ ذكر القبض على أبي أيوب سليمان المورياني
١٥٨ وزارة الربيع بن يونس
١٦٠ * خلافة محمد المهدي بن المنصور *
١٦١ ظهور المقنع بخراسان
١٦٣ شرح الوزارة في أيامه
١٦٣ وزارة ابي عبد الله معاوية بن يسار
١٦٦ وزارة ابي عبد الله يعقوب بن داود

صحيفه

١٦٩ ره المنص ن ى صاح
١٧ (خلافه موسى الهادى)
١٧٤ ح حا ـ ه ى ناه١
١٧ ـ ره ر هيم ـ دكون حر ن
١٧ خلافه ها ون سند
١٧٦ سـ ح كه ـه حا ى حروح حى ـ ـد لله ـ حسن ن لـ
ـ على ن ى صاب
١٧٣ ح لآ ه ـ ر ـ ن ـه حى ن ـد لله
١٧٧ مل مو ى ن حعفر
١٧٨ ح حا ـ ره ى اه١
١٧٨ ح حو ـ لا له الا مكه ود كر ـ د ها و ااا
١٧٩ دكر و ره حى ن حال بارسـد
١١٢ ـ ه ـ لا اسال ـ حى ( )
١٨٦ سـ ه حعفر ن حى الله مكى
١٩ ح لسب ـ كه اله مكه وك ه حا ى داب
١٩١ ح مه ل حعفر ـ حى ـ المنص على هله
١٩٢ ـ ره ى العاس الفصل ن ر ع
١٩٣ (خلافه لامين محمد ن ر ـده)
١٩ سـ ح الفه ه ن لا ـ المامون
١٩٧ خلافه ـد لله المأمون

صحيفة

٢٠١ شرح حال الوزارة فى أيامه
٢٠٢ وزارة ذى الرئاستين الفضل بن سهل
٢٠٣ وزارة الحسن بن سهل
٢٠٥ وزارة خالد بن أبى أحمد الاحول
٢٠٦ وزارة احمد بن يوسف بن القسم
٢٠٧ وزارة بن عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازى
٢٠٨ وزارة أبى عبد الله محمد بن يزداد بن سويد
٢٠٩ (خلافة المعتصم أبو اسحاق محمد)
٢٠٩ فتح عمورية
٢١١ شرح انتساب فى بناء سامرا
٢١٢ شرح حال الوزارة فى أيامه
٢١٢ وزارة أحمد بن عمار بن شادى
٢١٣ وزارة محمد بن عبد الملك الزيات
٢١٥ (خلافة هارون الواثق بن المعتصم)
٢١٥ (خلافة جعفر المتوكل بن المعتصم)
٢١٦ شرح حال الوزارة فى أيامه
٢١٦ وزارة أبى جعفر محمد بن الفضل الجرجرائى
٢١٦ وزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان
٢١٧ (خلافة المنتصر بن المتوكل)
٢١٧ وزارة أحمد بن الخصيب الجرجرائى

صحيفه

٢٠٨ (حلافه ا مه حمد س حمد ب ا معتصم)

٢٢ ره ى صاحـ محمد س د د

٢٢ (حلافه لمه بالله ب لمتوكل)

٢٢ ره لا كان مه

٢٢ و ه ى و ى عا ى ب رحاب ه

٢٢٢ و ه ب حعر حمد س ب لا رى

٢٢٢ (حا ه ا ىدى بالله محمد ب ه ب)

٢٢٣ ه ان ب وهب ب د هدى

٢٢٦ (حـ ه ا د على له حمد ب ا وكل)

٢٢٧ حـ ب ب ح وسه و ب ه ه

٢٢٨ ى د له س يحى ب حاال د

٢٢٨ ه حـ ب ب حـ

٢٢٩ و ه ى ع ا ب ب ل

٢٣ ه حمد ب ح ب د ى

٢٣ و ه د الله س سليمان ب هب

٢٣ (حا ه لمه عبد الله)

٢٣٢ و ه لمسمى ب د الله ب ا ان ب وهب

٢٣٣ (حلافه ا كمى بالله ب لمه عبد)

٢٣٣ و ه ان ب حسن

٢٣ (حلافه لمعد بالله س لمعتصد)

صحيفة

٢٣٤ قتل حسين بن منصور الحلاج
٢٣٦ شرح حال الدولة العلوية و [illegible]
٢٣٩ وزارة ابن الفرات الثالثة
٢٤٠ وزارة الخاقاني
٢٤١ وزارة علي بن عيسى
٢٤٢ وزارة حامد بن العباس
٢٤٣ وزارة أبي العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن خصيب
٢٤٤ وزارة أبي عبد الله محمد بن علي بن مقلة
٢٤٧ وزارة أبي القسم سليمان بن الحسن بن مخلد
٢٤٧ وزارة أبي القسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني
٢٤٧ وزارة الحسين بن القسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب
٢٤٩ وزارة أبي الفضل جعفر بن الفرات
٢٤٩ (خلافة القاهر بن المعتضد)
٢٥٠ شرح حال دولة آل بويه و [illegible]
٢٥٢ (خلافة الراضي بالله بن المقتدر)
٢٥٣ شرح حال الوزارة في أيامه
٢٥٣ وزارة عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح
٢٥٤ وزارة أبي جعفر محمد بن القسم الكرخي
٢٥٤ وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد
٢٥٥ وزارة أبي الفتح بن جعفر بن الفرات

صحيفة

٢٥٦ (خلافه المتقي لله أبي اسحاق بن ابراهيم بن المقتدر)
٢٥٦ وزاره أبي عبد الله اليزيدي
٢٥٧ وزاره أبي اسحاق محمد بن ابراهيم الاسكافي
٢٥٧ وزاره أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني
٢٥٨ (خلافة المستكفي بن المكتفي بن المعتضد)
٢٥٩ شرح حال الوزاره في أيامه
٢٥٩ (خلافه المطيع لله بن المقتدر)
٢٦٠ (خلافه القادر أبو العباس بن المقتدر)
٢٦٠ (خلافه أبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله)
٢٦١ شرح حال الدوله السلجوقيه وابتداء أمرها
٢٦٢ وزاره فخر الدوله بن جهير
٢٦٣ وزاره رئيس الرؤساء علي بن حسن
٢٦٤ (خلافه المقتدي بأمر الله)
٢٦٥ وزاره عميد الدوله
٢٦٧ (خلافه المستظهر بالله)
٢٦٨ وزاره أبي المعالي هبه الله بن محمد بن المطلب
٢٦٩ (خلافه المسترشد)
٢٧١ شرح حال الوزاره في أيامه
٢٧٣ وزاره السديد أبي القاسم علي بن طراد الزينبي
٢٧٣ وزاره أبي نصر أحمد بن الوزير نظام الملك

صحيفة

٢٧٤ وزارة بو سروان بن خالد بن محمد القاشانى

٢٧٥ (خلافة الراشد بالله ابن المسترشد)

٢٧٦ (خلافة المقتفى لامر الله ابن المستظهر)

٢٧٧ وزارة مؤتمن لدولة ابى القاسم على بن صدقة

٢٧٨ وزارة عون الدين ابو المظفر يحيى بن هبيرة

٢٨١ (خلافة المستنجد بالله ابو المظفر يوسف)

٢٨٢ وزارة محمد بن يحيى بن هبيرة

٢٨٤ (خلافة المستضيء ابى محمد الحسن بن المستنجد)

٢٨٤ شرح حال الوزارة فى أيامه

٢٨٦ وزارة ظهير الدين

٢٨٧ (خلافة الامام الناصر لدين الله بن المستضيء)

٢٨٨ وزارة جلال الدين أبى المظفر عبد الله

٢٨٩ وزارة معز الدين سعيد بن على

٢٨٩ وزارة مؤيد الدين ابى المظفر محمد بن احمد بن القصاب

٢٩٠ وزارة السيد نصير الدين الخ

٢٩١ وزارة مؤيد الدين محمد الخ

٢٩٤ (خلافة أبى نصر محمد الظاهر بامر الله)

٢٩٤ (خلافة أبى جعفر المستنصر بالله)

صحيفة

٢٩٥ وزارة نصير الدين أبي الأزهر الخ
٢٩٧ (خلافة أبي أحمد عبد الله المستعصم بالله . وهو آخر خلفاء بني العباس)
٣٠١ وزارة مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد بن العلقمي



﴿ في ﴾

الآداب السلطانية . والدول الإسلامية

تأليف

﴿ محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى ﴾
تجاوز الله عنه

طبع بمطبعة الموسوعات بمصر بباب الشعرية
(على نفقة شركة طبع الكتب العربية بمصر)
في سنة ١٣١٧ هجرية



قرّر مجلس ادارة (شركة طبع الكتب العربية في مصر) بجلسته
المنعقدة يوم الثلاثاء (٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣١٧) طبع كتاب

الفخري

في الآداب السلطانية . والدول الاسلامية . ألفه محمد بن علي بن
طباطبا المعروف بابن الطقطقي تجاوز الله عنه . والكتاب من أجل
كتب التاريخ مقداراً . وأسماها اعتباراً . وقد عرف ذلك علماء
أوروبا قبل علماء الشرق فسعوا الى طبعه وجعلوا له ثمناً باهظاً جداً
بحيث يعسر على كثير اقتناؤه فتعميماً للفائدة وخدمة للتاريخ
والادب والعلم الزمت الشركة الموكول اليها طبعه في مطبعة
الموسوعات والله الموفق لما فيه الخير والصلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مسبب الأسباب . ومفتح الابواب . مقدر الأمور . ومدبر الدهور واجب الوجود . وخالق الأخلاق والجود . مفيض العقل وواهب الكل . أقر انه المالك الوجود مملوكا لعظمته . وأشهد انه الفاطر وأن الغيب غير مستور لحكمته . وأعوذ بجلال عزه من ذل الحجاب . ونفضل جوده من نقاش الحساب . ومخافة علمه مما في الكتاب من العذاب . وأصلي على النفوس العلوية المطهرة من الأدناس . وعلى الاجسام الارضية المنزهة عن الأرجاس . وأخص من بينهم أفضل الصلوات الزاكيات . وأزكى التحيات النامياب . من نادى والأنس جداد . وأرشد والاكباد غلاظ والقلوب جلاد . محمداً النبي الأمي ذا النفسات الالهية . والأ كبدات الجلالية . وآله الطيبين . وأصحابه الصالحين . الذين كانوا صدقوه وقد أرسل . ونصروه وقد خذل . ما سمح جواد . وورى زناد . وبعد فان أفضل ما نظر فيه خواص الملوك . وسلكوا اليه أفضل السلوك . بعد نظرهم في أمر الأمة . وقيامهم فيما استودعوه بالحجة . هو النظر في العلوم . والاقبال على الكتب التي صدرت عن سرائف الفهوم . فأما فضيلة العلم فظاهرة ظهور الشمس . غريبة من الشك واللبس . فمما جاء من ذلك في التنزيل قوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ومما جاء في الحديث صلوات

الله وسلامه على من سب اليه(ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم). وأما فضيلة الكتب فقد قالوا ان الكتاب هو الجليس الذى لا ينافق ولا يمل ولا يعاتبك اذا جفوته ولا يفشى سرك . وقال المهلب لبنيه يا بني اذا وقفتم في الاسواق فلا تقفوا الا على من يبيع السلاح أو يبيع الكتب وكان الفتح ابن خاقان اذا كان جالسا فى حضرة المتوكل وأراد ان يقوم الى الموضا أخرج من ساق موزته كتابا لطيفا فلا يزال يطالعه في ممره وعوده فاذا وصل الى الحضرة الخليفة أعاده الى ساق موزته ه أرسل بعض الخلفاء في طلب بعض العلماء ليسامره فلما جاء الخادم اليه وجده جالسا وحواليه كتب وهو يطالع فيها فقال له ان أمير المؤمنين يستدعيك قال قل له عندي قوم من الحكماء أحادثهم فاذا فرغت منهم حضرت فلما عاد الخادم الى الخليفة وأخبره بذلك قال له ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده قال والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد قال فأحضره الساعة كيف كان فلما حضر ذلك العالم قال له الخليفة من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك قال يا أمير المؤمنين

(طويل)

لنا جلساء ما نمل حديثهم	أمينون مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى	ورأياً وأدباً ومجداً وسوددا
فان قلت أموات فلم تعد أمرهم	وإن قلت أحياء فلست مفندا

فعلم الخليفة أنه يشير بذلك الى الكتب ولم ينكر عليه تأخره . وقال الجاحظ دخلت على محمد بن إسحق أمير بغداد فى أيام ولايته وهو جالس فى الديوان والناس مثول بين يديه كان على رؤسهم الطير ثم دخلت اليه بعد مدة وهو معزول وهو جالس في خزانة كتبه وحواليه الكتب والدفاتر

والمحاير والمساطر فما رأسه أهيب منه في تلك الحال . وقال المتنبي (طويل)

أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

والعلم ترين الملوك أكثر مما ترين السوقة وإذا كان الملك عالماً صار العالم ملكاً . وأصلح ما نظر فيه الملوك ما يشمل على الآداب السلطانية والسير التاريخية المطوية على طرائف الأخبار وعجائب الآثار . على أن الوزراء كانوا قديماً يكرهون أن الملوك يقعون على شيء من السير والتواريخ خوفاً أن يعطي الملوك لي سياء لا يحب وزراء أن يعطي لها الملوك . فطلب المكتفي من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع مطالعتها زمانه فتقدم الوزير الى النواب بتحصيل ذلك فعرضه عليه قال حمله في الجملة فحصلوا شيئاً من كتب التاريخ وفيها شيء مما جرى في الايام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة التحيل في تحصيل الاموال فلما رآه الوزير قال لنوابه والله لكم أشد الناس عداوة لي أنا قلت لكم حصلوا له كتباً يلهو بها ويشتغل بها عني وعن غيري فقد حصلتم له ما يعرفه مصارع الوزراء ويوجده الطريق في استخراج المال وتعرفه خراب البلاد من عمارها ردوها وحصلوا له كتباً فيها حكايات تلهيه وأشعاراً تطربه . وكانوا يكرهون أيضاً أن يكون في الخلفاء والملوك فطانة ومعرفة بالامور ولذلك اجتمع رأي الوزير على مبايعة عبد الله بن المعتز وكان عبد الله فاضلاً لبيباً محصلاً خلا أنه نقص عقلاء الكتاب وقال له أي هذا الوزير هذا الرأي الذي قد رأيته في مبايعة ابن المعتز ليس بصواب قال الوزير كيف ذلك قال لأنّ أي حاجة لك أن تجلس على سرير الخلافة من يعرف الدرع والميزان والاسعار ويفهم الامور ويعرف الفسيح من الحسن ويعرف دارك وبساتينك وضيعتك الرأي أن تجلس صبياً صغيراً فيكون اسم

الخلافة له ومعناها لك فتربيه الى أن يكبر فاذا كبر عرف لك حق التربية وتكون أنت قد قضيت أوطارك مدة صغره فشكره الوزير على ذلك وعدل عن عبد الله بن المعتز الى المقتدر وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة

وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل رحمه الله أكثر مايجرى فى مجلس أنسه إيراد الاشعار المطربة والحكايات الملهية فاذا دخل شهر رمضان أحضرت له كتب التواريخ والسير وجلس الزين الكاتب وعز الدين المحدث يقرآن عليه أحوال العالم * وهذا التقرير يستدعى شرح حال وذلك أنى حين أحلنى حكم القضاء بالموصل الحدباء حللتها غير متعرض لوبلها أو طلها ودخلها كما قال عز من قائل . (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) وكنت بنيت عزمي على المقام فيها بقدر ماينكسر البرد . وينقل البرد . ثم التوجه بعد ذلك الى تبريز فحين استقررت بالموصل بلغنى من عدة جهات مختلفة . ومن ذوى أراء غير مؤتلفة . غزارة فضل صاحبها الاعظم . المولى المخدوم الملك المعظم . أفضل الملوك وأعظمهم . وأكرم الحكام وأحلمهم . (فخر الملة والدين) الممنوح بخصائص لوكانت للدهر لما شكا صرفه حر . ولما مس أحداً منه ضر . ولوكانت للبحر لما كان ماءه ملحا أجاجا . ولا خاف راكبه منه أمواجا . ولو ظفرت بها الاقمار . لما لحقها السرار . (عيسى) الذى أحيى ميت الفضائل . ونشر طى الفواضل . وأقام سوق المكارم فى عصر كسدت فيه سوقها وأنهض مقعدات المحاسن بعد ماعجزت عن حمل أجسامها سوقها وذب عن الاحرار فى زمان هم فيه أقل من القليل . وملأ أيديهم من عطائه بأياد واضحة الغرة والتحجيل . وأفاء عليهم ظل رأفة لا ينتقل . وخفض لهم جناح رحمة فما ينى يتفضل . عليهم ويتطول . كلما ازداد دولة وتمكينا .

راد بواصعاً ولسا . وكلما ىلغ من الملك عايه . رفع للكرم رايه (ابن ابراهيم)
أعزّ الله نصره وأنفذ سهمه وأمره الذي أنسى ذكر الاجود ووراءه الاطود
وشجاعه الآساد (كامل)

للشمس فيه وللرياح وللسحا ب وللبحار وللاسود شمائل

الذي هو في حبه هذا الدهر غرّه . وفي قلادته درّه . لا بدانيها في
لا سا درّه . الذي صدق أخبار الماضين وحقق ما نسخ من مآثر الاولين
وقد قال ابن الرومي (طويل)

أطن بأن الدهر مازال هكذا وأن حديث الجود ليس له أصل
وهب انه كان الكرام كما حكوا أما كان فيهم واحد وله نسل

فلو شاهده لصدق ما سمع من أخبار أهل الكرم ولما حلف من
جدته عوارض الهم . الحاكم الذي اذا سلط ذهنه السريف وفكره
اللطيف . على المصايا لا يومه ولامور السلطانية دلت له الصعاب .
ولانت له الصم الصلاب . وظهرت له الخفايا . وتصدر أن نقال في الروايا
خبايا . أما قوة العدل عنده فسلمه قوعدها لدنه قويمه . فلا تحرعك
هيبته المرهوبة فان وراءها رأفه بالضعيف ورفقه على الفقير . وجبرا للكسير .
(كامل)

وله من الصفح الجميل عوائد أسر الطليق بها وفك العاني

ولقد حضرت يوماً مجلسه الرفيع وكان يوم بحث وقد تقدم بصيانه
الباب فلما كثر البحث قال للحجاب من حضر الباب وله حاجة فعرفونا بها ثم
قال ان أحداً لا يحضر في مثل هذا الوقت الا لضروره ولا يجوز أن يرد
خائباً فالله هل يأتي في هذا الكتاب الذي يريد أن يكون مشتملا على

محاسن الآثار الا ما هو من حسن هذه الحكاية * وأما قوة السياسة عنده
فعظيمة لا تعترضها هضيمة فلا تعرف رقته وسامته فان ورد ذلك
منه تخضع لها الاسود وشامة تحدرها السيد والمسود (طويل)

هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا ... وبالك فاحذره اذا كان مزبدا

وأما قوة الذكاء والفطنة فهو فيها كما قال المتنبي (منسرح)

يعرف في عينه حقيقته ... كأنه بالذكاء مكتحل
أشفق عند اتقاد فكرته ... عليه منها أخاف يشتعل

• وأما قوة العقل الغريزي لتمييز الصحيح فاني لأظن ان عقلاء الملوك
الماضين لو عاشوا وشاهدوه لتعلموا منه كيف سياسة الجمهور وكيف تدبير
الامة وأما قوة الكرم الذي يحاول الجد وحرج حدث عن البحر ولا
حرج فلو عاش الكرام الذين ضربت بهم الامثال وعدمت لهم النظراء
لامتثلوا لتعلموا منه غوامض الكرم وللعفو منه محاسن الشيم . ولو
تصدى ليركب وصف هذه القوة من قوة عجز عن الاحاطة بكنه وصفها
فقصور عن تمام توجب وصفها ولكني أقول حسب الجهد والطاقة ان
حقارة الدنيا حقار الاولياء وتسعيرها لها تسعير لزهاد فلو جاد بالدنيا
لكان يصغرها ظن من تصغيرها انه صغيرا لتعطى عطاء من تنوى الذكر ونحسه
يعد المال ونفسه فيه (طويل)

تعاذلني في الجود لست بمهلكي ... ولا محيي النفس الشحيحة لومها
ويذكر أخلاق الفتى وعظامه ... مغيبة في القبر بال رميمها

فيه بالك السماء وحاورت الجوزاء ومن هناك حصل له الانس بعلم
النجوم فانه حد علمها بالارتقاء اليها ولا قرب لا بالحساب والاصطرلاب

ملع السماء علواً فشافهه أسرارها كواكبها . وفرع الافلاك سموا فحدثته أحبارها مشارقها ومغاربها . (طويل)

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر

لا يستقر في خزانته نائس امواله وليس لها بيت يحفظها سوى بيت سؤاله (بسيط)

اما دا احتمعت يوماً دراهمه طلب الى طرق العلياء تستبق

لا يألف الدرهم المنقوش صرتها لكن يمر عليها ثم ينطلق

لا نعمل السكر في كرمه لا كما نعمل الصحو في أمطار دعه

طويل

تعد عطايا سكره عند صحوه لتعلم أن الجود منه على علم

وتسلم في الاحسان من قول قائل تكرم لما خامرته ابنة الكرم

ومن أسرار كرمه أنه مبرء عن التدبر . وان كان أكثر من الكثير .

لانه موضوع في أحل مواضعه ووقع في أفضل مواقعه فبى تعرض آمل . او عن سائل بادر لي ارفاده مبادرة السيل الى وهاده كامل

عشق المكارم فاستهام بذكرها والمكرمات قليله العشاق

وأقام سوقاً للثناء ولم تكن سوق الثناء تعد في الاسواق

فاذكر صنائعه فليس صنائعا لكنهن قلائد الاعناق

والثم أنامله فليس أناملا لكنهن مفاتح الارزاق

وكأني بك أيها الناظر في هذا الكتاب قد استعظمت ما سمعت فان عرض لك الشك فانظر أعيان هذا العصر تجدهم يتهافتون على الدره . تجده لا يلتفت الى الدره . وتجدهم يحرصون على اقتناء الدخائر . وتجده

لايحرص الا على الذكر السائر . والصيت الطائر . وتجدهم قد شغفتهم محبة الاولاد . وتجده قد شغفته محبة السؤال والقصاد . وتجدهم يهربون من المغارم . وتجده يعدها من أفضل المغانم . ثم ارجع البصر تجد المدائح عندهم كاسدة وتجدها عنده نافقة وتأمل تبصر المكارم لديهم جامدة وتبصرها لديه دافقة وانظر بابه تجده عامرا بوفود الثناء غاصا بالادباء والشعراء والفضلاء والفصحاء { خفيف }

يسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

وتالله ما الدنيا الا دنياه ولا العيش الا عيشه الذى أعطاه الله

{ كامل }

ما العيش أن يمسى الفتى متشبعاً ضخم الجزاره

كلفا بشرب الراح مشـــغوفا بغزلان الستاره

العيش ان يشجى الفتى أعـداءه ويعز جاره

حتى يخاف ويرتجى ويرى له نشب وشاره

ويروح اما للكتا ئب سعيه أو للاماره

رجعنا الى حكاية الحال . واتمام المقال . فلقفت المقادير أن جرى ذكرى بين يديه وعرض شئ من أمرى عليه فلمح بذكاء قلبه وصحة حدسه من تلك الانباء حقيقة حالى قبل اللقاء وتقدم بالحضور في خدمته فلما حضرت راعنى ما شاهدت من كمال هيئته . ووافى ما عاينت من جمال صورته . وشريف سيرته . فكان أول ما أنشدته قول المتنبئ { طويل }

وما زلت حتى قادنى الشوق نحوه يسايرنى فى كل ركب له ذكر

وأستعظم الاخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

ثم نابغ من الطائفة ما عرس به ودّا وحي منه نشاء وحمداً درأيت أن أخدم حضرته بتأليف هذا الكتاب لتكون تذكرة له وتذكرة لي عنده تذكرني به اذا غبت عن عالي حضرته . واعتضلت عن فسيح رحابه وهذا كتاب تكلمت فيه على أحوال الدول وأمور الملك وذكرت فيهما اسطرفه من أحوال الملوك الفضلا واستمر به من سير الخلفاء والوزراء * وبنيته على فصلين فالفصل الاول تكلمت فيه على الامور السلطانية والسياسات الملكية وخواص الملك التي يمتاز بها عن السوقة ولي يجب أن تكون موجودة أو معدومة فيه وما يجب له على رعيته وما يجب لهم عليه ورصعت الكلام فيه بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكايات المستطرفة والاشعار المستحسنة والفصل الثاني تكلمت فيه على دولة دولة من مشاهير الدول التي كانت طاعتها عامة ومحاسنها تامة ابتدأت فيه بدولة الاربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على الترتيب الذي وقع ثم بالدولة التي تسلمت الملك منها وهي الدولة الاموية ثم بالدولة التي تسلمت الملك منها وهي الدولة العباسية ثم بالدول التي وقعت في اثناء الدول الكبار كدولة بني بويه وكدولة بني سلجوق وكدولة الفاطميين بمصر على وجه الاختصار فانها دول وقعت في أثناء دولة بني العباس ولكنها لم تكن طاعتها عامة أتكلم على دولة دولة بمجموع ماحصل في ذهني من الهيئة الاجتماعية التي أفادتنيها مطالعة السير والتواريخ فأذكر كيف كان ابتداؤها وانتهاؤها وطرفا ممتعا من محاسن ملوكها وأخبار سلاطينها فان شذ شيء من أحوالها عن ذهني واحتجت الى اثباته من حكاية طريفة أو بيت شعر نادر أو آية أو حديث سوى أخذته من مظانه ثم اذا ذكرت دولة فدولة تكلمت على كليات أمورها ثم ذكرت

واحداً واحداً من ملوكها وما جرى في أيامه من الوقائع المشهورة. والحوادث المأثورة . فاذا انقضت أيام ذلك الملك ذكرت وزراءه واحداً واحداً وطرائف ما جرى لهم فاذا انقضت أيام الملك ووزرائه ابتدأت بالملك الذي بعده وبما جرى في أيامه وتسير وزرائه كذلك الى آخر الدولة العباسية .
* والتزمت فيه أمرين . أحدهما أن لا أميل فيه الا مع الحق ولا أنطق فيه الا بالعدل وأن أعزل سلطان الهوى وأخرج من حكم المنشاء والمرياء وأفرض نفسي غريباً منهم وأجنبياً عنهم وثانيهما أن أعبر عن المعاني بعبارات واضحة تقرب من الافهام ليستمتع بها كل أحد عادلا عن العبارات المستصعبة التي يقصد بها اظهار الفصاحة وإثبات البلاغة فطالما رأيت مصنفي الكتب قد اعترضتهم محبة اظهار الفصاحة والبلاغة فخفيت أغراضهم وغامضت معانيهم فقلت الفائدة بتصنيفاتهم .
* من ذلك كتاب القانون في الطب لابي علي الحسين بن سينا البخاري فانه حشاه بالعبارات الغامضة والتراكيب المستعملة فقلل غرضه من الاستماع بكتابه ولذلك ترى عامة الاطباء قد عدلوا عن كتابه الى الملكي السهل العبارة . المبهم الاشارة وهذا كتاب يحتاج اليه من سوس الجمهور . وتدبر الامور . وان أنصفه الناس أحدوا أولادهم بحفظه وتدبر معانيه بعد أن يدبروه *
فما الصغير بأحوج اليه من الكبير ولا الملك العام الطاعة بأحوج اليه من ملك مدينة ولا ذوو الملك بأحوج اليه من ذوي الأدب فان من نصب نفسه لمفاوضة الملوك ومجالستهم ومذاكرتهم يحتاج الى أكثر مما في هذا الكتاب فعلى أقل الاقسام لا تعدم بركة * وهذا الكتاب إن نظر بعين الانصاف رئي أنفع من الحماسة التي لهج الناس بها وأحدوا أولادهم بحفظها فان الحماسة لا تستفاد منها أكثر من الترغيب في الشجاعة والضيافة وشيء

نسر من الاخلاق في الباب المسمى باب الأدب والبأس بالمذاهب الشعريه وهذا الكتاب يستفاد منه هذه الخصال المذكوره ويستفاد منه قواعد السياسه . وأدوات الرئاسه فهذا فيه ما في الحماسه وليس في الحماسه ما فيه وانه ليمد العقل قوه والذهن حده والبصيره نوراً وهو للخاطر الذكي عنزله المسن الحسد للفولاذ * وهو أيضاً أنفع من المقامات التي الناس فيها مسعدون وفي تحفظها راغبون إذ المقامات لا يستفاد منها سوى التمرن على الانشاء والوقوف على مذاهب النظم والنثر نعم وفيها حكم وحيل وعارات الا ان ذلك مما يصغر الهمه اذ هو مبني على السؤال والاستجداء . والتحصيل الصحيح على تحصيل النزر الطفيف فان ضرب من خاب ضرب من خاب وبعض الناس نبهوا على هذا من المقامات الحريريه والبديعيه * فعدل ناس الى نهج البلاغه من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فانه الكتاب الذي يتعلم منه الحكم والمواعظ والخطب والتوحيد والشجاعه والزهد وعلو الهمه وأدنى فوائده الفصاحه والبلاغه * وعدل الناس الى اليميني للعتبي وهو كتاب صنفه مؤلفه لشمس الدوله محمود بن سبكتكين يشتمل على سير جماعه من الملوك بالبلاد الشرقيه عبر فيه بما ترب حظها من الفصاحه وافر . وصاحبها ان لم يكن ساحراً فهو كاتب ماهر والعجم مشغوفون به مجدون في طلبه وهو لعمري كتاب يشتمل على طرائف حكم وبدائع سير مع ما فيه من فنون البلاغه وأنواع الفصاحه ولعل قائلا أن يقول لقد بالغ في وصف كتابه وحسنا ما شاء في جرابه والمرء مفتون بأبنه وشعره فان اعتراه ريب فليتأمل الكتب المصنفه في هذا الفن فليعمله لا يرى فيها كتاباً أجمع للمعنى الذي قصد به من هذا الكتاب * وهو اعز الله نصره . و . . .

بدوام السعادة سره . قد اغناه الله بالذهن القاهر . والفضل الباهر . عن هـذا الكتاب وعن أمثاله ولكن مهامه الشريفة ربما أضجرته وأنسته فاذا روح فكره الشريف بالنظر فيه دفع به الملال . وتذكر به ما أنسته الاشغال . ومن ألطاف الله تعالى اسئل ان لا يخلي هـذا الكتاب من فائدتين احداهما تخصني وهي ان يقع عنـده بموقع الاستصواب فأبرأ من عهدة الخجل والأخرى تخصه وهي أن لا يعدمه الانتفاع به في القول والعمل انه ولي كل نعمة ومسدي كل عارفة

الفصل الاول

(في الأمور السلطانية . والسياسات الملكية)

أما الكلام على أصل الملك وحقيقتـه وانقسامه الى رئاسات دينيـة ودنيويه من خلافة وسلطنة وإمارة وولاية وما كان من ذلك على وجه الشرع وما لم يكن ومذاهب أصحاب الآراء في الامامة فليس هذا الكتاب موضوعاً للبحث عنه وانما هوموضوع للسياسات والآداب التي ينتفع بها في الحوادث الواقعـة والوقائع الحادثه وفي سياسة الرعيـة وتحصين المملكة وفي اصلاح الاخلاق والسيرة * فأول ما يقال ان الملك الفاضل هو الذى اجتمعت فيـه خصال وعدمت فيه خصال * فأما الخصال التى يستحب أن توجد فيـه فنها العقل وهو أصلها وأفضلها وبه تساس الدول بل الملل وفي هـذا الوصف كفاية * ومنها العدل وهو الذي تستغزر به الاموال . وتعمر به الاعمال . وتستصلح به الرجال

ولما فتح السلطان هولاكو بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة أمر

أن يستفتي العلماء أيما أفضل السلطان الكافر العادل أو السلطان المسلم الجائر ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب وكان رضي الدين علي بن طاوس حاضراً هذا المجلس وكان مقدماً محترماً فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر فوضع الناس خطوطهم بعده * ومنها العلم وهو ثمرة العقل وبه يستنصر الملك فيما يأتيه ويذره ويأمن الزلل في قضاياه وأحكامه وبه يتزين الملك في عيون العامة والخاصة ويصير به معدوداً في خواص الملوك

قال بعض الحكماء الملك اذا كان خلواً من العلم كان كالفيل الهائج لا يمر بشيء الا خبطه ليس له زاجر من عقل ولا رادع من علم * واعلم انه ليس المراد بالعلم في الملوك هو تصور المسائل المشكلة والتبحر في غوامض العلوم والاغراق في طلبها * قال معاوية ما أقبح بالملك أن يبالغ في تحصيل علم من العلوم * وانما المراد من العلم في الملك هو أن لا يكون له أنس بها لا بحيث تمكنه أن يفاوض اربابها فيها مفاوضة يندفع بها لحال الحاضر ولا ضرورة في ذلك الى التدقيق * كان مؤيد الدين محمد بن العلقمي وزير المستعصم وهو آخر وزراء الدولة العباسية يفاوض كل من يدخل عليه من العلماء مفاوضة عاقل لبيب محصل ولم يكن له بالعلوم ملكة ولا كان مرتاضا بها رياضة طائلة * كان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل لكثرة مجالسة الافاضل وخوضه في الاشعار والحكايات يستنبط المعاني الحسنة وينبه على النكت اللطيفة مع انه كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ * وكان عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري رضي الله عنه لمجالسة أهل الفضل ولكثرة معاشرتهم له صار ينبه على معان حسنة ويحل الألغاز المشكلة أسرع منهم ولم يكن له حظ

من علم وما كان نظيرها للناس الا انه رحل فاصل وحتى ذلك حتى على الصاحب علاء الدين قال ابن الكموش الشاعر المصري عمل بيتين في الصاحب ونسبهما الى عبد العزيز وهما

وافر

عطا ملك عطاؤك ملك مصر ونقص عند دولتك العزيز

تجاري كل ذي ذنب بعفو ومثلك من تجاري أو تجيز

فأنشدهما عبد العزيز بحضرة الصاحب وادعاهما وحتى الامر على الصاحب وما أدري من أيهما أعجب أمر الصاحب كيف حتى عنه حال عبد العزيز مع انه السنين الطويلة تعاشره في سفر وحضر وجد وهزل أو من عبد العزيز كيف رضي لنفسه مثل هذه الرذيلة وأقدم على مثل هذا مع الصاحب وما خاف من تنبه الصاحب وتبرداله لفعله * وتختلف علوم الملوك باختلاف آرائهم فأما ملوك الفرس فكانت علومهم حكما ووصايا وآدابا وتواريخ وهندسة وما أشبه ذلك وأما علوم ملوك الاسلام فكانت علوم اللسان كالنحو واللغة والشعر والتواريخ حتى ان اللحن كان عندهم من أقبح عيوب الملك وكانت منزلة الانسان تعلو عندهم بالحكاية الواحدة وبالبيت الواحد من الشعر بل باللفظة الواحدة من اللغة وأما في الدولة المغولية فرفضت تلك العلوم كلها ونفقت فيها علوم أخر وهي علم السياقة والحساب لضبط المملكة وحصر الدخل والخرج والطب لحفظ الابدان والامزجة والنجوم لاختيار الاوقات وما عدا ذلك من العلوم والآداب فكاسد عندهم وما رأيته نافقا الا بالموصل في أيام ملكها المشار اليه مد الله ظله ونشر فضله * ومنها الخوف من الله تعالى وهذه الخصلة هي أصل كل خير ومفتاح كل بركة فان الملك متى خاف الله

أمنه عباد الله * وروي أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام استدعى بصوته بعض عبيده فلم يجبه فدعاه مراراً فلم يجبه فدخل عليه رجل وقال يا أمير المؤمنين انه بالباب واقف وهو يسمع صوتك ولا يكلمك فلما حضر العبد عنده قال أما سمعت صوتي قال بلى قال فما منعك من اجابتي قال أمنت عقوبتك فقال علي عليه السلام الحمد لله الذي خلقني ممن يأمنه خلقه * وما أحسن قول أبي نواس لهرون الرشيد { كامل }

قد كنت خفتك ثم آمنني   من أن أخافك خوفك الله

ولم يكن الرشيد يخاف الله وأفعاله بأعيان آل علي عم وهم أولاد بنت نبيه لغير جرم يدل على عدم خوفه من الله تعالى ولكن أبا نواس جرى في قوله على عادة الشعراء * ومنها العفو عن الذنوب وحسن الصفح عن الهفوات وهذه أكبر خصال الخير وبها تستمال القلوب وتصلح النيات فما جاء في التنزيل من الحث على ذلك قوله تعالى شأنه . (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) *وكان المأمون حليما حسن الصفح معروفاً بذلك هجاه دعبل الشاعر بأشعار كثيرة من جملتها { كامل }

اني من القوم الذين سيوفهم   قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله   واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فلما بلغه هذا القول لم يزد على أن قال قاتله الله ما أشد بهتانه متى كنت خاملا وفي حجر الخلافة نشأت وبدرها أرضعت ولما بلغه أن دعبلا قد هجاه قال من أقدم على هجاء وزيري أبي عباد كيف لا يقدم على هجائي * وهذا الكلام ظاهره غير مستقيم وهو يحتاج الى تأويل فانه عكس المعهود فكان ينبغي أن يقول الوزير من أقدم على هجاء الخليفة كيف لا يقدم هجائي ومعنى

قول المأمون أن من عده على هجاه أى عاد مع حدته وهوجه وتسرعه وكان
أبو عباد كذلك كيف لا تعدم على فى حلمى وصفحى * ولولا خوف الاطالة
لذكرت جماعة من حلماء الملوك فى هذا الموضع ولكن ليس هذا الفصل
موضوعاً للسمر وسنورد من ذلك ما نجمع إن شاء الله فى الفصل الثانى * ومنهم
من يرى أن الحقد خصلة محمودة فى الملك * قال بزرجمهر يجب أن
يكون الملك أحقد من جمل * وأما أنا فأطرح فى هذا القول فأقول كيف يكون
كذلك والملك متى كان حقوداً فسدت نيته لرعيته فعمهم وقلل الانبعاث
اليهم النعمة عليهم ومتى أحسوا بذلك تغيرت نياتهم له وفسدت بواطنهم
وهل يتمكن الملك مما يريده من مهمات مملكته وبلوغ أغراضه كما فى
نفسه إلا بصفاء قلوب رعيته * وأى حكمة فى ذلك وهل فيه سوى تنغيص
عيش الملك وتنغيص رعيته إليه وإيحاشهم منه قال شاعر العرب

طويل

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

خصوصاً والناس مركبون على الخطا مجبولون على شر الطباع فما
أكثر ما يصدر منهم موجبات الحقد فلا يزال الملك طول دهره يعانى من
السخط والحقد عليهم ما ينغص عليه لذته ويشغله عن كثير من مهام مملكته وما
أكثر ما رأينا الرعية أو الجند قد وثبوا على ملوكهم فسلبوهم رداء المملكة بل
رداء الحياة فابتدئ من عمر بن الخطاب وقد وثب عليه أبو لؤلؤة عبد المغيرة
ابن شعبة فقتله * ثم ثنى بعثمان بن عفان رضى الله عنه وانظر كيف اجتمع عليه
رعيته من كل جانب فحاصروه فى داره أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه والمصحف
فى حجره حتى قطرت قطرات من دمه على المصحف * ثم ثلث بعلى بن

أبي طالب عليه السلام وقد ضربه عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله بسيفه على أم رأسه بالكوفة فقتله وكان ابن ملجم من الخوارج * هذا في الصدر الاول والناس ناس والدين دين ثم سفل دوله فدوله وأياما فأياما الى أواسط دولة بني العباس فانحصر مند عهد المتوكل الى عهد المقتفي ماجرى على وجه واحد من الخلعاء من القتل والخلع والنهب بسبب تغير حال جنده ورعيته فهذا سبيل وذاك سبيل والآخر عزل ثم أستخرج طرفك في الدولتين البويهية والسلجوقية ثم من هذا الباب عجباً ثم أرجع النظر الى اوتكجان ملك الترك كيف لما تنكرت نيته على جنكزخان وحقد عليه أشياء عرضا عليه عنده حساده وأراد الوقيعة به وأعلمه بذلك الصبيان فرحل من ليلته ثم حشد وجمع ووثب على أوتكجان فقتله وملك ممالكه فعلم أن الحقد من أضر الاشياء للملك وأن أوفق الاشياء له الصفح والعفو والغفران والامتنان وما أحسن قول القائل منسرح

اقبل من الناس ما تيسر	ودع من الناس ما تعسر
فانما الناس من زجاج	إن لم ترفق به تكسر

وقد مدح بعض الشعراء الحقد ولم نسمع بمن مدح الحقد غير هذا فقال طويل

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى	وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
فحيث ترى حقداً على ذي إساءة	فثم ترى شكراً على سالف القرض
اذا الارض أدت ريع ما أنت زارع	من البذر فيها فهي ناهيك من ارض

وهذا قول لايترح عليه وإن عرج عليه أحد فليمرح عليه غير الملك فان الملك أحوج الخلق الى استصلاح القلوب واستصفاء القلوب * ومن

الخصال التي يستحب أن تكون في الملك الكريم وهو الأصل في استمالة القلوب وتحصيل النصائح من العالم واستخدام الأشراف. قال الشاعر .

(متقارب)

اذا ملك لم يكن ذا هبه　　فدعه فدولته ذاهبه

ومما جاء في الحديث النبويّ صلوات الله على صاحبه (تجاوزوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر . وفاتح عليه كلما افتقر) وقال عليّ عليه السلام الجود حارس الاعراض * واعلم انه لم يتضمن سيره من حكايات الجود مثل مانقل عن قان العادل وهو أوكتاي بن جنكزخان فانه غبر في وجوه جميع كرام الملوك　　(رجز)

مناقب تفتق مارقمـم　　من جود كعب وسماح حاتم

ومن الاتفاقات الحسنة وجوده في عصر المستنصر بالله وكان المستنصر أكرم من الريح ولكن أين يقع جوده من جود قان ومن أين للمستنصر مال يفي بعطايا قان * ومنها الهيبة وبها يحفظ نظام المملكة ويحرس من اطماع الرعية وقدكان الملوك يبالغون في اقامة الهيبة والناموس حتى بارتباط الأسود والفيله والنمور وبضرب البوقات للكبار كبوق النفير والدبادب والقصع ورفع السناجق وخفق الالويه على رؤسهم كل ذلك لاثبات الهيبة فى صدور الرعية ولاقامة ناموس المملكة . وكان عضد الدوله اذا جلس على سريره أحضرت الأسود والفيلة والنمور في السلاسل وجعلت في حواشي مجلسه تهويلا بذلك على الناس وترويعاً لهم

ومنها السياسة وهي رأس مال الملك وعليها التعويل في حقن الدماء وحفظ الاموال وتحصين الفروج ومنع الشرور وقمع الدعار والمفسدين والمنع

من المظالم المؤدى الى الفسه والاضطراب

ومنها الوفاء بالعهد قال تعالى سلطانه (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا) وهو الأصل في تسكين القلوب وطمأنينة النفوس ووثوق الرعيه بالملك اذا طلب الامان منه خائف أو أراد المعاهدة منه معاهد * ومنها الاطلاع على غوامض أحوال المملكه ودقائق أمور الرعيه ومجازاة المحسن على إحسانه والمسيء على اساءته * كان أردشير الملك يقول لمن شاء من أشراف رعيته وأوضاعهم كان البارحه من حالك كيت وكيت حتى صار يقال ان أردشير يأتيه ملك من السماء يخبره بالامور وما ذلك الا لبسطه وتصفحه * فهذه عشر خصال من خصال الخير من كن فيه استحق الرئاسه الكبرى ولو نظر أصحاب الآراء والمذاهب حق النظر وتركوا الهوى لكانت هذه الشرائط هي المعتبره في استحقاق الامامه وما عداها فغير طائل * وقال بزرجمهر ينبغي أن يكون الملك كالارض في ثباته ... وصبره وكالنار على أهل الفساد وكالماء في لينه لمن لاينه وينبغي ان يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاه وأشد حذراً من غراب وأعظم إقداماً من الأسد وأقوى وأسرع وثوباً من الفهد وينبغي للملك أن لا يستبد برأيه وأن يشاور في المهمات خواص الناس وعقلاءهم ومن يعرف فيه الذكاء والعقل وجوده الرأي وصحه الضمير ومعرفه الامور ولا ينبغي أن يمنعه عزه الملك من إيناس المستشار به وبسطه واستماله قلبه حتى يمحضه النصيحه فان أحداً لا ينصح بالقسر ولا يعطي نصيحته الا بالرغبه وما أحسن قول الشاعر في هذا المعنى

(طويل)

أهان وأقصى ثم يستنصحونني ومن ذا الذي يعطي نصيحته قسراً

قال الله تعالى (وشاورهم في الامر) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه دائماً * لما كانت وقعة بدر خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة في جماعة من المسلمين فلما وصلوا بدراً نزلوا على غير ماء فقام اليه رجل من أصحابه وقال يا رسول الله نزولك هاهنا شيء أمرك الله به أو هو من عند نفسك قال بل هو من عند نفسي قال يا رسول الله ان الصواب ان نرحل وننزل على الماء فيكون الماء عندنا فلا نخاف العطش واذا جاء المشركون لا يجدون ماء فيكون ذلك معيناً لنا عليهم فقال رسول الله صدقت ثم أمر بالرحيل ونزل على الماء * واختلف المتكلمون في كون الله تعالى أمر رسوله بالاستشارة مع انه أيده ووفقه وفي ذلك أربعة وجوه . أحدها انه عليه السلام أمر بمشاورة الصحابة استمالة لقلوبهم وتطييباً لنفوسهم . الثاني انه أمر بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه . الثالث انه أمر بمشاورتهم لما فيها من النفع والمصلحة . الرابع انه انما أمر بمشاورتهم ليقتدي به الناس وهذ عندي أحسن الوجوه وأصلحها * قالوا الخطأ مع المشورة أصلح من الصواب مع الانفراد والاستبداد * وقال صاحب كليله ودمنه لا بد للملك من مستشار مأمون يفضي اليه بسره ويعاونه على رأيه فان المستشير وان كان أفضل من المستشار وأكمل عقلا وأصح رأياً فقد يزداد برأي المشير رأياً كما يزداد النار بالدهن ضوءاً ونوراً . قال الشاعر

(طويل)

اذا أعوز الرأي المشورة فاستشر رأي نصيح أو مشورة حازم

واعلم أن للملك أموراً تخصه تمتاز بها عن السوقة فمنها أنه اذا أحب شيئاً أحبه الناس واذا أبغض شيئاً أبغضه الناس واذا لهج بشيء لهج به الناس إما

طمعاً أو نطعا لسمر موا بدلك الى فلمه ولدلك فىل الناس على دىں ملوكهم .
فانظر كيف كان رىّ الناس فى رمں الخلفاء فلما ملـكت هده الدوله أسبع الله
احسا بها وأعلى شأنها عر الناس ر بهم فى جميع الاشياء ودحلوا فى رى ملوكهم
بالنطق واللباس والآلات والرسوم والآداب من عـير أن نكلفوهم دلك أو
نأمروهم به أو يبوهم عنه ولـكنهم علموا أن ربهم الاول مسـيهجن فى نطرهم
مناف لاحبارهم فمروا اليهم برىهم وما رال الملوك فى كل رمان محاورون رباً
ومماً فمىل الناس اليه و لهجون به وهدا من حواص الدوله وأسرار الملك
ومن حواص الملك أن صحبته تورث التيه والـكبر وسوء الخلق وتكبر
النفس ولىسـت صحبـه عير الملك تفعل دلك * ومن حو صه انه ادا أعرض
عن انسان وحد دلك الانسان فى نفسه ضعفا وان لم ىيله ىكروه واذا أقبـل
على انسان وحد دلك لانسان فى نفسه قوه وان لم ىصبه منـه حىر ىل مجرد
الاعراض والاقبال ىفعل دلك وليس أحدمن الناس بهذه المىرله عىر السلطان
وأما الخصال التي ىسحب أن تكون معدومه فيـه فقد ذكرها ابن
المقفع فى كلام له قال لىس للملك أن ىغصب لان الفـدره من وراء حاجتـه
ولىس له أن ىكدب لانه لا ىقدر أحد على الزامه غىر ما ىر ىد ولىس له أن
ىبحل لانه أقل الناس عذراً فى حوف الفقر * ولىس له أن ىكون حقوداً لان
قدره قد عظم عن المجاراه لأحد على اساءه صدرت منه ولىس له أن ىحلف
اذا حدّث لان الدى ىحمل الانسان على اليمىن فى حـدىثه حلال اما مهانه
ىجدها فى نفسه واحتىاج الى أن ىصدقه الناس واما عىّ وحصر وعجز عن
الـكلام فىرىد أن ىجعل اليمىن تتمه لـكلامه أو حشواً فيـه واما أن ىكون قد
عرف أنه مشهور عىد الناس بالـكذب فهو ىحمل نفسـه ىمىرله من لا ىصدق

ولا يصل قوله الا بالتمس وحينئذ كلما ازداد إمعاناً ازداد الناس له حسداً والملك عزل عن هذه الدنيا كلها وعدوه أكثر من ذلك . ومن الخصال التي يستحب أن تكون معدومة في الملك لحده فانها ربما أصدرت عنه فعلا يندم عليه حين لا ينفع الندم وأكثر ما ترى الحداد من الرجال سريعي الرجوع ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (خير أمتي حدادها)

ومن الخصال التي يستحب عدمها في الملك الضجر والسأم والملل فذلك من أضر الأمور وأفسدها لحاله

واعلم ان للملك على رعيته حقوقاً وأن لهم عليه حقوقاً فأما الحقوق التي تجب للملك على رعيته فمنها الطاعة وهي الاصل الذي ينتظم به صلاح أمور الجمهور ويتمكن به الملك من الانتصاف للضعيف من القوي والضمة بالحق ومما جاء في التنزيل من الحث على ذلك وهي الآية المشهورة في هذا المعنى قوله تعالى . (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) ومن أمثالهم لا مرة لمن لا يطاع ومن يتصفح في التاريخ ولا يتصفح سيرة من السير أنشأ دولة من الدول ورهب من طاعة جندها ورعاياها ما رهبته هذه الدولة القاهرة المغولية فان طاعة جندها ورعاياها لها طاعة لم ير مثلها دولة من الدول

فأما الدولة الكسروية فانها على عظمها وحماستها لم تبلغ ذلك وقد كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة نائباً لكسرى على العرب ومن الحيرة والمدائن التي كانت سرير ملك الاكاسرة فراسخ معدودة والنعمان في كل أيام قد عصا على كسرى واذا حضر مجلسه بسط وتجرأ على محاورته وكان متى أراد خلع طاعته دخل البرية فأمن شره * وأما الدول الاسلامية فلا نسبة لها الى هذه

الدولة حتى نذكر منها فأما خلافة الأربعة الأول وهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وعلي بن أبي طالب عليه السلام فإنها كانت أشبه بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية في جميع الأشياء كان أحدهم يلبس الثوب من الكرباس الغليظ وفي رجله نعلان من ليف وحمائل سيفه ليف ويمشي في الأسواق كمعض الرعية وإذا كلم أدنى الرعية أسمعه غليظ من كلامه وكانوا يعدون هذا من الدين الذي بعث به النبي صلوات الله عليه وسلامه قيل إن عمر بن الخطاب جاءته برود من اليمن ففرقها على المسلمين فحصل نصيب كل رجل من المسلمين برداً واحداً ثم حصل نصيب عمر كنصيب واحد من المسلمين قيل ففصله عمر ثم لبسه وصعد المنبر فأمر الناس بالجهاد فقام إليه رجل من المسلمين وقال لا سمعاً ولا طاعة قال لم ذلك قال لأنك استأثرت علينا قال عمر بأي شيء استأثرت قال إن الأبراد اليمنية لما فرقتها حصل لكل واحد من المسلمين برد منها وكذلك حصل لك والبرد الواحد لا يكفيك ثوباً وأراك قد فصلته قميصاً تاماً وأنت رجل طويل فلو لم يكن قد أخذت أكثر منه لما جاءك منه قميص فالتفت عمر إلى ابنه عبد الله وقال يا عبد الله أجبه عن كلامه فقام عبد الله بن عمر وقال إن أمير المؤمنين عمر لما أراد تفصيل برده لم يكفه فناولته من بردي ما تممه به فقال الرجل أما الآن فالسمع والطاعة * وهذه السير ليست من طرز ملوك الدنيا وهي بالنبوات والأمور الأخروية أشبه * وأما خلافة بني أمية فكانت قد عظمت وتفخم أمرها وعرضت مملكتها ولكن طاعتهم لم تكن كطاعة هؤلاء كان بنو أمية في الشأم وكان بنو هاشم بالمدينة لا يلتفتون إليهم وإذا دخل الرجل الهاشمي على الخليفة من بني أمية أسمعه غليظ الكلام وقال له

كل قول ضعيف * وأما الدولة العباسية فلم تبلغ طاعة الناس لها ما بلغت هذه
الدولة مع أن مدتها طالت حتى تجاوزت خمس مائة سنة وملكها عرضت
حتى إن بعضهم حتى معظم الدنيا وسنضع الاشارة الى ذلك عند الكلام على دولة
بني العباس وحاصل الدنيا في أيام الرشيد في حسنة جامعة تشتمل عليها كتب
التواريخ تدل على ذلك * فأما أوائلهم فحووا شطرا صالحًا من الدنيا وقوت
شوكتهم كالمنصور والمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم والمعتضد والمتوكل
ومع ذلك فلم تكن دولتهم تخلو من ضعف ووهن من عدة جهات منها امتناع
الروم عليهم وقيام الحرب بينهم وبين ملوكها النصارى في كل سنة على ساق
ومع ذلك فكانت جانبها مستضعف عليهم وملوكها لا يزالون على الامتناع
منهم وقد كان من أمر المعتصم وعمورية ما بلغك ولعل طرفا منه سلفك في
هذا الكتاب عند الكلام في الدولة العباسية * ومن أسباب الوهن الواقع
في دولتهم خروج الخوارج في كل وقت * فاما المنصور فلم يشرب رنقاً حلواً
من ذلك خرج عليه النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام بالحجاز فجرت بينه وبينه حروب أفضت
الى ارسال عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس الى الحجاز
لمحاربة النفس الزكية فقتله بموضع قريب من المدينة يقال له أحجار الزيت
وذلك في سنة كذا ولذلك سمي النفس الزكية قتيل أحجار الزيت وخرج
عليه أخو النفس الزكية وهو ابراهيم بن عبد الله بالبصرة فقلق المنصور لذلك
غاية القلق وقام وقعد حتى وجه اليه عيسى بن موسى فقتله بقرية قريبة من
الكوفة يقال لها باخمرى فهو يعرف بقتيل باخمرى رضي الله عنه ومن هاهنا
حقد المنصور على العلويين وفعل بهم تلك الافاعيل ولعل طرفاً منها سلفك

فى هذا الكتاب اذا انتهت من الكلام على الدولة العباسية وكذلك جرى أمر الخوارج مع خليفة خليفة حتى كان الرعية لا يأمنون فى بيوتهم أمس ولا يزالون ويغيرون النهب والحرب كما كان حال أهل قزوين فى مجاورة قلاع الملاحدة * حدثنى الملك امام الدين يحيى بن لافجاري رضى الله عنه قال أذكر ونحن بقزوين اذا جاء الليل حملنا جميع ما لنا من أثاث وقماش ورحل فى سراديب لنا فى دورنا غامضة خفية ولا نترك على وجه الارض شيئاً خوفاً من كبسات الملاحدة فاذا أصبحنا أخرجنا أقمشتنا فاذا جاء الليل فعلنا كذلك ولأجل ذلك كثر حمل القزاوينة للسكاكين وكثر حملهم للسلاح وما زال الملاحدة على ذلك حتى كان من أمر شمس الدين قاضى قزوين وتوجهه الى قاآن واحضار العسكر وتخريب قلاع الملاحدة ما كان وليس هذا الموضع موضع ابتداء الكلام فى هذا فانه عرض وليس بمقصود * وكما جرى للموفق بن المتوكل فى مرابطة الزنج أربع عشرة سنة ما زال يصابرهم من البصرة وواسط طول هذه المدة حتى ابادهم وكان لطول المدة قد ابتنى الزنج هناك مدائن ثم خربت وآثارها الآن باقية

وأما أبو جعفر أعنى أواخر خلفاء بنى العباس فضعفوا غاية الضعف حتى عصت تكريت عليهم وفى ذلك يقول شاعرهم (كامل)

فى العسكر المنصور نحن عصابة من دوله أحسن بنا من معشر
جد عملنا من عمدنا فما نرى من حسنة ورفاعه و وزر
تكريت تحربنا ونحن نعطلها نعصى لنأخذ برمداً من بحر

وكانوا أعنى المتأخرين من خلفاء بنى العباس قد اقتصروا فى آخر الأمر على مملكة العراق فحسب حتى إن إربل لم تكن فى حكمهم وما زالت خارجة

عن حكمهم الى أن مات مظفر الدين بن زين الدين عليّ كوجك صاحب
إربل وذلك في أيام المستنصر فعين على شرف الدين إقبال الشرابيّ وكان
مقدم الجيوش ليتوجه الى إربل لفتحها وجهزه بالعساكر فتوجه الشرابي
اليها وأقام عليها أياماً محاصراً ثم فتحها فضربت البشائر ببغداد يوم وصول
الطائر بفتحها فانظر الى دولة تضرب البشائر على أبواب صاحبها وبين البلد
لاجل فتح قلعة إربل التي هي اليوم في هذه الدولة من أحقر الاعمال
وأصغرها وأهونها بل قد كان ملوك الاطراف مثل ملوك الشام ومصر
وصاحب الموصل يحملون اليهم في كل سنة شيأً على سبيل الهدية والمصانعة
ويطلبون منهم تقليداً بولاية بلادهم بحيث يتسلطون بذلك على رعيتهم
ويوجبون عليهم طاعتهم بذلك السبب ولعل الخلفاء قد كانوا يعوضون ملوك
الاطراف عن هداياهم بما يناسبها أو يفضل عنها كل ذلك لحفظ الناموس
الظاهر وليكون لهم في البلاد والاطراف السكة والخطبة حتى صار يضرب
مثلا لمن له ظاهر الامر وليس له من باطنه شيءٌ أن يقال فيه فلان من
الامر العلاني بالسكة والخطبة يعني فيه منه بالاسم دون الحقيقة فهذه جمل
من أحوال الدولة العباسية * وأما الدولتان البويهية والسلجوقية فلم تعرض
مملكتها مع قوة شوكة ملوكها كمقصد الدولة في بني بويه وطغرلبك في
بني سلجوق ولم تتم طاعتها وتشمل ملكهما * وأما الدولة الخوارزمشاهية
مع أن جريدة السلطان جلال الدين اشتملت على أربع مائة ألف مقاتل فلم
تعرض ملكها أيضاً ولا تجاوزت النواحي العراقية منها بل جلال الدين عرا
أطراف الهند * ومن الحقوق الواجبة للملك على الرعية التعظيم والتفخيم لشأنه
في الباطن والظاهر وتعويد النفس على ذلك ورياضتها به بحيث تصير ملكة

مسعره و ر سه الاولاد على دلك وبأده بم به لىربى هدا المعى معهم

وهاهما موصع حكايه وهي أن سلطان هـدا العصر سـ الله قواعـد دوله • وبسط ى الحاصى طل معدله • لما ورد الى بعـداد ى سـه ثمان وبسعس وسمائه دحل المسنصر به لمشاهدتها والىفرح فيها وكان قبل وروده اليها قد رىب وحلس المدرسون على سددهم والفقهاء بين أيديهم وفى أيديهم أحراء القـرآن وهم ىقرؤن منها فاتفق أن الركاب السلطانى بدأ بالاحسار على طائفـه الشافعيه ومدرسها الشيخ جمال الدين عبـد الله بن العـاقولى وهو رئيس الشافعيه ببغداد فلما نظروا اليه قاموا قياماً فقال للمدرس المذكور كيف جاز أن يقوموا الى وىتركوا كلام الله فأجاب المـدرس بحوب م ىقع عـوقع الاستصواب فى الحضره السلطانيه أعلى الله فى الدنيـا كلمتها • وفى الآخره درجتها • ثم بعـد ذلك حكى لى المدرس المذكور صوره السـؤ ل والجواب فأما السؤال فهو ما حكيته وأما جوابه فلم أضبطه وقلت له قد كان يمكن أن يقال فى جواب هذا السؤال بن تركنا للمصحف اذا كان فى أيدينا واشتغالنا بغيره لم يحرم علينا فى شرعنا ولا جعل علينا فى ذلك حرج ثم إن هـذا المصحف الذى قد تركناه وقمنا بين يدى السلطان قد أمرنا فيـه بتعظيم سلاطيننا * ومن الحثوث الواجبه للملك على رعيته النصيحه فما جاء فى الحديث صلوات الله وسلامه على من نسب اليـه قوله صلى الله عليه وسـلم (الدين النصيحه) قيل لمن يارسول الله قال (لله ولرسوله ولجماعه المسلمين) *ومنها ترك اعتاب الملك فى ظهر الغيب قال صلى الله عليه وسلم (لاتسـبوا الولاه فانهم ان أحسـنوا كانوا لهم الاجر وعليكم الشكر وان أساءوا فعليهـم الوزر وعليكم الصبر) وانما هم نقمه ينتقم الله بها ممن يشاء فلا تستقبلوا نقمه الله بالحميه

والعصب واستعلوها بالاستكانة والتضرع ـ وأما الحقوق الواجبة للرعية على الملك فمنها حماية البيضة وسد الثغور وتحصين الاطراف وأمن السوابل وقمع الدعار فهذه حقوق تلزم السلطان تجرى مجرى الفروض الواجبة وبهذه الأمور تجب طاعته على رعيته * وبنحو من هذا احتج الخوارج على أمير المؤمنين على عليه السلام حين انقضاء حرب صفين فقالوا له انك فرطت في حفظ هذا الثغر حتى ثغر الشأم بتحكيمك الحكمين فأنت مخطئ مفرط فليس لك علينا طاعة فان اعترفت بهذا الخطاء واستغفرت رجعنا الى طاعتك وقاتلنا معك العدو فعرفهم عليه السلام أنه علي وأنه في قضية التحكيم وان التحكيم لم يكن من رأيه فأبوا الا على قولهم ولم يقبلوا ونابذوه وقاتلوه حتى كانت الوقعة المشهورة بالنهروان * ومن الحقوق الواجبة للرعية على الملك الرفق بهم والصبر على بادرات هفواتهم * قال صلوات الله عليه وسلامه (ما كان الرفق فى شيء الا زانه ولا كان الخرق فى شيء الا شانه) . وقد روى عنه صلوات الله عليه وسلامه (من الرفق أنساء لا تلقى الا عصب السوء) * كان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر والشأم كثير الرفق موصوفاً به دخل مرة الى الحمام عقيب مرضة طويلة أضعفته وانهكت قوته فأدخل الحمام وهو فى غاية من الضعف فطلب من مملوك كان واقفاً على رأسه ماء حارا فأحضر له فى طاسة ماء شديد الحرارة فلما قرب منه اضطربت يد المملوك فوقعت الطاسة عليه فأحرقه الماء جسده فلم تؤاخذه ولا كلام ثم طلب منه بعد ذلك بساعة ماء بارداً فأحضر له فى تلك الطاسة ماء شديد البرد حتى قرب منه اتفق له ما اتفق فى المرة الاولى من اضطراب يده ووقوع الطاسة عليه بذلك الماء الشديد البرد فغشى عليه وكاد يموت فلما أفاق قال للمملوك إن

كتب بيده فبلى عرفى ولم يرد على هذه الكلمة رضى الله عنه * قيل تقدم رجل أبحر الى بعض الرؤساء يساوره فقال له سخ عن فقد آذيتني قال الرجل لا كرامة ولا عزة ما رأسك وقفا بين يديك الا حتى تحتمل منا ما هو أشد من هذا وبصبر منا على ما هو اعظم منه * ومما يجب للرعية على الملك رفع قوتهم عن ضعفهم وانصاف دليلهم من عزيزهم واقامة الحدود فيهم واقرار حقوقهم مقارها واعانة ملهوفهم وبجانبه مستصرخهم والتسوية فى حكمه بين الأبعد منهم والأقرب والأذل والأعز * قال عمر بن الخطاب لرجل انى لا أحبك قال فينقصنى من حقى شيئا قال عمر لا قال الرجل فما يفرح بالحب بعد هذا الا النساء

ويجب للملك ان يعرف نعمة الله عليه بأن اصطفاه لهذه المرتبة العلية دون سائر الخلق وبأن جعله يفزع منه كل أحد ولم يجعله يفزع من أحد فلا يزال لها ذاكراً شاكراً فاما الذكر فلامتثال قوله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) وأما الشكر فلطلب المزيد لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم)

ويجب أن تكون بينه وبين ربه معاملة سرية لا يعلم بها الا الله فتلك المعاملة تقى مصارع السوء وهذه العبارة مقولة عند جميع أصحاب الملل وعند الحكماء ايضاً هى مقبولة وتكاد تطبق على هذا المطلوب بحسب اعتقادهم

ويجب أن تكون له دعوات ساحى بها ربه وهى دعوات تليق بالملوك لا تصلح للعوام ولا بأس أن أثبت فى هذا الموضع فصلا من الدعاء الملكى وهذا مما اقترحته أنا ولم اعلم ان احداً سبقه عليه * فصل من الدعاء مختصر * اللهم انى أبرأ اليك من حولى وقوتى وألجأ الى حولك وقوتك احمدك على ان اوجدتنى من العدم وفضلتنى على كثير من الامم . وجعلت فى يدى

ومام حلفك . واسحلفنى على ارصك ، اللهم خذ بيدى فى المصائب .
واكشف لى وجوه الحقائق . ووفقنى لما تحب . واعصمنى من الزلل ولا
تسلب عنى ستر إحسانك وقنى مصارع السوء واكفنى كيد الحساد .
وشماته الاضداد. والطف بى فى سائر مقصودى . واكفنى من جميع مهمانى .
يا أرحم الراحمين * ويحسن بالملك العاقل إكرام فضلاء رعيته واختصاصهم
بالبر قال بعض الحكماء لا يجوز ان يكون العاقل من الرجال الا مع الملوك
مكرماً او مع النساك متبتلا كالفيل لا يحسن ان يرى الا فى موضعين اما فى
البريه وحشياً واما للملوك مركباً كما قال الشاعر (وافر)

كمثل الفيل ما عند مليك وإما فى مراتعه مسبعا

. مما يكره للملك مخالطه الاندال . والسوقه والجهال فان سماع
ألفاظهم الساقطه ومعانيهم المرذوله وعاداتهم الدنيه مما يحط الهمه ويضع
المنزله ويصدئ القلب ويزرى بالملك ومخالطه الاشراف ومعاشره أفاضــل
الرجال مما يعلى الهمه ويذكى القلب ويصفى الذهن ويبسط اللسان * وتلك
قاعده مطرده للملوك ما زالوا يدخلون اليهم عوام الرعيه ويعاشرونهم
ويستخدمونهم ولم يخل احد من الخلفاء من مثل هذا وكان لسان حالهم يقول
نحن نحلى الكبار كباراً فاذا خصصنا عاماً نوهنا بذكره وقدمناه حتى نصير
من الخواص كما انا اذا أعرضنا عن احد من الخواص أرذلناه حتى نصير من
اراذل العوام وكذلك هو فان هذه خاصيه من خواص الملك وقد سبق
ذكرها وكل هذا مأخوذ من الخواص الالهيه فان العنايه الالهية اذا صدرت
دره منها الى النفوس صار ذلك الانسان نبياً أو إماماً او ملكا واذا صدرت
فى حق الزمان صار ذلك اليوم يوم العيد الكبير وليله القدر وايام الحج وايام

المواسم والربارات لساثر الامم و دا صدرت ملك الدره فى حق المكان صار ست مكة والبيت المقدس والمساهد و لحو مع والربارات والمعبدات مواصع المعربات

وهاهنا موصع حكايه كان سعداد حال لها له عبد العبى بن الدربوس وصل فى ايام المستنصر حتى صار بر حاق بعص أبراج در الخلعه فنا رال بحسن التوصل الى ولد المستنصر وهو المستعصم آخر الخلفاء وكان فى رمن مه محبوساً فما رال هدا البراح متعهده بالخدمه طول مده الايام المستنصر به الى أن بوفى المستنصر وجلس على سرير الخلافه ولده ابو احمد عبد الله المستعصم فعرف لهذ البراح حق الخدمه و سبقه متقدم البراحس وفى آخر الامر استحجبه فى باطن دوره وخصه وقدمه حتى بلغ الى به صار اذا دخل لى لورير سهص له ويخلى لمجلس من جميع الناس اذ كان بن الدربوس حاضراً وسبب اخلاء المجلس لو بوى عند حضور ابن الدربوس لأجل انه يمكن ان يكون قد جاء فى مسافهه من عند الخليفه ولقب بحم الدين الخاص وصار من أخص الناس بالخدمه وبلغ من منزلته به كان سعص اصحاب الديوان عند الخدمه وكان صاحب الديوان يعرض مطالعاته ومهامه على يد نحم الدين الخاص وكان بيده فى كل سنه مال طائل حتى يحفظ عنه وبر به فى الحضره الخليفه

وحرى بيني وبين جمال الدين على بن محمد الا سحردانى رحمه الله كلام فى معنى هدا ابن الدربوس فصوبت أنا رأى المستعصم فى الاحسان اليه وقلت انه خدمه وأنت عليه حقاً وقد كافأه فلا عيب فى هدا وقال جمال الدين رحمه الله ما معناه ان تسلطه لمثل ذلك الأحمق على أعراض الناس

وأموالهم وادخاله في المملكة حتى كاد ان يولي الوزراء وندرلهم فسبح من المستعصم دليل على جهله والا فان كان مراده الاحسان اليه مكافأة له على ساني خدمته فقد كان يجب ان يكون ذلك بمال يعطاه او رفع منزلة لا يحمل سببها أمر في المملكة . لا طريق بها قدح في عمل الخليفة وكان نظر جمال الدين في هذا المعنى دون من نظري والحق في جانبه رحمه الله وكانت هذه المفاوضة بيني وبينه في كتاب كتبته اليه افتضى الحال فيه ذكر هذه القصة وكتب هو الجواب عنه وأعاد كتابي اليّ لأني التمست منه اعادته لاني والكتابان عندي هذا التاريخ عندي بخطي وخطه رحمه الله ومما يليق بالملك الفاضل ويكمل فضله ان يكون عالي الهمة وحب الصدر محبا للرئاسة معداً لها أسبابها طامح النظر اليها معملا فكره في توسيع مملكته وعلو درجته عن محلها الى السمو ولا حاجة الى الترف ولا منهمك في اللذات قال بعض حكماء الفرس همم الناس صغار وهمم الملوك كبار . وألباب الملوك مشغولة بكل شيء عظيم . وألباب السوقة مشغولة بأخس الاشياء ولعل الملك ان الرئاسة عروس مهورها الانفس * نظر معاوية الى عسكر امير المؤمنين علي عليه السلام في صفين فالتفت الى عمرو بن العاص وقال من يطلب عظيما يخاطر بعظيم وان نظرت فيما احاول فاذا الموت في طلب العز احسن عاقبة من الحياة مع الذل قال بعض الشعراء

(طويل)

هي النفس ان ماتت فقد مات فضلها كرام وان تسلم فللحدثان

اذا النفس لم تسم الى طلب العلى فملك من الاموات في الحيوان

ومن الغاية في هذا المعنى قول امرئ القيس (طويل)

ولو ان ما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل امثالى

ومما يكمل فضيلة الملك ان يكون موه الاختيار عنده سليمة لم تعترضها آفة فيكون مختار الرجال اختياراً فاضلا . كان الناصر آية الدنيا فى اختيار الرجال فكان من توصلا به الى معرفه الرجل ان اشكل عليه حاله ان يسمع بين الناس انه يريد ان يوليه المنصب الفلانى ثم يمادى فى ابرام ذلك أياما فيملئ البلد بالاراجيف لذلك الرجل فيفترق فيه الناس فقوم يصوبون ذلك الرأى ويصفون فضائل الرجل وقوم يغلطون الخليفة ويذكرون عيوب الرجل وللخليفة عيون وأصحاب أخبار لا تؤبه لهم يخالطون أصناف الناس فيكتب أصحاب الأخبار اليه بما الناس فيه من الفليان فى ذلك فيعرف بصحة نظره وعمره أى القولين أرجح وأصوب فان رجح فى نظره تفضيل الرجل ولاه وخلع عليه وإن ترجح عنده قول الطاعنين عليه وتبين له نقصه تركه وأعرض عنه . وفى الجلة فحسن الاختيار أصل عظيم قال الشاعر (بسيط)

من كان راعيه ذئباً فى حلوبه ... فهو الذى نفسه فى أمره ظالما

يرجو كفايته والغدر عادته ... ومن يرد خائناً يستسمو الندما

ومما يكره للملوك المبالغة فى الميل الى النساء والانهماك فى محبتهن وقطع الزمان بالخلوه معهن فأما مشاورتهن فى الأمور فجلبة للعجز ومدعاة الى الفساد ومنبهة على ضعف الرأى اللهم إلا أن يكون مشاورتهن يراد بها مخالفتهن كما قال عليه السلام (شاوروهن وخالفوهن) وفى هذا الحديث سؤال وجواب إن قال قائل اذا كان المراد مخالفتهن فى آرائهن فأى فائدة فى الامر بمشاورتهن وقد كان يكفى فى هذا أن يقال خالفوهن فيما يشرن به فالجواب من وجهين أحدهما أن الامر الاول للاباحة والامر الثانى للوجوب

نعى اذا شاورتموهن فخالفوهن والآخر أن الصواب لا يزال فى خلاف أرائهن فاذا أشكل عليكم الصواب فشاوروهن فاذا ملن الى شئ فاعلموا أن الصواب فى خلافه وفى هذا تظهر فائدة الأمر بمشاورتهن نعني بها تستدل على الصواب * وحدث ان عضد الدولة فناخسرو بن بويه شغفته امرأة من جواريه حباً وعابت عليه فشغل بها عن تدبير المملكة حتى ظهر الخلل فى مملكته فخلا به وزيره وقال له أيها الملك إن هذه الجارية قد شغلتك عن مصالح دولتك حتى لقد تطرق النقص عليها من عدة جهات وما سبب ذلك إلا اشتغالك عن اصلاح دولتك بهذه الأمة والصواب أن تتركها وتلتفت الى اصلاح ما فسد من مملكتك قال فبعد أيام جلس عضد الدولة على مشرف له على دجلة ثم استدعى الجارية فحضرت فشاغلها ساعة حتى غفلت عن نفسها ثم دفعها الى دجلة فغرقت وفرغ خاطره من حبها واشتغل باصلاح أمور دولته فاستعظم الناس هذا الفعل من عضد الدولة ونسبوه فيه الى قوة النفس حين قويت نفسه على قتل محبوبته * وأنا أستدل بهذا الفعل على ضعف نفس عضد الدولة لا على قوتها فانه لو لم يحس من نفسه بالانفعال العظيم لحبها لما توصل الى عدمها ولو تركها حبة ثم أعرض عنها لكان ذلك هو الدليل على قوة نفسه * ولكل صنف من الرعية صنف من السياسة فالافاضل يساسون بمكارم الاخلاق والارشاد اللطيف والاوساط يساسون بالرغبة المروجة بالرهبة والعوام يساسون بالرهبة والزامهم الحدود المستقيم وقسرهم على الحق الصريح * واعلم أن الملك لرعيته كالطبيب للمريض إن كان مزاجه لطيفاً لطف له التدبير ودس له الأدوية المكروهة فى الاشياء الطيبة وتحيل عليه بكل ممكن حتى تبلغ غرضه من برئه وان كان مزاجه غليظاً عالجه

عن العلاج وصريحه وشديده ولذلك لا ينبغي للملك أن يهدد من يكون في تأديبه الاعراض والمعطب وكذلك لا ينبغي أن يحبس من يكون في تأديبه التهديد كما أنه لا ينبغي أن يضرب من يكون في تأديبه الحبس ولا أن يقتل بالسيف من يكون في تأديبه ضرب العصا ، وتمييز هذه الحالات بعضها من بعض أعني معرفة الجرم الذي يكون فيه التهديد ولا يحتاج الى الحبس أو يكون فيه الحبس ولا يحتاج الى الضرب يحتاج الى لطف حدس وصحة تمييز وصفاء خاطر وفطنة تامة وفطانة كاملة فما أشد ما ينبغي الاخلاق ويلبس لامرجه والطباع * ويجب على الملك أن ينظر في أمر القتل وإزهاق النفس فيعلم أنه الحادث الذي لا حيلة للتحول بعده في تلافيه ولو جهد أهل الارض كلهم على إعادته في الحياة لم يقدروا على ذلك وبحسب هذا الحال يجب أن يكون تثبته في إزهاق النفس وهدم الصورة وتأنيه وترويه حتى تقوم الأدلة على وجوب القتل فاذا وجب عمله على الوضع المقصود من غير تأن فيه ونوع غريب وعمل بالمعقول * وورد عن سيد البشر صلوات الله عليه وسلامه (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالسيف قبض بن ملجم وحبس حتى ينظر ما يكون من أمر علي عليه السلام فجمع علي ولده وخاصته وقال يا بني عبد المطلب لا تجتمعوا من كل صوب تقولون قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة ولو بالكلب العقور وانظروا اذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربوه ضربة بضربة

ومن فوائد التأني والتثبت في القتل الأمن من الندم حتى لا يحدث الندم * كان أفاضل الملوك والخلفاء يستعملون هذه الخصلة كثيراً فلا

يسرعون الى قبل رجل معروف مشهور خوفاً أن يحتاجوا اليه بعد ذلك فيبدرون عليهم بل كانوا يحبسونه في غوامض دورهم ويقيمون له كل ما يحتاج اليه من أطعمة شهية وفواكه وثلج وأسرة وفرش وتبر ويحملون اليه كل ما يلهو بها وينقطعون خبره عن الناس حتى يثبت في نفوس أهله وأصحابه أنه قد هلك ثم يستصفى أمواله وأموال أصحابه ويستخرج ذخائره وودائعه وبصير في عداد الموتى فلا يزال كذلك حتى تدعوهم الحاجة اليه فيخرجونه مكرما وقد تأدب وتهذب ، مسرح ؟

من لم تؤدبه والداه	أدبه الليل والنهار

وههنا مزلة ربما وقع فيها أفاضل الملوك وهي ان بعض الملوك ربما كان معجباً بنفسه محباً لان ينشر عنه حديث صرامة وشهامة وسياسة فاهرة فيسهل بالقتل ويسهل أمره ويبادر اليه ويرخصه بأنه الهيبة واقامة السياسة من غير البينات الى ما في طي ذلك من ارهاق النفس الى حرمة الا بالحق وهذا من أخطر الأمور على الملك والصواب أن لا يزال في نفسه كارهاً للقتل صادفاً عنه مهما أمكن حتى تدعو اليه ضرورة ليس منها حيلة فحينئذ يقدم عليه بنفس قوية وجنان ثابت فان قتل واحد أصلح من تركه حتى يحتاج الى قتل خمسة وقتل خمسة خير من تركهم حتى يدب فسادهم حتى تبلغ الحاجة الى قتل مائة ومن أجل ذلك قال الله تعالى (ولكم في القصاص حياة) وقيل القتل أنفى للقتل ، وقال الشاعر	(طويل)

سفك الدما يا جارتي تحقن الدما	وبالقتل تنجو كل نفس من القتل

وقال المتنبي	(كامل)

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى	حتى يراق على جوانبه الدم

أوصى بعض الحكماء بعض الملوك قال أيها الملك انما هو سمعك ودرهمك فازرع بهذا من شكرك واحصد بهذا من كفرك . جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله اني رجت حمد الحمد في فأعرض عنه رسول الله والتفت الى يمينه فدار الرجل حتى حاذاه وأعاد القول فأعرض عنه السلام ثم مرة أخرى فعاود القول والتمس أحد الحمد منه فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم إرهاق نفسه فقال له كي يعلمه لا يكون قد قلت أو عاقبت أو ألمت ولم يفعل قال لا يا رسول الله ولكن ربت فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل الرجل وأصحابه كي يعلمهم أيضاً الاعتذار عنه وقال كأنه مسرور في عمله قالوا لا يا رسول الله ما نعرفه الا بالفلاح فحمدته لم تر للنبي صلى الله عليه وسلم حمله فأمر باسداء الحمد له والمطامير العامضة المخلدة فيها نوع دعاء العمل مع الأمن من الندم الحسي فيه * وأما أصناف العقوبات فيجب على الملك الكامل أن يعم النظر فيها ايضاً فكم من عقوبة قد أتت على وجه المعاقب من غير أن يراد إرهاق نفسه وأصعب ما فيها التعذيب بالنار وهي عقوبة عن مشاركة لأن العقوبة بالنار مخصوصة بالله عز وجل فلا يجوز للعبد ان يشاركه فيها والنظر في اصناف العقوبات موكل الى نظر الملك الفاضل ويحسب ما تقتضيه الحال الحاضر ولكن الاصل الكلي فيه ان يكون الملك في نفسه كارهاً لذلك غير منجل به لا يبادر اليه ولا يقدم عليه الا اذا دعت اليه ضرورة ماسة لا يقضي فيها حق نفسه ولا يشفي بها غيظ صدره وهذا مقام صعب لا يرقى اليه أحد الا من أحد التوفيق بيده * قيل ان علياً عليه السلام صرع في بعض حروبه رجلا ثم قعد على صدره ليحتز رأسه فبصق ذلك الرجل في وجهه فقام عليّ

عليه السلام وبركه فلما سئل عن سبب قيامه وبركه قبل الرحل بعد التمكن منه قال انه لما نصبنى فى وجهى عطف منه خفت ان مثله ان تكون للغضب والسخط نصيب فى قبله وما كنت أحب أن افعله الا خالصاً لوجه الله تعالى • قال أبرويز الملوك يشمون بالافعال لا بالاقوال ويسه ون بالايدى لا بالألسن وقد نظم هذا المعنى شاعر العرب فقال (طويل)

ويجهل أيدينا ويحلم رأينا وسم بالافعال لا بالكلم

ومما يكره للملك لانهماك فى اللذات وسماع الاغانى وقطع الزمان به قال الشاعر أبو الفتح البستى (بسيط)

اذا عقد ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس فى الميزان هابطة لما غدا وهو برج اللهو والطرب

وما دخل الخذلان على ملك من طريق اللهو واللعب كما دخل على جلال الدين بن خوارزمشاه فانه لما هرب من المغول سعوه فكان اذا رحل عن بلده نزلوها بعده واذ أصبح فى مكان أمسوا هم فى المكان يريدون قصده وهو مع ذلك مواصل لشرب الخمر عاكف على الدف والزمر لا ينام لا سكران ولا نصبح الا مخمورا نشوان وعسكره فى كل يوم تقل واسره فى كل يوم يزيد ضطراباً ورأيه فى كل لحظة يقل وحده يقل وهو لا يشعر بذلك ولا يلتفت اليه حتى قال شاعره مخاطبه (دوبيت)

شاها زمى سكران چه خواهد خاست

وزمستى هر زمان چه خواهد خاست

شه مست وجهان خراب ودشمن پس وپيش

پيداست كه أزين ميان چه خواهدخاست

وممن دخل النقص عليه من الملوك بسبب اللهو واللعب محمد بن زبيدة الأمين كان كثير اللهو واللعب منهمكا في الملاهي فقيل انه لعب يوماً هو ووزيره الفضل بن الربيع بالنرد فتراهنا في خاتميهما فغلب الأمين فأخذ الخاتم وأرسل في الحال وأحضر صائغاً وكان على خاتمه مكتوب الفضل بن الربيع فقال للصائغ اكتب تحته كلب ففعل الصائغ ذلك في الحال ثم أعاد الخاتم الى الفضل بن الربيع وهو لا يعلم ما نقش عليه ثم مضت على ذلك مدة وبعد أيام دخل الفضل بن الربيع عليه فقال له ما على خاتمك مكتوب قال اسمي واسم ابي فتناوله الأمين ثم قال له ما هذا المكتوب تحت اسمك فلما رآه الفضل بن الربيع فهم القضية وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا والله هو الخذلان المبين انا ووزيرك ولي العهد كلب وكذا يوما أخي الكلب بهذا في الاطراف وهو على هذه الصفة هذا والله آخر الدولة ودمارها والله لا أفلحت ولا أفلحنا معك فكان القصة كذلك بعد ذلك بيسير وكان المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف باللهو واللعب وسماع الأغاني لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم واللذات لا يرعون له صلاحا وفي بعض لأمثال الخائن لا يسمع صلاحا وكتبت له الرقاع من العوام وفيها أنواع التحذير وألفت وفيها الاشعار في أبواب دار الخلافة فمن ذلك (مجتث)

قل للخليفة مهلا	أتاك ما لا تحب
ها قد دهتك فنون	من المصائب غرب
فانهض بعزم والا	غشاك ويل وحرب
كسر وهتك وأسر	ضرب ونهب وسلب

وفى ذلك يقول بعض شعراء الدولة المستعصمية من قصيدة أولها

(بسيط)

ما سائلي ولحص الحوب برتاد أصبح فيه دى نشدان وانشاد
واصبحه الناس والدين الحنيف وما بلقاه من حادثات الدهر بعداد
هلك وقبل وأحداث تشيب بها رأس الوليد وبعدت وأصفاد

كل ذلك وهو عاكف على سماع الأغانى واستماع المثالث المثانى وملكه قد أصبح وهى المبانى * ومما اشتهر عنه أنه كتب الى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوى الطرب وفى تلك الحال وصل رسول السلطان هولاكو اليه يطلب منه منجنيقات وآلات الحصار فقال بدر الدين انظروا الى المطلوبين وابكوا على الاسلام وأهله ولعمى أن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى كان فى أواخر الدولة المذكورة ينشد دائما

(خفيف)

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم ضيعوا الحزم فيه أى ضياع
فمطاع وليس فيه سداد وسديد المقال غير مطاع

قالوا ولا ينبغى للرجل الكامل إلا أن يكون فى الغاية القصوى من طلب الرئاسة أو فى الغاية القصوى من تركها (وافر)

اذا ما لم تكن ملكا مطاعا فكن عبداً لخالقه مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعا كما تهواه فاتركها جميعا

وها هنا موضع حكاية تشتمل على أدوات الرئاسة * قيل ورد أبو طالب الجراحىّ الكاتب ولم يكن فى عصره أكتب ولا أفضل منه الى الرى قاصداً حضرة ابن العميد فلم يجد عنده قبولا ولا رأى عنده ما يحب فعارقه وقصد

أذربيجان وسار الى مملكها وكان فاضلا لبيباً فلما اختبره وعرف فضله سأله المقام عنده وأفضل عليه فأقام لديه على أفضل حال فكتب الى ابن العميد يوبخه على جهل حقه وتضييعه لمثله فمن جملة الكتاب حدثني بأي شيء تحتج اذا قيل لك لم سميت الرئيس واذا قيل لك ما الرئاسة أتدرى ما الرئاسة الرئاسة أن يكون باب الرئيس مصونا فى وقت الصون ومفتوحا فى وقت الفتح وأن يكون مجلسه عامراً بأفاضل الناس وخيره واصلا الى كل احد وإحسانه فائضا ووجهه مبسوطا وخادمه مؤدبا وحاجبه كريما طلقا وبوابه لطيفا ودرهمه مبذولا وطعامه مأكولا وجاهه معرضا وذكرته مسودة بالصلات والجوائز والصدقات وأنت ثيابك لا يزال مقفلا ومجلسك خاليا وخيرك ممنوطا منه وإحسانك غير مرجو وخادمك مذموم وحاجبك هرار وبوابك شرس الاخلاق ودرهمك فى الميوق وتذكرتك محشوة بالقبض على فلان واستئصال فلان وبنى فلان فبالله عليك هل عندك غير هذا ولولا أنى أكون قد دست بساطك وأكلت من طعامك لأشمت هذه الرقعة ولكنى أرعى لك حق ما ذكرت فلا يعلم بها الا الله وأنت ووالله ثم والله ثم والله ما لها عندى نسخة ولا رآها مخلوق غيرى ولا علم بها فأبطلها أنت اذا وقفت عليها وأعدمها (والسلام على من اتبع الهدى) ويجب ان يكون الملك مجازيا على الاحسان بمثله وعلى الاساءة بمثلها لتكون رعيته دائما راجين لبره خائفين من سطوته وما احسن قول النابغة للنعمان بن المنذر فى هذا الباب وهو

(بسيط)

ومن اطاعك فانفعه بطاعته	كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة	تنهي الظلوم ولا تقعد على ضمد

وقال الفرس فساد المملكة واستجراء الرعية وخراب البلاد بابطال الوعد والوعيد ولا بلوى بالملك الفاضل أن يكون اعجاره برخارف الملك مما حويه يده واشتملت عليه خزائنه من نفائس الذخائر وطرائف المقتنيات فان ملك برقاب لا يحتاجون لها ولا معرج لفاصل عليها • وكذلك لا ينبغي له أن يكون فخره بالآباء والأجداد وانما ينبغي أن يكون فخره بالفضائل التي حصلها • والأخلاق التي كملها • والآداب التي استفادها • والأدوات التي استجادها

افتخر بعض الأغنياء عند بعض الحكما بالآباء و لأجداد وبزخارف المال المستفاد فقال له ذلك الحكيم ان كان في هذه الاشياء فخر فينبغي أن يكون الفخر لها لا لك وان كان آباؤك كما ذكرت أشبها فالفخر لهم لا لك •

قال المسعدى كان بعض الحكماء اذا وصف عنده انسان يقول هو عصامي أم عظامي فان قيل له هو عصامي بل في عينه وان قيل هو عظامي سقط من عينه وقوله عصامي إشارة الى قول القائل (رجز)

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما

وصيرته ملكا هماما

يعني أنه بفعله وبنفسه صار رئيساً وقوله عظامي يعني أنه يفتخر بالآباء والأجداد والعظام النخرة • قال المسعدى لبعض أصحاب ابن العميد ذي الكفايتين كيف رأيت الوزير فقال رأيته بأسى العود • دميم العود • سيئ الظن بالمعبود • فقال المسعدى أما رأيت ثلاث الأبهة والصيت والموكب والاحمل الظاهر والدار الجليلة والفرس السني والحاشية الجملة فقال ذلك ارحل الدولة عن السودد والسلطنة عن الكرم والحظ عن المجد أين الزوار

والمنحمون وأين الآملون والشاكرون وأين الواصفون الصادقون وأين المنصرفون الراصون وأين الهاب وأين المعضلات وأين الخلع والدسعات وأين الهدايا وأين الصافات هيهات هيهات لا تحيء الرئاسة بالبرهات ولا تحصل الشرف بالخزعبلات اما سمعت قول الشاعر (متقارب)

أناحمهر لبس فضل الفتى　　اذا راح فى فرط إعجابه
ولا فى فراهة برذونه　　ولا فى ملاحة أثوابه
ولكنه فى فعال الجميل و لكرم الأصل فى بابه

ولمؤلف هذا الكتاب أصلح الله شأنه وصانه عما شانه . فى هذا المعنى　　(خفيف)

ليس فضل الفتى على الناس فى ثو　　ب ودر وبغلة ولجام
بل بالفضل فى مقصد جار　　وحسب وصاحب وعلام

قالوا السياسات خمسة نوع سياسة المنزل والقرية والمدينة و الجنس والملك فمن حسن سياسة فى منزله حسن سياسة فى قريته ومن حسن سياسة فى قريته حسن سياسة فى مدينته ومن حسن سياسة فى مدينته حسن سياسة للجنس ومن حسن سياسة للجنس حسن سياسة للملك * وأنا لا أرى هذ لازماً فكم من عامى حسن السياسة لمنزله ليس له قوة سياسة الأمور الكبار وكم من ملك حسن السياسة لمملكته ليس يحسن سياسة منزله والمملكة تحرس بالسيف وتدبر بالعلم واختلفوا فى السيف والعلم ايهما افضل وأولى بالتقديم فقوم يرون ان يكون العلم عاليا للسيف واحتجوا على مذهبهم بأن السيف يحفظ العلم فهو يجرى منه مجرى الحارس والخادم وقوم يرون ان يكون السيف هو العالى واحتجوا بأن العلم

بخدم السيف لانه يحصل لأصحاب السيوف ارزاقهم فهو كالخادم له * وقوم قالوا هما سواء ولا غنى لأحدهما عن الآخر قالوا الملك يحصن بالسخاء ويعمر بالعدل ويثبت بالعقل ويحرس بالشجاعة ويساس بالرئاسة * وقالوا الشجاعة لصاحب الدولة * ومن وصايا الحكماء احمل قال عدوك آخر حملك وانتهز الفرصة وقت امكانها وكل الأمور الى أماكنها ومن ركب ظهر العجلة لم يأمن الكبوة ومن عادى من لا طاقة له به فالرأى له مداراته وملاطفته والتضرع اليه حتى يخلص من شره بعض وجوه الخلاص * قالوا وينبغى للملك ملاطفة اعدائه واخوان اعدائه فبدوام الاحسان اليهم يزول عداوتهم وان أصروا على عداوته بعد احسانه كانوا قد نعوا عليه ومن نعى عليه لينصرنه الله * وعظ بعض الحكماء بعض افاضل الملوك فقال

الدنيا دول فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم يدفعه بقوتك والسر مخوف ولا يخافه الا العاقل والخير مرجو يطلبه كل أحد وطالما يأتى الخير من ناحية السر ويأتى السر من جهة الخير وهذا مأخوذ من قوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) * وها هنا موضع حكاية تقدم نور الدين صاحب الشام الى أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين يوسف بن أيوب بالتوجه الى مصر لأمر بدا له فقال أسد الدين شيركوه يا مولانا ما أتمكن من هذا دون أن يجيء معى يوسف بن أخى يعنى صلاح الدين قال فتقدم نور الدين الى صلاح الدين بالتوجه صحبة عمه أسد الدين شيركوه فاستعفاه صلاح الدين من التوجه وقال ليس لى استعداد فتقدم نور الدين بازاحة علله وجزم عليه فى التوجه قال صلاح الدين فخرجت مع عمى كارهاً

وأنا كن يقاد الى المذبح فلما وصلنا مصر وأقمنا بها مدة كان منى ما كان من تملك مصر ثم ملكها صلاح الدين وعرضت مملكته وتملك الشأم بعدها وسأنبيك نبأ هذا مفصلا مشروحا عندالكلام على الدولة الصلاحيه إن شاء الله تعالى ووفق * قالوا العدو عدوان عدو ظلمك وعدو ظلمته فأما العدو الذي ظلمته فلا تثق اليه واحترز منه معها أمكنك وأما العدو الدى ظلمك فلا تخشه كل الخوف فانه ربما استحيى من ظلمك وندم فرجع لك الى ماتحب منه وان أصر على ظلمك انتصف لك منه من اليه ملجأ المظلومون

وربما نفع العدو وضر الصديق * قال الاسكندر انتفعت بأعدائى أكثر مما انتفعت بأصدقائى لان أعدائى كانوا يعيروني ويكشفون لى عيوبى وينبهونى بذلك على الخطأ فأستدركه وكان أصدقائى يزينون لى الخطأ ويشجعونى عليه * وقال الشاعر (طويل)

وما ساءنى الا الذين عرفتهم جزى الله خيرا كل من لست أعرف

وقيل للاسكندر بم نلت هذه المملكة العظيمة على حداثة السن قال باستمالة الاعداء وتصييرهم بالبر والاحسان أصدقاء وتعاهد الاصدقاء بأعظم الاحسان وأبلغ الاكرام * قال بعض الحكماء لا يرد بأس العدو القاهر مثل التذلل والخضوع كما أن النبات الرطب يسلم من الريح العاصفة بلينه لانه يميل معها كيف مالت * وما لهج الملوك بشيء أشد من لهجهم بالصيد والقنص وهو الشيء الذى طالما اتفقت فيه النكت العجيبة . والطرف الغريبة . وكان المعتصم ألهج الناس به بنى فى أرض دجيل حائطاً طوله فراسخ كثيرة وكان اذا ضرب حلقة يضايقونها ولا يزالون يحدون الصيد حتى يدخلونه وراء ذلك الحائط فيصير بين الحائط وبين دجلة فلا يكون للصيد مجال فاذا انحصر

في ذلك الموضع دخل هو وولده وأقاربه وخواص حاشيته وأمروا في الفعل وسرحوا ففعلوا ما فعلوا وأطلقوا الباقي » وقيل إن المعتصم وسم بيده من حمر الوحش وأطلقهم لأنه بلغه أن أعمارها طويلة وها هنا موضع حكاية طريفة عجيبة ، حدثني صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الأرموي قال حدثني مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير قال خرجنا مرة في خدمة الخليفة المستعصم إلى الصيد وصرنا خلفه فرسخاً من الحلبة وهي قرية من بغداد والحلة ثم تصاعف الخليفة حتى صار الفارس منا يصيد الحيوان بيده فخرج في حملة حمر الوحش حمار كبير لحقه غلامه ووسم فقرأناه وإذا هو وسم المعتصم قال فلما رآه المستعصم وسمه بوسمه وأطلقه وكان بين المعتصم وبين المستعصم حدود خمس مائة سنة ومن ظريف ما سمعت من أمر الصيد ما حدثني به رجل من أهل الأدب ببغداد قال حدثني محمد بن صالح البازياري قال تصيدنا بين يدي السلطان أياما يوما فطار ونحن بين يديه ثلاثة كراكي على سمت مستقيم فأطلقنا شاهيناً فعلا وحط على الأعلى من الكراكي فقطعه فوقع على الثاني فكسره ثم وقعا كلاهما على الثالث فكسره فوقعت الثلاثة بين يدي السلطان قال فعجب من ذلك غاية العجب وخلع علينا جميعا » وقال الصاحب علاء الدين في جهان كشاي إن حلقة جنكز خان كان أمدها مسير ثلاثة شهور

وما أرى هذا الا مستبعداً وما لهج الملوك بالصيد هذا اللهج الشديد ولا كلفوا به هذا الكلف العظيم وأطلقوا للبازيارية الأموال الجليلة وأقطعوهم الاقطاعات السنية وسهلوا عليهم حجابهم وقطعوا معظم زمانهم فيه باطلا ولا عبثا فإن القنص يشتمل على فوائد كثيرة جليلة النفع منها وهو الغرض

لأشرف منه عرس العساكر على الركض والكر والعطف وتعويدهم على
فروسه وادمانهم للرمى بالنشاب والضرب بالسيف والدبوس واعتاد العمل
والسمك وتعلق المالاه بار فه الدماء وعصب النفوس * ومنها احسار الخيول
ومعرفه سمنها وصبرها على دوم الركض ومنها أن حركة الصيد حركة
رياضيه تعين على الهضم وتحفظ صحه المزاج * ومنها فضل لحم الصيد على باقى
اللحوم لانه نظيفه من لحوم حر وبه العريزيه فيزيد فى حرارة
الانسان * قال بعض الحكماء وحير لحم ما أقلته الجوارح افلاقا * ومنها
الطرف العجيبه التى سعى فيه وقد تقدم ذكر شىء منها وكان يزيد بن
معاويه أشد الناس كلفا بالصيد لا يزال لاهيا به وكان يلبس كلاب الصيد
الأساور من الذهب والجلال المنسوجه منه ويهب لكل كلب عبداً يخدمه
قيل إن عبد الله بن زياد أخذ من بعض أهل الكوفه أربع مائة الف دينار
جنايه وحطها فى حزن بيت المال فرحل ذلك الرجل من الكوفه وقصد
دمشق ليشكو حاله الى يزيد وكانت دمشق فى تلك الايام فيها سرير الملك
فلما وصل الرجل الى ظاهر دمشق سأل عن يزيد فعرفوه أنه فى الصيد
فكره أن يدخل دمشق وليس يزيد حاضراً فيها فضرب خيمته ظاهر المدينه
فأقام به ينتظر عود يزيد من الصيد فبينما هو فى بعض الايام جالس فى خيمته
لم يشعر إلا بكلبه قد دخلت عليه الخيمه وفى قوائمها الاساور الذهب وعليها
جل يساوى مبلغاً كثيراً وقد بلغ منها العطش والتعب وقد كادت تموت عطشاً
عطشا فعلم أنها ليزيد وأنها قد شذت منه فقام اليها وقدم لها ماء وتعهدها
بنفسه فما شعر إلا بشاب حسن الصوره على فرس جميل وعليه زى الملوك
وعليه عبره فقام اليه وسلم عليه فقال له أرأيت كلبه عابره بهذا الموضع فقال

ثم ماموﻻ ما ها هي في الخيمة قد شرب ماء واستراحت وقد كانت لما جاءت الى ها هنا جاءت على غاية من العطش والتعب فلما سمع يزيد كلامه نزل ودخل الخيمة ونظر الى الكلبة وقد استراحت فحدث محلها لتخرج فشكا الرجل اليه حاله وعرفه ما أخذ منه عبد الله بن زياد فطلب دواة وكتب له برد ماله وخلعة سنية وأخذ الكلبة وخرج فرد الرجل من ساعته الى الكوفة ولم يدخل دمشق * وكان السلطان مسعود بالغ أيضاً في ذلك وبالبس الكلاب الجلال الأطلس الموشاة ويسورها بالاساور وكان يقلل في بعض الوقت لالتفات لى أمير الدولة ابن التلميذ الطبيب النصراني وكان فاضلا طريفاً فقال (كامل)

مَن كان يلبس كلبه وشياً ويقنع لي بجلدي
فالكلب خير عنده مني وخير منه عندي

وحدثني الامير فخر الدين بن قسيم قال ضرب جدي الملك قسيم حلقة للصيد فوقع فيها بسان فصير جد كفصير يكون عمره خمس سنين وقد طالت أظفاره وشعر بدنه طولا مفرطا قال فأمسكوه وأحضروه بين يدي الناصر فاستنطقوه فلم ينطق فاحضروا له الطعام فلم يأكل والماء فلم يشرب فاجتهدوا معه بكل ممكن على أن يتكلم وهو صامت لا ينطق بشيء فقال له بعض الحاضرين فأي شيء يريد فلم يتكلم فقال له يريد تطلقك تحرك رأسه يعني نعم قال فتقدم الناصر باطلاقه فلما أطلق عدا أشد من عدو الغزال ثم دخل البرية * سئل بزرجمهر عن أردشير فقال أحيى الليل للحكمة وفرغ النهار للسياسة * وقيل له لأي حال عم كسرى تعرفونه جميع رعيته قال خوفاً ان تعرفه المسيحية * قيل له فكيف يمكن ان لم تعرفونه جميع

رغبته قال ثم كان يسوي لهم الخبز فإذا سوى لهم الخبز قعد عنهم بمعروفه *
روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال يزع الله بالسلطان أكثر مما
يزع بالقرآن قالوا لأن الناس يخافون من عواجل العقوبة أشد مما يخافون
من آجلها

ومما لا يليق بالملك الكامل الافاضة في مجلسه في وصف الطعام والنساء
لئلا يشارك بذلك العامة لأن العامة قد قنعوا من عيشهم بالشبع و وقفوا
عليه وتركوا الأمور الكبار فإذا ارادوا أن يفيضوا في حديث لم يكن لهم الا
وصف أنواع الاطعمة ووصف أصناف النساء * قال الأحنف بن قيس
جنبوا مجالسنا ذكر الطعام والنساء فإني أبغض أن يكون الرجل وصافاً لبطنه
مداحاً لفرجه مائلا بصبوه الى النساء * قال أبرويز لابنه لا توسعن على
جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك وأعطهم عطاء قصداً
وامنعهم منعاً جميلا ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء * ولما
سمع المنصور هذا الكلام صادف منه موضعاً قابلا للشح الغالب عليه فقال
هذا هو الرأي وهذا معنى قول القائل أجع كلبك يتبعك فقام اليه بعض
القواد وقال يا أمير المؤمنين أخاف أن يلوح له غيرك برغيف فيدعك ويتبعه *
قالوا سياسة الرئاسة أشد من الرئاسة كما أن سياسة الخدمة أشد من الخدمة
وكما ان التوقي بعد شرب الدواء أشد من الدواء وكذلك رب الصنيعة أشد من
الصنيعة وعلى الرئيس أن يصبر على مضض الرئاسة * قال بعض حكماء الترك
ينبغي أن يكون في قائد الجيش عشر خصال من أخلاق الحيوان جرءة
الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وغارة الذئب
وحراسة الكركي وسخاء الديك وشفقة الدجاجة على الفراريج وحذر الغراب

وسمى تمرو وهى دابة تكون بخراسان تسمن على السعر والكد * قالوا والفاضل من طلاب الرئاسة هو الذى يكون مطبوعاً على المعرفة محلوقاً فيه صحة التمييز مكتسباً للعلم بما جرى فى الدنيا من تصاريف الدهور وتنقل الدول عارفاً بمداراة الاعداء كتوما لسره اذكان قطب السياسة عليه يدور وأن يستمد لعقله من عقول العقلاء فان العقل الفرد لا يقوم بنفسه * وينبغي أن يكون ذا رويه عند اشتباه الآراء وعزيمة عند اختلاف الاهواء حتى ينكشف * واما الحزم فهو الاصل الذى بنى عليه فى تحصين المملكة وقدكان يجب تقديمه وذكره فى أول الكتاب عند أخواته من الخصال المحموده ولكن الفعل يشتمل عليه ويستلزمه فاكتفى بذكره عنه ولا بأس بذكر نبذه فى هذا الموضع منه * قالوا أحزم الملوك من ملك جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده * وكان نقال الحازم من الملوك من يبعث العيون على نفسه وسعدها حتى لا يكون الناس بعيبه أعلم منه بعيب نفسه * وقالوا أحزم الملوك من حمل رعيته على التخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه بالرفق والتوصل الحسن والرأى اللطيف * وخطر لى فى هذا المعنى سر لطيف وهو ان الرعيه اذا تدرجوا الى التحلى بأخلاق الملك والتأدب بآدابه صاروا مستحسنين لصادرات أحواله وأفعاله لانهم هم يفعلونها ويعتمدونها فلا يصير أحد منهم يذم سيرته ولا يزري عليه ومتى كانت طباعهم منافية لطباعه واخلاقهم مضادة لاخلاقه اغروا بالازراء عليه والذم لأفعاله وهذا سر لطيف منطو فى قولهم * وقالوا أحزم الملوك من تقدم باحكام الأمر قبل نزول حاجته وتدارك المهم الخطر قبل وقوعه * قيل للاسكندر ما علامة دوام الملك قال الافتداء بالحزم والجد

فى كل الأمور

فمل فما علامه رواله عال المرل فمه * وعال أنوسرواں لحرم حمط ما ولب و رك ما كعسب * وعال آحر أحرم الملوك مں ملك أمره ودىر حصاله وفمع شهوںه وفهر ىوارعـه * عالوا ىسـعى ان ىكون اول امر الملك الحرم فادا وقع الامر فىدىعى ں ىكور حىدئد لحد و لاحىهاد * فمل لىعص فصلاء الملوك برك دا وقد علىك واقد اطلب محالسـه ورىما لا ىكون اهلا لدلك فال ان حصصـه حال الرحل لا ىسىں فى محلس و محلسس فأنا أطاول عسر ىه وأحىىره فى عده محالس فان كان فاصلا صطفىه و ں كان ىاقصاً بركىه * وقال آحر لا ىدىى لأحد ں ىدع لحرم اعىمر ىاله عاحر ولا برعب فى ىصىعه لىكىه دحلب على حارم * فالوا مں م ىعدمه لحرم أحره العحر وقىل لعىد الملك ىں مرو ں ما حرم قال احىدع الىاس ىالمـال واسىمالهم به فاىهم اىاعه أں كاں كانوا وكىف مال مالوا * وقال ىعص الملوك لىعص الحكماء مى ىكوں النعه ىالعـدوحرما فال اد ساوره فى امر هو لك ولهـ وقال مسلمه ىں عىـد الملك ما فرحب ىطفر سـدأىه ىعحر ولا ىدمب على مكروه سدأىه بحرم

ومما ىحب على الملك الفاصـل ىمعاں الىطر فى امر لأسـ ر وصو ىا وىحصىىها وحراسىها مں لافساء و لدىاع وهد ىاب ىحىاح فىه الى الأنى الىام فكم مں مملكه حرىب وكم مں ىفس ىلفب ىسىب ظهور سـ و حـىد وحفظ السر وكىمانه مں افصـل ما عىى ىه لاىساں * فما حاء فى دىك فى لحدىث (مں كىم سره . ملك امره) * وقال على علىه السلام الرأى ىحصىں السر أسرّ ىعص الىاس الى رحل حدىثاً وأمره ىكىمانه فلما ىعصى الحدىث

قال له فهمت قال بل نسيت . وقال عمرو بن العاص اذا أفشيت سرى الى صديقي فاذاعه كان اللوم لي لا له قيل له وكيف ذلك قال لاني انا كنت اولى بصيانته منه . ومن انشد هذا الباب (طويل)

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه   فصدر الذي يستودع السر أضيق

قالوا لا ينبغي أن يكون سر الملك إلا عند واحد فانه اذا كان عند واحد كان أحرى أن لا يظهر إما رغبة وإما رهبة لانه إن ظهر تحقق الملك أن ظهوره قد كان من جهة ذلك الرجل وان كان السر عند جماعة ثم ظهر أحال كل واحد منهم على الآخر فان عاقبهم الملك جميعاً كان قد ظلمهم إلا واحداً وان ترك معاقبتهم طمعوا وتطرقوا على افشاء أسراره قال الشاعر (متقارب)

وكل ما كان عند امرىء   بسر الثلاثة غير الخفى

فان احتاج الملك الى إعطاء سره لجماعة فأصلح ما له أن يفضي به الى كل واحد منهم على سبيل الانفراد ويوصيه بالكتمان ويوهمه أنه ما أفضى الى غيره به فذلك أجدر لأن يكتم السر * شاور بعض ملوك الفرس وزراءه في أمر فقال واحد منهم لا ينبغي للملك أن يستشير بأحدنا إلا خالياً به فانه أكتم للسر وأحزم في الرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض وما اعتنت دولة بتحصين الأسرار والمبالغة في حفظها كالدولة العباسية فان لها من هذا الباب عجائب وكم من نعمة أزالوها عن أربابها ونفس أزهقوها بسبب كلمة منقولة أو حكاية منقولة * جرى في أيام الناصر قصة ظريفة لا بأس بذكرها ههنا

كان للناصر ولدان هما ولدا ولده * كان قد أقطعهما بلاد خوزستان

وتوجها اليها وأقاما بها في بعض الليالي أفكر الناصر في أمرهما واشتاقهما
وخاف عليهما من حادث يحدث بتلك الناحية فأرسل في الحال الى وزيره
القمي وقال له أرسل في هذه الساعة اليهما من يأمرهما بالوصول الى بغداذ
ولا تشعر بهذا مخلوقاً فأحضر الوزير نجاباً في ذلك الحال وكان جماعة من
النجابين يبيتون في كل ليله بباب الديوان مبيت أحدهم وتحت رأسه راحلته
وزاده ونفقته وقد ودّع أهله فان عرض في الليل مهم توجه فيه فلما حضر
النجاب بين يدي الوزير شافهه بالمراسله وقال له تخرج في هذه الساعة واياك
أن يعلم هذا أحد فيكون عوضه نفسك ثم تقدم الوزير بحمل مفتاح باب من
أبواب السور له فلما مضى لتخرج اجتاز ببعض الدروب وامرأتان في
منظرتين متقابلتين تتحدثان فقالت إحداهما للأخرى ترى هذا النجاب الى
أين يمشي في هذا الوقت فقالت لها الأخرى يمشي الى دسر لاحضار أولاد
الخليفة فانه قد خاف عليهما وقد اشتاقهما لانّ مدتهما هناك قد طالت فلما
سمع النجاب ذلك رجع من ساعته الى الديوان واستأذن على الوزير فلما علم
الوزير برجوعه انزعج لذلك وأحضره وسأله عن سبب عوده فقال له يامولانا
جرى الساعة في الدرب القلاني كيت وكيت وخفت أن أتوجه وينتشر هذا
الحديث فما تشكون في أني أنا الذي أظهرته فيكون ذلك سبب هلاكي فقال
له الوزير قد عرفنا ذلك اخرج وتوجه في أمان الله فان الشياطين تنقل عظائم
الاخبار * ومما يجري هذا المجرى ما حدثني به بعض أهل بغداذ قال حدثني
صديق لي قال كنا نتمشى في دولاب بستان البقل وقد أمعنا في الدخول الى
أقصاه فسمعنا صوت قائل يقول مات أباقا قال فنظرنا فلم نبصر أحداً ثم انا
أرّخنا اليوم فلما فشا الخبر كان كما قال * قيل إن صاحب الموصل وأظنه بدر

الدين قال لمحد الدين بن الأثير الجزرى أوثر أن تعين لى فى هذه الساعة على رجل دين أمين تكون موضعاً للسر حتى احمله مشافهة سرية الى الخليفة وسرعته فى هذه الساعة فأفكر ابن الاثير ساعة ثم قال يا مولانا ما أعرف أحداً بهذه الصفة إلا أخى قال فهو وعرفه ذلك وأرسله الى داره وحكى لأخيه ما جرى عند السلطان وقال له يا أخى والله ما شهدت لك إلا بما اعرفه منك فوجه الى خدمة السلطان وامتثل ما يشير به فحضر ابن الاثير عند السلطان وشافهه بالمراسلة وقال له توجه فى هذه الساعة فحضر ابن الاثير الى داره ليودع أخاه فوجده قائماً فى الدهليز ينتظره فقال له شافهك السلطان بالحديث قال نعم قال فما هو قال يا أخى الساعة شهدت لى عنده بالدين والأمانة وحفظ السر فحور ان أكذبك فى الحال قال لى شيئاً ما أقوله إلا لمن أمرنى بأن أقوله له قال فبكى مجد الدين أخوه ودعا له . ومن الأشعار المقولة فى ذلك قول الحماسى

(طويل)

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض غير أنى جماعها

لكل امرئ شعب من القلب فارغ وموضع نجوى لا يرام اطلاعها

يظلون شتى فى البلاد وسره الى صخرة أعيى الرجال انصداعها

ومن جيد ما قيل فى ذلك (بسيط)

لا تسئلى القوم ما مالى وكثرته وسائلى القوم ما مجدى وما خلقى

هل أطلع الطعنة النجلاء عن عرض وأكتم السر فيه ضربة العنق

ومن جيده قول الصابى (طويل)

فقل لصديق كن على السر آمناً اذا لم تكن منى و منك ثالث

وقول الآخر (وافر)

وانك كلما استودعت سراً أنم من النسيم على الرياض

ولمؤلف هذا الكتاب فى ذلك من جملة أبيات (طويل)

وما احتفر الاصحاب للسر حفرة كصدري ولو جار التراب على عقلي

وله في ذلك أيضاً (وافر)

وان تكن الزجاج نم طبعا فسدنا أنم من الزجاج

ومن الامور الى يجب تدقيق الفكر فيها والتثبت التام والتأني فى تأملها حديث السعايات والنمائم فكم من نمام أو ساع قد شفى غيظه بايقاع مسكين بين يدى ملك قاهر في تهمة هو برىء منها ثم اشتبه الامر على الحاكم فأهلك الرجل البريء بغير ذنب ثم لما علم بصورة الحال ندم حين لا ينفع الندم فعم الضرر بذلك الثلاثة الساعي والمسعيّ اليه لانهما أهلكا دينهما بما فعلاه والمسعيّ به لتعجله العقوبه فعم الضرر الثلاثه * ومما جاء فى ذلك في التنزيل (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

ومما جاء في الحديث (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفعن الينا عورة أخيه المسلم) رفع إنسان الى يحي بن خالد بن برمك قصة يقول فيها إنه قد مات رجل تاجر غريب وقد خلف جارية حسناء وولداً رضيعاً ومالاً كثيراً والوزير أحق بهذا فكتب يحى بن خالد على رأس القصة أما الرجل فرحمه الله وأما الجاريه فصانها الله وأما الطفل فرعاه الله وأما المال فثمره الله وأما الساعى الينا بذلك فلعنه الله * قيل لما تولى عبدالعزيز بن مروان دمشق ولم يكن في بني أمية ألبّ منه وكان حديث السن طمع فيه أهل دمشق

وقالوا صبي لا علم له بالأمور وسيسمع كل ما يقول له فقام اليه رجل وقال أصلح الله الأمير نصيحة فقال لب شعري ما هذه النصيحة التي قد ابتدأتني بها من غير يد سبقت مني اليك قال نصيحتك قال لي جار وهو عاص خالع للطاعة وذكر له عيوباً فقال له عبد العزيز انك أيها الرجل ما اتقيت الله تعالى ولا أكرمت اميرك ولا حفظت جوارك إن شئت نظرنا فيما تقول فان كنت صادقاً لم ينفعك ذلك عندنا وإن كنت كاذباً عاقبناك وإن استقلتنا اقلناك قال بل أقلني أيها الأمير قال اذهب حيث شئت لاصحبك الله اني أراك شر رجل

كان الوزير علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر يبغض السعاة فكان اذا رفع أحد اليه قصة فيها سعاية بأحد يخرج حاجبه الى الباب والناس على طبقاتهم وقوف فيقول أين صاحب هذه السعاية فقال لك الوزير كذا وكذا فيفتضح ذلك الرجل في ذلك الجمع فترك الناس السعايات في أيامه * قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من عرف فاحشة فأفشاها كان هو الذي يأتيها كتب قباذ الملك لابنه كسرى عهداً فيه جملة اني لا تدخل في مشورتك محلا فانه يقصر بك عن غاية الفضل ولا جبانا فانه يضعف عليك الأمور عند انتهاز الفرصة * يا بني لكن أبغض رعيتك اليك أكثرهم تكشفاً لمعايب الناس قال في الناس عيوباً أنت أحق من سترها وكره ما كشف من غائبها فانما اليك الحكم على ما ظهر والله يحكم فيما غاب فأكره للرعية ما تكره لنفسك واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره ولا تعجل الى تصديق ساع فان الساعي غاش وإن قال قول النصيح وأعط الناس من عفوك مثل ما تحب أن يعطيك من فوقك * ومن مليح ما قيل في ذلك قول مهيار يخاطب بعض الوزراء

(كامل)

يا سيف نصرى والمهند نابى ... وربيع دهرى والزمان مصاف
ومعمد أيامى علىّ بداشا ... سمناً وهى على الأنام عجاف
أخلاقك الغر السجايا ما لها ... حلت لدى الواسن وهى سلاف
والافك فى مرآة رأيك ماله ... يخفى وأين الجوهر الشفاف

ومن مليح ذلك قول القائل (بسيط)

سعى إليك بى الواشى فلم ترنى ... أهلا لتكذيب ما ألقى من الخبر
ولو سعى بك عندى فى الكرى ... طيف الخيال لعيب النوم بالسهر

اختلفوا فى الملك القاهر السيوف والملك المقتصد الضعيف ففضلوا القاهر السيوف واحتجوا بأن القوى السيوف يكف الاطماع عن رعيته ويحميهم من عدوه بقوته وله أنفة تعصمهم من شر عدوه فيكون رعيته بغاية من كفى شر جميع الناس وابتلى بشر واحد وأما الملك المقتصد الضعيف فيهمل رعيته فيتسلط عليهم كل أحد ويدوسهم كل حافر فيكونون بمنزلة من كفى شر واحد وابتلى بشر جميع الناس وبين الحالين بون بعيد

وقال بعض الحكماء سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها * قال انوشروان عندى لمن عرض ذمه سفكه ولمن جاوز حده عقوبته ولمن عدى طوره ثمه * قال بعض الحكماء أمران خلتان لا تصلح أحدهما الا بالانفراد والاستبداد ولا تصلح الآخر إلا بالاشتراك وأما الذى لا تصلح الا بالانفراد فالملك فمن وقع فيه الاشتراك فسد وأما الذى لا تصلح الا بالاشتراك فالرأى متى وقع فيه الاشتراك وثق فيه بالصواب * ولا يجوز للملك أن يقصر فى نفسه أمر عدوه وان كان صغيراً فى نفس الأمر ولا يجوز لجلساء الملك أن

نصعروا أمر عدوه عنده فانهم ان صغروه حتى ظفر به العدو كان وهناً له د قد غلبه عدو صغير وان ظفر هو بالعدو لم يكن قد صنع طائلا * لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقعة بدر ومعه الاسرى والغنائم وقد قتل الله رؤس المشركين تلقاه الناس من ظاهر المدينة عن أميال يحملوا يهنؤنه بالفتح وجعل الناس يسئل بعضهم بعضاً عمن هلك وسلم فقال بعض الصحابة والله ماقتلنا الا عجائز صلعا فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باللوم ولم يزل كالمعرض عنه ثم قال له أولئك ياابن أخي الملا

ومن مليح مارأيت في هذا المعنى قول حكيم الهند لبعض ملوكهم لاتحقرن أمر الاعداء وان صغروا فان الزبر اذا جمع جعل منه حبل يشد به الفيل المغتلم * وإعجاب الرأي من الامور المهمة وأجود الرأي ما وقع فيه التأنى والتثبت وبذلك يؤمن زلل الرأي * قال الاحنف بن قيس لاصحاب علي عليه السلام أعيوا الرأي قبل إعماله يكشف لكم عن محضه

واستشير بعض العقلاء في أمر فسكت فقيل له لم لا تتكلم فقال ماأحب الخبز الا بائتا * ولما عزم الخوارج على مبايعة عبد الله بن وهب الراسبي أرادوه للرأي فقال ماأنا والرأي الفطير والكلام المقتضب فلما فرغوا من البيعة قال اتركوا الرأي تغب أي يأتي عليه يوم وليلة وكان يستعيذ بالله من الرأي الفطير * فالوا مر الحارث بن زيد بالاحنف بن قيس فقال له لولا أنك عجلان لشاورتك وهذا دليل على كراهتهم للرأي الفطير * وكانوا لايشاورون الجائع حتى يشبع ولا الاسير حتى يطلق ولا الطالب حتى يبلغ حاجته ولا العطشان حتى يروى ولا الضال حتى يهتدى ولا الحاقن حتى يخفف ماعنده وقال بعض الشعراء يصف عاقلا

(طويل)

علم بأعقاب الامور كأنما　　　يخاطبه من كل أمر عواقبه

وما أعرف أحسن من قول ابن الرومي في تفصيل الرأي المخمر الرأي المفطر

(بسيط)

نار الروية نار جد منضجة　　　وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها　　　لكنه عاجل يمضي مع الريح

ومما يوجبه العقل الصحيح أن لا انسان لا يدخل في أمر يعسر الخروج منه قال الشاعر

(خفيف)

ما من الحزم أن يقارب أمراً　　　تطلب البعد منه بعد قليل

فاذا ما هممت بالشيء فانظر　　　كيف منه الخروج بعد الدخول

قالوا وأفضل من ذلك ان لا انسان لا يدخل نفسه في أمر يحتاج في الخروج منه الى فكر * قال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما ما بلغ من دهائك قال ما دخلت في أمر الا وأحسنت الخروج منه فقال معاوية لكني أنا ما دخلت في أمر أحتاج في الخروج منه الى فكر * ومن الامور المهمة للملك حسن نظره في ارسال الرسل فالرسول يستدل على حال المرسل * قال بعض الحكماء اذا غاب عنكم حال الرجل ولم تعلموا مقدار عقله فانظروا الى كتابه ورسوله فهما شاهدان لا يكذبان　ويجب أن يكون في الرسول خصال منها العقل ليعبر به الامر المستعجم من المفوح والامانة والعفاف لئلا يخون مرسله فكم من رسول يرضيه بارقه طمع من جهة من أرسل اليه فحفظ جانبه وترك جانب مرسله * أرسل معاوية رضي الله عنه الى ملك الروم رسولا من أقاربه كان يعتمد عليه ليقرر أمر الهدية واشترط معاوية شروطاً عليه فلما حضر

الرسول عنـد ملك الروم اجتهد به على تخفيف تلك الشروط فلم يقبل فخلا به وقال له بلغني أنك فقير وأنك اذا أردت الركوب الى معاوية تستعير الدواب قال كذلك هو قال فما أراك تعمل لنفسك شيئاً وهذا المال الذى عندنا كثير فخذ منه مايغنيك الى الابد ودع معاوية وأحضر له عشرين الف دينار فأخذها وخفف له الشروط وأمضى أمر الهـدنه ثم رجع الى معاوية فلما نظار معاوية في الكتاب علم بالحال فقال له ما أراك عملت الا له وعزم على مؤاخـذته فقال له ياأمير المؤمنين أقلني قال قد أقلتك وأعرض عنه * وفيما فعـل كمال الدين محمد بن الشهرزورى حين أرسله أتابك زنكي صاحب الموصل الى بغداد لتقرير أمر الراشد منبهة على وجوب تدقيق النظر فى اختيار الرسل وذلك أنه لما خلع الراشد الخليفة بغداد فارقها وحضر الى الموصـل مستنجداً بأتابك زنكى وخلا به ووعـده ومناه أنه ان عاد الى الخلافة أن يفعل معـه ويصنع فتهوس أتابك زنكى بذلك وضمن له صلاح الحال مع السلطان مسعود ثم ان أتابك زنكي عزم على مراسله الديوان ببغداد فى هذا المعنى فاختار للرساله كمال الدين بن الشهرزورى قاضى الموصـل فأرسـله ووصاه بالاحتجاج والمبالغة في تقرير أمر الراشد ونقض ما أبرموه من خلافة المقتفى فتوجه كمال الدين الى بغداد .

قال ابن الأثير صاحب التاريخ حكى لى والدى قال حكى لى كمال الدين المذكور قال لما حضرت بالديوان قيـل لى تبايع أمير المؤمنـين فقلت أمير المؤمنين عندنا بالموصل وله فى أعناق الخلق بيعة متقدمة قال وطال الحديث في ذلك وعـدت الى منزلى فلما جاء الليـل جاءتنى عجوز سرًّا واجتمعت بى وأبلغتنى رسالة من المقتفى مضمونها المعاتبـة لى على ما قلت واستنزالى عنـه

فقلت غداً أخدم خدمة تظهر أثرها فلما كان الغد حضرت بالديوان وقلت لي
في معنى النعمة فقلت أنا رجل فقيه قاص ولا يجوز لي أن أبايع الا بعد أن
يثبت عندي خلع المتقدم فأحضروا الشهود فشهدوا عندي بفسق الراشد
فقلت هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لا بد لنا في هذه الدعوى من نصب
لان أمير المؤمنين المقتفي حصلت له خلافة الله في أرضه والسلطان فقد استراح
ممن كان يقصده فحسن أي شيء يرجع فرفع الامر الى المقتفي فأمر أن يعطى
أتابك زنكي صريفين ودرب هرون وحربى ملكا فانقلب المقتفي وعدت
وقد حصل لي مال صالح وتحف وهدايا * وما أدري والله من أي حالته
أعجب من فعله هذا وحماسته لمرسله وتسويد وجهه مع من استجار به فانه لم
يكن الفائدة من إرسال كمال الدين الا تقوية أمر الله في وتأكيد خلع الراشد
أو من حكايته عن نفسه مثل هذه الفعلة

وكذلك ما جرى لعميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك أرسله
السلطان طغرلبك ليخطب له امرأة فتقصى الكندري وخطبها لنفسه وزوجها
فعصى على طغرلبك فلما ظفر به طغرلبك لم يقتله ولكن خصاه واستبقاه في
خدمته احتياجاً الى كفاءته وفي ذلك يقول الباخرزي الشاعر وكان صاحب
الكندري (كامل)

قالوا محا السلطان عنه بعدكم | سمة الفحول وكان قرماً صائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فحوله | لما اغتدى من أنثييه عاطلا
فالفحل يأنف أن يسمى بعضه | أنثى لذلك جذها مستأصلا

ومن الاشعار المقولة في ذلك قول القائل (متقارب)

اذا كنت في حاجة مرسلا | فأرسل حكيماً ولا توصه

وأجود من هذا المعنى وأكمل قول الآخر (وافر)

اذا أرسلت فى أمر رسولا فأفهمه وأرسله أديباً
فان ضيعت ذاك فلا تلمه على أن لم يكن علم الغيوبا

ومما زين الملك اصطناع العوارف الى أشراف رعيته فبذلك تميل أعناقهم اليه ويدخلون بذلك فى زمرة خدمه وحاشيته وما زال أفاضل الملوك يحظون بهذا المعنى فيفضلون دائماً على أشراف رعيتهم أنواع الافضال ليسترقوهم بذلك * كان معاوية رضى الله عنه أشد الملوك لهجا بهذا المعنى كان يعطى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن العباس رضي الله عنهما في سنة جلا طائلة من المال وكفاك من ذلك أن عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه فارق أخاه علىّ بن أبى طالب عليه السلام وقصد معاوية مستمنحاً وما ذاك لشح عند أمير المؤمنين عليه السلام فانه كان صلوات الله عليه وسلامه يبارى الريح جوداً وكرما وكان جميع ما يدخل له من املاكه يخرجه في الصدقات والمبرات ولكن عقيلا كان يريد من مال المسلمين أكثر من حقه وما كان دين أمير المؤمنين عليه السلام يقتضى ذلك * وكان معاوية رضى الله عنه يعطى لأجل مصلحة الدنيا ولا يفكر فيما كان يفكر فيه أمير المؤمنين عليه السلام * وانظر الى كمال الدين حيدرة بن عبد الله الحسينىّ الموصلىّ وكان شيخ أهله ومقدمهم سناً وزهداً وفضلا وورعاً كيف استماله صاحب الموصل بدر الدين بما أسداه اليه من الانعام حتى مدحه وانخرط في زمرة شعرائه فمن شعره فيه (طويل)

هنيئاً بمجد ساعدتك سعوده وتم له يوم التفاخر عيده
وبشرى باقبال أهل بشيره كما وفدت عند الهناء وفوده
وأنى لبدر الدين ذى الفخر والعلى نديد وكلا ان يصاب نديده

ومع انه صار من شعرائه وانخرط فى زمرة مداحه كان بدر الدين بعد موت كمال الدين حذره اذا اختار على برسه وهى برنه مفرده طاهر الموصل حوسه فلبة ترك العسكر ويدخل البه زوره ويا عو لعسه عند صاحبه رحمهما الله تعالى

الفصل الثانى

فى الكلام على دولة دولة

لقد تم الكلام على الأمور السلطانيه والسياسات الملكيه وعلم بذلك سيره الملك الفاضل المستحق للرئاسه وخواص الملك التى تميز بها عن الرعايا والحقوق الواجبة للملك على رعيته والحقوق الواجبه لهم عليه واندرج فى أثناء ذلك الكلام على كليات أحوال الدول على سبيل الاجمال * وكل ما مضى فى هذه الاوراق من اللطائف والمحاسن فقد وفر الله تعالى منه حظ المولى الملك الفاضل حاطه الله تعالى بأنواع ألطافه ومنحه أقصى الغايات من إسعاده واسعافه لان الله تعالى هداه بسابق عنايته الى محاسن الشيم وفضله بحقائق لطفه على كثير من الامم

وهذا أوان الشروع فى الكلام على دولة دولة أما الدولة الاولى وهى دولة الاربعة فان ابتداءها كان منذ قبض رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وبويع أبو بكر بن أبى قحافه رضى الله عنه وذلك فى سنة احدى عشرة من الهجرة وانتهاؤها حين قتل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام وذلك فى سنة أربعين من الهجرة * واعلم انها دولة لم تكن من طرز دول الدنيا وهى بالامور النبويه والاحوال الاخرويه أشبه والحق فى هذا أن زيها قد كان زى الانبياء وهديها

هدى الاولياء وفوجها فوج الملوك الكبار فأما رجها فهو الخشونة في العيش والتقلل في المطعم والملبس كان أحدهم يمشي في الاسواق راجلا وعليه القميص الخلق المرقوع الى نصف ساقه وفي رجله تاسومة وفي يده درة فمن وجب عليه حد استوفاه منه * وكان طعامهم من أدنى أطعمة فقرائهم ضرب أمير المؤمنين عليه السلام المثل بالعسل والخبز النقي فقال في بعض كلامه ولو شئت لاهتديت الى مصفى هذا العسل ولباب هذا البر * واعلم أنهم لم يقللوا في أطعمتهم وملبوسهم فقراً ولا عجزاً عن أفضل لباس وأشهى مطعم ولكنهم كانوا يفعلون ذلك مواساة لفقراء رعيتهم وكسراً للنفس عن شهواتها ورياضة لها ليعتاد أفضل حالاتها وإلا فكل واحد منهم كان صاحب ثروة ضخمة ونخل وحدائق وغير ذلك من الاسباب ولكن أكثر خرجهم كان في وجوه البر والمعروف كان لأمير المؤمنين علي عليه السلام ربع طائل من أملاكه يخرجه جميعه على الفقراء والضعفاء وبعضهم هو وعياله بالقوت الخالط من الكرباس وبالقرص من خبز الشعير . وأما فوجها وحروبها فان جيلها بلغت إفريقية وأقاصي خراسان وعبرت النهر فان عبيد الله بن العباس تولى إمارة سمرقند وبها مات وفيها قبره . فأول حروبها قتال أهل الردة . شرح كيفية الحال في ذلك على سبيل الاختصار . لما قبض رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ارتد ناس من الأعراب عن الاسلام وامتنعوا من أداء الزكاة وقالوا لو كان محمد نبيا لما مات فوعظهم ذو اللب والعقل وقالوا لهم أخبرونا عن الانبياء عليهم السلام هل تعرفون نبوتهم قالوا نعم قالوا فهل ماتوا قالوا نعم قالوا فما الذي تنكرونه من نبوة محمد عليه السلام فلم تنجع القول فيهم فجهز أبو بكر رضي الله عنه الى كل طائفة منهم جيشا فوجهت الجيوش اليهم وقاتلهم

وكانت العلبة للجيوش الاسلامية فأبادتهم قتلا وأسرا ورجع من بقى منهم الى الاسلام وأدى الزكاة

ومن وقائعها فتنة مسيلمة الكذاب * شرح ذلك على وجه الاختصار ظهر فى أيام أبى بكر رضى الله عنه رجل يقال له مسيلمة ادعى أنه نبى وأن الوحى ينزل عليه من السماء واجتمع اليه ناس كثيرون من قبيلة وعشيرته ثم ظهرت امرأة من العرب اسمها سجاح ادعت ايضا انها نبية وان الوحى ينزل عليها وتبعها قوم من قبيلتها ثم سارت لقتال مسيلمة وكانت جموعها اكثر من جموعه فلما علم مسيلمة بمسيرها اليه قال لاصحابه ما رأيكم قالوا نسلم الامر اليها فلا طاقة لنا بها وبمن معها فقال مسيلمة دعونى انظر فى امرى فمكر وكان داهية فأرسل اليها وقال نبغى ان نجتمع انا وانت فى موضع وندارس ما نزل الينا من الوحى فمن كان على الحق منا تبعه الآخر فأجابته الى ذلك ومن مسيلمة ان تضرب قبة من ادم وتسكر فيها من العود وقال ان المرأة اذا شمته ذكرت الباه ثم جمع بها فى القبة وخدعها وواقعها فلما قام عنها قالت ان مثلى لا تجرى مهرها هكذا ولكن اذا خرجت اعترفت لك بالحق وخطبنى الى قومى فانهم يزوجونك ثم اقود بنى تميم معك فلما خرجت قالت انه قرأ على ما نزل عليه من الوحى فوجدته حقاً وقد سلمت الأمر اليه ثم خطبها فزوجوه وجعل مهرها إعفاءهم من صلاة العصر فالوا فبنو تميم بالرمل الى الآن لا يصلون العصر ويقولون هذا مهر كريمة فلما بلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه جهز اليهم جيشاً أميره خالد بن الوليد فاقتتلوا أشد قتال رآه المسلمون ثم كانت الغلبة للجيش الاسلامى فقتل مسيلمة ومن معه من الكفار مع النساء

شرح كيفية ذلك * لما كانت سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهى السنة

الى توفى فيها أبو بكر ورجع أبو بكر رضي الله عنه من الحج شرع في تجهيز الجيوش الى الشأم فبعث عسكراً كثيفاً جعل على كل قطعة منه اميراً وسمى لكل امير بلداً إن فتحه واستولى عليه كان له ثم امدّهم بخالد بن الوليد رضي الله عنه في عشرة الف فكمل بالشأم ستة واربعون الف مقاتل وجرت بينهم وقائع وحروب امتدت الى ان مات ابو بكر وبويع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فعزل عمر خالد بن الوليد رضي الله عنهما عن إمارة الجيش وكان قد أمر ثم أمّر على الناس ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فورد رسول عمر الى الجيش بالشأم بكتاب عمر الى ابي عبيدة بتوليته وعزل خالد واتفق وصول الرسول وهم مشغولون بالحرب فجعل الناس يسألون الرسول عن سبب قدومه فأخبرهم بالسلامة ووعدهم ان وراءه مدداً لهم وكتم عنهم موت ابي بكر ثم وصل الى ابي عبيدة بن الجراح فأخبره سراً بموت ابي بكر وناوله كتاب عمر بتوليته وعزل خالد فاستحى ابو عبيدة من خالد وكره ان يعلمه بالعزل وهو قد بذل جهده في القتال فكتم ابو عبيدة الخبر عن خالد وصبر حتى تم الفتح وكتب الكتاب باسم خالد ثم اعلمه بموت ابي بكر وبعزله فسلم اليه الجيش * وكان فتح دمشق في سنة اربع عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وفي الدولة المذكورة كان فتح العراق وحصد الملك من الاكاسرة * شرح مبدإ الحال في انتقال الملك من الاكاسرة الى العرب * ان الله تعالى تسابق علمه وبالغ حكمته وعزة قدرته اذا اراد امراً هيأ اسبابه وقد وصف نفسه عز وجل بقوله (قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء

قدير) * ولما اراد حل شأنه . وعز سلطانه . نقل الملك عن فارس الى العرب اصدر من المقدرات بذلك ما ملأ به قلوبهم وقلوب اوليائهم رعباً فأول ذلك ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات منه وذلك عند ميلاد الرسول عليه افضل الصلوات وخمود نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام وذلك في عهد أنوشروان العادل فلما رأى أنوشروان سقوط الشرفات وانشقاق الايوان غمه ذلك ولبس تاجه وجلس على سريره وأحضر وزراءه وشاورهم في ذلك فبي تلك الحال وصل كتاب من فارس بخمود النار فازداد كسرى غما الى غمه وفي تلك الحال قام الموبذان وقص الرؤيا التي رآها قال رأيت أصلح الله الملك كأن إبلا صعاباً تقود خيلا عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فقال له كسرى فأي شيء يكون تأويل هذا قال أصلح الله الملك حادث يحدث من جهة العرب وفشا الحديث بذلك بين العجم وتحدث به الناس فسكن الرعب قلوبهم وثبت هيبة العرب في نفوسهم ثم تتابعت أمثال هذه المقدرات الحوادث الى آخر الأمر فان رستم لما خرج لمحاربة سعد بن أبي وقاص رأى في منامه كأن ملكا قد نزل من السماء وجمع قسي الفرس وختم عليها وصعد بها الى السماء ثم تصفح لي ذلك ما كانوا يشاهدونه من سداد منطق العرب وطمأنينة نفوسهم وشدة صبرهم على الشدائد ثم ما جرى في آخر الامر من اختلاف كلمتهم بعد موت شهريار وجلوس يزدجرد على سرير المملكة وهو صبي حدث ضعيف الرأي ثم الطامة الكبرى وهي انعكاس الريح عليهم في حرب القادسية حتى أعمتهم بالغبار . وعمتهم بالدمار . ومنها قتل رستم وانفل جيشهم فانظر الى هذه الحوادث واعلم أن لله أمراً هو بالغه . شرح الحال في تجهيز الجيش الى العراق واستخلاص الملك

من فارس . كان ثغر فارس من أثقل الثغور على العرب وأعظمها فى نفوسهم وأكثرها هيبة وكانوا يكرهون غزوه ويخشون غبه استعظاما لشأن الاكاسرة ولما هو مشهور من بدو بحهم الامم حتى كان آخر أيام أبى بكر رضى الله عنه فقام رجل من الصحابة يقال له المثنى بن حارثة رضى الله عنه وندب الناس الى قتال فارس ويهون عليهم الأمر وشجعهم على ذلك فانتدب معه جماعة و ذكر الناس ما كان رسول الله صلوات الله عليه تقدم به من تملك كنوز الاكاسرة ولم يتم فى ذلك أمر فى خلافة أبى بكر حتى كانت أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وكتب اليه المثنى بن حارثة يخبره باضطراب أمور الفرس ويخلوس يزدجرد بن شهريار على سرير الملك وتصغر سنه وكان قد جلس على السرير وعمره احدى وعشرون سنة فقوى حد ئذ طمع العرب فى غزو الفرس فخرج عمر رضى الله عنه وعسكر ظاهر المدينة والناس لا يعلمون أين يريد وكانوا لا يتجاسرون على سؤاله عن شيء حتى ان بعضهم سأله مرة عن وقت الرحيل فزجره ولم يعلمه فكانوا اذا أعضل عليهم أمر وكان لا بد لهم من استعلامه منه استعانوا عليه بعثمان بن عفان أو بعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما واذا اشتد الامر عليهم ثلثوا بالعباس رضى الله عنه فقال عثمان لعمر يا أمير المؤمنين ما بلغك وما الذى تريد فنادى عمر رضى الله عنه الصلوة جامعة فاجتمع الناس اليه فأخبرهم الخبر ووعظهم وندبهم الى غزو الفرس وهون عليهم الامر فأجابوا جميعاً بالطاعة ثم سألوه أن يسير معهم بنفسه فقال أفعل ذلك الا ان يجيء رأى هو خير من هذا ثم بعث الى أصحاب الرأى واعيان الصحابة وعقلائهم فأحضرهم واستشارهم فأشاروا عليه بأن يقيم ويبعث رجلا من كبار الصحابة ويكون هو من ورائه يمده بالأمداد فان كان فتح فهو المطلوب وان هلك الرجل أرسل

رجلا آخر فلما انعقد إجماعهم على هذا الرأى صعد عمر المنبر وكانوا اذا ارادوا كلمون الناس كلاما عاما صعد أحدهم المنبر وخاطب الناس بما يريد فلما صعد عمر قال أيها الناس انى كنت عازما على الخروج معكم وان ذوى اللب والرأى منكم قد صرفونى عن هذا الرأى وأشاروا بأن أقيم وأبعث رجلا من الصحابة يتولى أمر الحرب ثم استشارهم فيمن يبعث وفى تلك الحال وصل اليه كتاب من سعد بن ابى وقاص وكان غائبا فى بعض الاعمال فأشاروا على عمر بسعد رضى الله عنهما وقالوا انه الأسد عادنا ووافق ذلك حسن راى من عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سعد بن ابى وقاص فاستحضره وولاه حرب العراق وسلم الجيش اليه فسار سعد بالناس فسار عمر بن الخطاب رضى الله عنه معهم فراسخ ثم وعظهم وحثهم على الجهاد وودعهم وانصرف الى المدينة وتوجه سعد فجعل ينزل فى البرية التى بين الحجاز والكوفة ويستعلم الأخبار ويرسل عمر أنه وكتبه تشير عليه فيها بالراى بعد الراى وبعده بالجنود بعد الجنود حتى استمر رايه على قصد القادسية وهى كانت باب مملكة الفرس فلما نزل سعد بالقادسية احتاج هو ومن معه الى الأقوات فبعث ناسا وامرهم بتحصيل شىء من الغنم والبقر وقد احتفل اهل السواد قدامهم فوجدوا رجلا فسألوه عن الغنم والبقر فقال لا علم لى بذلك واذا هو الراعى وقد ادخل الدواب فى اجمة هناك قالوا فصاح ثور منها كذب الراعى ها نحن فى هذه الأجمة فدخلوا اليها واستاقوا منها عدة واحضروها الى سعد فاستبشروا بذلك وعدوها نصرة من الله تعالى والثور ان لم يكن قد نطق بحروف يكذب بها الراعى فان صياحه فى تلك الساعة حتى يستدل بصياحه على الدواب عند شدة الحاجة اليها تكذيب صريح للراعى وهو من

الانعامات العظيمة الدالة على النصر والدولة والاستبشار به واحب ، وحين ورد الخبر الى العجم بوصول سعد بالجيش بنوا له رستم في ثلاثين الف مقاتل وكان جيش العرب من سبعة الف الى ثمانية الف ثم اجتمع اليهم بعد ذلك ناس فالتقوا فكان العجم يضحكون من نبل العرب ويشبهونها بالمغازل

وها هنا موضع حكاية ساسب ذلك لا بأس بايرادها حدثني فلان بن محمد بن أبدمر قال كنت في عسكر الدويد ر الصغير لما خرج الى لقاء التتر بالجانب الغربي من مدينة السلام في وقعتها العظمى سنة ست وخمسين وستمائة قال فالتقينا بنهر بشير من أعمال دجيل فكان الفارس منا يخرج الى المبارزة وتحته فرس عربي وعليه سلاح تام كانه وفرسه جبل العظيم ثم يخرج اليه من المغول فارس تحته فرس كأنه حمار وفي يده رمح كأنه المغزل وليس عليه كسوة ولا سلاح فيضحك منه كل من رآه ثم ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة فكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر ثم كان من الامر ما كان * ثم ترددت الرسل بين رستم وسعد فكان البدوي يأتي الى دست رستم وهو جالس على سرير الذهب وقد طرحت له الوسائد المنسوجة بالذهب وفرش له الفرش المنسوج بالذهب وقد لبس العجم السجاف وأظهروا زينتهم وأقاموا الفيلة في حواشي المجلس فيجيء البدوي وفي يده رمحه وهو متقلد سيفه متنكب قوسه مرتبط فرسه قريباً من سرير رستم فيصيح العجم عليه ويهمون بمنعه فيمنعهم رستم ثم يستند اليه ويمشي اليه متكئاً على رمحه يطأ به تلك الفرش وتلك الوسائد فيخرقها برمحه وهم ينظرون فاذا وصل الى رستم واجهه الحديث فكان رستم لا يزال يسمع منهم حكماً وأجوبة تروعه وتهوله

فمن ذلك أن سعداً رضي الله عنه كان يبعث في كل مرة رسولاً فقال رستم
لبعض من أرسل إليه ثم بعثوا إلينا صاحبنا بالأمس قال لا إن أميرنا يعدل بيننا
في الشدة والرخاء وقال يوماً لآخر ما هذه المغزل لدى يدك تعني رمحه فقال إن
الجمرة لا ينصرها قصرها وقال مرة لآخر ما بال سيفك أراه رثاً فقال
به خلق الغمد حديد النصل فرع رستم ما رأى من أمثال هذه وقال لأصحابه
انظروا فإن هؤلاء لا يخلو أمرهم من أن يكونوا صدقاً وكذباً فإن كانوا
كاذبين فإن قوماً يحفظون أسرارهم هذا الحفظ ولا يختلفون في شيء وقد
تعاهدوا على كتمان سرهم هذا التعاهد بحيث لا يظهر أحد منهم سرهم لقوم في
غاية الشدة والقوة وإن كانوا صادقين فهؤلاء لا يقف أحد لهم فصاحوا
حوله وقالوا الله الله أن تترك ما أنت عليه لشيء رأيته من هؤلاء الكلاب بل
صمم على حربهم فقال رستم هو ما أقول لكم ولكني معكم على ما تريدون ثم
فتلوا أياماً كان في آخرها تكاثر الريح عليهم حتى عماهم الغبار فقتل رستم
وانفل الجيش وغنمت أموالهم وحمل الفرس يطلبون مخاضات دجلة ليعبروا
في الجانب الشرقي وتبعهم سعد وعبر المخاضات وقتل منهم مقتلة عظيمة حتى
تخلوا وغنم أموالهم وأسر منهم الكثير ثم كتب سعد إلى عمر رضي الله عنهما
بالفتح وقد كان عمر في تلك الأيام شديد التطلع إلى خبر الجيش فكان في كل
يوم يخرج إلى ظاهر المدينة رجلاً يتسمع الأخبار لعل أحداً يصل فيخبره بما
كان منهم فوصل البشير من عند سعد بالفتح فرآه عمر فقال له من أين جئت
قال من العراق قال ما فعل سعد والجيش قال فتح الله عليهم كل ذلك والرجل
سائر على ناقته وعمر يمشي في ركابه وهو لا يعلم أنه عمر فلما جمع الناس وسلموا
على عمر بإمرة المؤمنين عرفه البدوي فقال هلا أعلمتني رحمك الله أنك أمير

المؤمنين قال لا بأس عليك يا أخي ثم كتب عمر الى سعد فعف مكانك ولا تبعهم واتسع بهذا واتخذ للمسلمين دار هجرة ومدينة تسكونها ولا تجعل بيني وبينهم بحراً فاتخذ لهم سعد الكوفة واختط بها المسجد الجامع واختط الناس المنازل ومصر ها سعد ثم حكم في المدائن وملأ الكتب والدفاتر ذكر طرف مستملحة وقعت حينئذ * منها أن بعض العرب ظفر بجراب فيه كافور فأحضره الى أصحابه فظنوه ملحاً فطبخوا طعاماً ووضعوا فيه كافورا فلم يروا له طعماً ولم يعلموا ماهو فرآه رجل فعرف مافيه فاشتراه منهم بقميص خلق يساوي درهمين * ومنها أن بدوياً ظفر بجوهر من الياقوت كثير يساوي ملكاً عظيماً فلم يدر قيمته فرآه بعض من يعرف قيمته فاشتراه منه بألف درهم فبعد ذلك عرف البدوي قيمته ولامه أصحابه وقالوا له هلا طلبت منه أكثر من ذلك قال لو علمت ان وراء الالف عدد أكثر من الالف لطلبته *ومنها أن بعضهم كان يأخذ في يده الذهب الاحمر ويقول من يأخذ الصفراء ويعطيني البيضاء يرى أن الفضة خير من الذهب ذكر ما آل اليه حال يزدجرد

ثم إن يزدجرد هرب الى خراسان وما زال أمره يضعف حتى قتل في سنة احدى وثلاثين من الهجرة بخراسان وهو آخر ملوك الاكاسرة * وفي الدولة المذكورة دونت الدواوين وفرض العطاء للمسلمين ولم يكونوا قبل ذلك يعرفون ما الديوان

شرح كيفية تدوين الدواوين * كان المسلمون في الحد وكان همالهم لأجل الدين لا لاجل الدنيا وكان لا يزال منهم دائما من يبذل شطراً صالحا من ماله في وجوه البرّ والمعروف وكانوا لا يريدون على اسلامهم ونصرهم

لديهم صلوات الله عليه وسلامه جراء إلا من عند الله تعالى ولم يفرض النبي صلوات الله عليه وسلامه ولا أبو بكر رضي الله عنه لهم عطاء مقرراً ولكن كانوا اذا غزوا وغنموا أخذوا نصيباً من الغنائم فرزته الشريعة لهم واذا ورد الى المدينة مال من بعض البلاد أحضر الى مسجد الرسول صلوات الله عليه وسلامه وفرق فيهم حسب ما يراه صلى الله عليه وسلم وجرى الامر على ذلك مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه * فلما كانت سنة خمس عشرة من الهجرة وهي خلافة عمر رضي الله عنه رأى أن الفتوح قد توالت وأن كنوز الا كاسرة قد ملكت وأن الحمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم ولم يكن يعرف كيف يصنع وكيف يضبط ذلك وكان بالمدينة بعض مرازبة الفرس فلما رأى حيرة عمر قال له يا أمير المؤمنين إن للأكاسرة شيئاً يسمونه ديواناً جميع دخلهم وخرجهم مضبوط فيه لا يشذ منه شيء وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل فتنبه عمر رضي الله عنه وقال صفه لي فوصفه المرزبان ففطن عمر لذلك ودوّن الدواوين وفرض العطاء فجعل لكل واحد من المسلمين نوعا مقرراً وفرض لزوجات الرسول صلوات الله عليه وسلامه ولسراريه وأقاربه حتى استنفد الحاصل ولم يدخر في بيت المال شيئاً فقالوا فقام اليه رجل وقال يا أمير المؤمنين لو تركت في بيوت الاموال شيئاً يكون عدة لحادث ان حدث فزجره عمر وقال كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها وهي فتنة لمن بعدي بل أعد للحادث الذي يحدث سوى طاعة الله ورسوله فهي عدتنا التي بها أفضنا ما أفضنا ثم إن عمر رأى أن يجعل العطاء على حسب السبق الى الاسلام والى نصرة الرسول عليه الصلاة

والسلام فى مواطن حروبه ثم استخدم الكتاب فى الدواوين وأمرهم بترتيب الطبقات وبسط العطاء فقالوا عن نبدأ يا أمير المؤمنين فأشار ناس من الصحابة عليه بأن يبدأ بنفسه وقالوا أنت أمير المؤمنين وبعدئك واجب فكره عمر ذلك وقال ابدأوا بالعباس عم رسول الله صلوات الله عليه وبنى هاشم ثم من بعدهم طبقة بعد طبقة وضعوا آل الخطاب حيث وضعهم الله عز وجل فاستمد ما أشار به وجرى الأمر على ذلك مدة خلافته وخلافة عثمان رضى الله عنهما ثم فى آخر خلافته خطر له بعد هذا الرأى وأن يفرض لكل واحد من المسلمين أربعة آلاف وقال ألف يخلفها بعده لعياله ادا خرج الى الحرب وألف يجهز بها والف يصحبها معه والف يرتفق بها فمات عمر رضى الله عنه قبل تمام هذا الرأى ومن وقائعها المشهورة وقعة الجمل ... ح بعد، وقعة الجمل وكيفية الحال فى ذلك . لما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه اجتمع الناس وقصدوا منزل أمير المؤمنين علىّ عليه السلام وسألوه تولى أمرهم فأبى عليهم وقال لا حاجة لى فى أمركم فألحوا عليه الحاحا شديداً وحملوا اليه من كل صوب يسألونه ذلك حتى أجاب فبايعه الناس فسار فيهم بسيرة الحق لا تأخذه فى الله لومة لائم وكانت حركاته وسكناته عليه السلام جميعها لله وفى الله لا يعصى بها حق أحد وكان لا يأخذ ولا يعطى الا بالحق والعدل حتى إن أخاه عقيلا وهو ابن أبيه وأمه طلب من بيت المال شيئاً لم يكن له بحق فمنعه عليه السلام وقال يا أخى ليس لك فى هذا المال غير ما أعطيتك ولكن اصبر حتى يجىء مالى وأعطيك منه ما تريد فلم يرض عقيل هذا الجواب وفارقه وقصد معاوية رضى الله عنه بالشأم وكان لا يعطى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام أكثر من حقهما فانظر الى رجل حمله ورعه على هذا الصنيع بولديه وأخيه من ابويه

فلما سار فيهم هذه السيرة مال على بعض الناس فعله وكرهوا مكانه فخرج الزبير وطلحة رضي الله عنهما بعد ما بايعاه الى مكة وكانت عائشة زوجة الرسول صلوات الله عليه وسلامه بمكة قد خرجت اليها ليالي حوصر عثمان بن عفان رضي الله عنه فاجتمعا معها على عدم الرضى بامارة علي وعلى الطلب بدم عثمان ونسبوا عليّاً عليه السلام الى انه الّب الناس على عثمان وحرّضهم على قتله وما زال علي عليه السلام من أكبر المساعدين له بأن لا بد عنه وما زال عثمان لجأ اليه في دفع الناس عنه فيقوم عليه السلام في دفعهم عنه القيام المحمود وفي آخر الأمر لما حوصر عثمان رسل الى علي عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام لنصرة عثمان رضي الله عنه فقال ابن حسن له عليه السلام اسعتمل مع عثمان وكان عثمان سأله ان يكف نفسه عنه وهو يبذل نفسه في نصرته وأما طلحة رضي الله عنه فانه كان من أكبر المساعدين على عثمان وهذا تشهد به جميع التواريخ * وأما عائشة رضي الله عنها فانها كانت قد خرجت من المدينة الى مكة ليالي حوصر عثمان بن عفان ثم خرجت من مكة الى المدينة فلقيها في الطريق بعض أخوالها فقالت له ما وراءك قال قتل عثمان قالت ثم صنع الناس بعده قال بايعوا عليّاً قالت ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ثم رجعت الى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه فقال لها الرجل لم والله إن أول من أمال حرفه لأنت والله لقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر وكان ذلك لما لعثمان فقالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الاخير خير من قولي الاول * ولما رجعت الى مكة اجتمعت مع الزبير وطلحة على ما ذكرناه من الطلب بدم عثمان وسخط امارة عليّ واجتمع معهم مروان بن الحكم وهو ابن عم

عثمان وقالوا للناس ان الغوغاء من أهل الامصار وعبيد أهل المدينة اجتمعوا
على هذا الرجل المسكين يعني عثمان فقتلوه ظلما وعدواناً فسفكوا الدم الحرام
في البلد الحرام في الشهر الحرام ثم استمالوا أناساً وعزموا على قصد البصرة
واستمالة أهلها والتقوّي بها على قتال عليّ عليه السلام فلما انتهى ذلك الى
أمير المؤمنين قام فخطب الناس وأعلمهم الحال وقال انها فتنة وسأمسك
الامر ما استمسك سدى ثم بلغه ما هو فيه من الخروج والتصميم على الحرب
فنهد اليهم في جمع من المهاجرين والأنصار * وقد كانت عائشة رضي الله عنها
في توجهها الى البصرة اجتازت بماء يقال له الحوأب فنبحها كلابه فقالت
للدليل ما اسم هذا الموضع قال الحوأب فصرخت بأعلى صوتها وقالت ردوني
(انا لله وانا اليه راجعون) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عند
نسائه (أيتكن تنبحها كلاب الحوأب) ثم عزمت على الرجوع فقالوا لها
ان الدليل كذب ولم يعرف الموضع وقالوا لها ان لم تسيري من هذا الموضع
ولا أدركنا علي بن أبي طالب فيه فهلكنا فسارت وسار علي عليه السلام
فالتقى الجمعان بظاهر البصرة وجرت خطوب وحروب وفي بعضها التقى علي عليه
السلام وطلحة والزبير فقال علي عليه السلام لطلحة يا طلحة تطلب بدم عثمان
فلعن الله قتلة عثمان ياطلحة أخبئت نعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل
بها وخبأت عرسك في البيت أما بايعتني قال بايعتك والسيف على عنقي فقال
علي عليه السلام للزبير يا زبير ما أخرجك قال أنت ولا أراك أهلا لهذا الأمر
ولا أولى به منا فقال علي عليه السلام لقد كنا نعدك من بني عبدالمطلب حتى
بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا عبد الله بن الزبير وذكره على أشياء وقال له
أتذكر لما قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه لتقاتلنه وأنت ظالم له قال

لهم ثم ولو ذكرت لما سرت مسيري هذا ووالله لا أقاتلك أبداً فانصرف
أمير المؤمنين عليه السلام الى أصحابه وقال أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن
لا يقاتلكم ثم ان الزبير عزم على ترك الحرب فخدعه ابنه عبد الله وما زال
به حتى كفر عن يمينه وقاتل ولما تراءى الجمعان كان عسكر عائشة وطلحة
والزبير رضي الله عنهم ثلاثين ألفاً وكان عسكر علي عليه السلام عشرين ألفاً فقبل
أن نشب الحرب وعظهم أمير المؤمنين عليه السلام وندبهم الى الصلح وبذل
لهم كل ما ليس عليه فيه غضاضة من جهة الدين فمالوا شيئاً الى الصلح وباتوا
على ذلك ثم في الغداة نشب القتال بين الفئتين وحرب مناوشات وحروب
قصيرة الى نصف النهار حتى أمير المؤمنين عليه السلام فأما الزبير فانه لما رأى
النصرة عليهم رد رأس فرسه ومر فتبعه رجل من عرب البصرة فتبعه عمرو
بن جرموز فقتله بوادي السباع وأتى الى علي عليه السلام بسيفه فقال
للحاجب استأذن لقاتل الزبير فقال علي عليه السلام بشر قاتل ابن صفية بالنار
وصفية أم الزبير وهي عمة أمير المؤمنين عليه السلام ولما رأى سيفه قال سيف
طالما جلا الكروب عن وجه رسول الله صلوات الله عليه * وأما طلحة
فجاءه سهم غائر في رجله فأعطيه فدخل البصرة ردفاً لغلامه وقد امتلأ خفه
دماً وهو يقول اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى فمات بدار خربة من دور
البصرة وقبره اليوم بالبصرة في مشهد محترم عندهم اذا اعتصم به خائف
أو طريد لا يجسر أحد كائناً من كان على اخراجه منه ولأهل البصرة في
طلحة اعتقاد عظيم الى يومنا

وقيل ان الذي قتل طلحة مروان بن الحكم * وأما عائشة رضي الله عنها
فانها كانت على جمل في هودج وقد ألبس هودجها الدروع والصفائح الحديد فلما

اشـتد القتال واشتد عقرها عرقب الجمل فوقع ورفع ووضع هودجها حملا ووضع في مكان بعيد عن الناس وكان أخوها محمد بن أبي بكر من أصحاب علي عليه السلام وابن زوجته أسماء بنت عميس رضي الله عنها فأمره علي عليه السلام أن يمضي الى أخته وينظر هل هي سليمة أم اصابها شيء من جراح فمضى اليها فرآها سليمة ثم ادخلها ليلا الى البصرة ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام أذن للناس في دفن القتلى وكانوا عشرة آلاف من المسلمين ثم امر عليه السلام بجمع الأسلاب وأدخلها الى المسجد الجامع بالبصرة ونادى في الناس من عرف شيئاً من قماشه فليأخذه ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام احسن الى عائشة غاية الاحسان وجهزها بكل ما ينبغي لمثلها وأذن لها في الرجوع الى المدينة وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها لا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء اهل البصرة المعروفات لاجل مؤانستها في الطريق وسيرها صحبة أخيها محمد بن أبي بكر مكرمة محترمة فلما كان يوم رحيلها حضر علي عليه السلام وحضر الناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا بني واما قالت ذلك لان نساء النبي عليه السلام هن أمهات المؤمنين كذلك قال الله تعالى . ورسوله صلوات الله عليه لا يعتب بعض على بعض انه والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها وانه على معتبتي لمن الأخيار وقال علي عليه السلام صدقت والله ما كان بيني وبينها الا ذلك وانها لزوجة نبيكم في الدنيا و الآخرة ثم سارت وشيعها عليه السلام أميالا وارسل بنيه معها مسيرة يوم وتوجهت الى مكة واقامت بها الى أيام الحج ثم حجت وانصرفت الى المدينة * وكانت وقعة الجمل في سنة ست وثلاثين من الهجرة * من وقائعها المشهورة وقعة صفين شرح كيفية الحال في ذلك * لما

انصرف أمير المؤمنين عليه السلام من وقعة الجمل أرسل الى معاويه رضي الله عنه يعرفه اجماع الناس على بيعته ويعلمه ما كان من وقعة الجمل ويأمره بالدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار وكان معاويه رضي الله عنه أميراً بالشأم من قبل عثمان رضي الله عنه وكان ابن عمه فلما ورد الى معاويه رضي الله عنه رسول أمير المؤمنين علي عليه السلام خاف معاويه رضي الله عنه من عليّ عليه السلام وعلم أنه متى استتبّ الامر له عزله ولم يستعمله وقد كان ابن عباس والمغيره بن شعبه رضي الله عنهما أشارا على أمير المؤمنين عليه السلام أن يقر معاويه رضي الله عنه بالشأم مده حتى يتابع الناس ويتمكن ثم يعزله بعد ذلك فلم يطعهما عليه السلام وقال إني إن أقررته على إمارته ولو يوماً واحداً كنت عاصياً في ذلك اليوم لله تعالى ولم يكن الخدع والحيل من مذهب عليّ عليه السلام ولم يكن عنده غير مرّ الحق فحين ورد الرسول الى معاويه رضي الله عنه طاوله ثم استشار بعمرو بن العاص رضي الله عنه وكان أحد الدهاه وكان معاويه رضي الله عنه قد ألفه واستماله ليقوى برأيه ودهائه فأشار عمرو بن العاص على معاويه رضي الله عنهم أن يظهر قميص الدم الذي قتل فيه عثمان بن عفان وأصابع زوجته رضي الله عنهما ويعلق ذلك على المنبر ثم يجمع الناس ويبكي عليه ويلصق قتل عثمان بعلي رضي الله عنهم ويطالبه بدمه ليميل اليه أهل الشأم ويقاتلوا معه فأخرج معاويه رضي الله عنه القميص والأصابع وعلقه على المنبر وبكى واستبكى الناس وذكرهم عصاب عثمان رضي الله عنه فانتدب أهل الشأم من كل جانب وبذلوا له الطلب بدم عثمان رضي الله عنه والقتال معه على كل من آوى قتلته * ثم كتب معاويه رضي الله عنه الى أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً نذكر منه ذلك حينئذ يجهز

علىّ عليه السلام للقتال وكان الناس لحمعوا معه وكذلك صنع معاويه رضى الله عنه ثم التقوا ببعض من أرض الشأم بحرب بينهم مناوشات وحروب كان أولها أن معاويه وأصحابه رضى الله عنهم سبقوا الى شريعة الماء فملكوها ومنعوا أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من الماء ولم يكن هناك شريعة غيرها فلما أخبر علي عليه السلام بذلك أرسل الى معاويه رضى الله عنه رسولا يقول له إن من مذهبنا أن لا نبدأ كم بقتال حتى نحتج عليكم ونظهر فيما حثنا له ونظرون وقد منع أصحابك الناس من الماء فابعث حتى يخلوا سبيل الماء وان شئتم أن نترك ما جئنا له ونكون متقابلين على الماء فيكون الغالب هو الشارب فلما بلغه ذلك فقال معاويه رضى الله عنه لأصحابه ما ترون قال قوم من بنى أميه نرى أن نمنعهم الماء حتى يموتوا عطشاً أو يرجعوا لطلب الماء فيكون هزيمة فقال عمرو بن العاص رضى الله عنه أرى أن تخلى لهم سبيل الماء فان القوم لا يعطشون وأنت ريان فأخر معاويه رضى الله عنه الجواب وقال سأنظر فقبل الناس على الماء وأمدّ علىّ عليه السلام أصحابه وأمد معاويه رضى الله عنه أصحابه ونشبت الحرب والتحم القتال فملك أصحاب علىّ عليه السلام الشريعة فأرادوا منع أصحاب معاويه رضى الله عنه فأرسل اليهم علىّ عليه السلام وقال خذوا حاجتكم من الماء ولا تمنعوهم منه ودام على ذلك مدة حتى كاد عسكر علىّ عليه السلام أن يغلبوا وظهرت أمارات الفتح خاف عمرو بن العاص رضى الله عنه من الهلاك فأشار على معاويه رضى الله عنه برفع المصاحف على الرماح والدعاء الى ما فيها من أمر الله عز وجل فلما رفعت المصاحف فتر أكثر الناس عن الحرب وجاؤا الى أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا يا علىّ أجب الى كتاب الله

عز وجل فوالله إن لم تفعل لنحملنك كارهاً الى معاوية رضي الله عنه أو لنفعلنّ بك كما فعلنا بابن عفان رضي الله عنه فقال لهم عليّ عليه السلام يا قوم إنها خدعة منهم وإنهم ليس فيهم من يعمل بهذه المصاحف أواسمع مني منه من ربكم فامضوا لسأنكم وقاتلوا عـدوكم فلم يقبلوا وعلوه فأجاب الى ترك القتال ثم أرسل الى معاوية رضي الله عنه رسولا يقول له ما الذي يريد برفع هذه المصاحف قال نحكم منا رجلا ومنكم رجلا ونقسم على الرجلين أن ينصحا الامة ويعملا بما في كتاب الله عز وجل وما لم يجداه في كتاب الله حملاه على السنة والجماعة فأي شيء حكما به فلنأخذه فتراضى الناس جميعاً بذلك الا أمير المؤمنين علي عليه السلام فانه رضي كارهاً مغلوباً وغير تسير من طائفة كالاشتر وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهما وانعقد الاجماع على تحكيم رجلين فأما أهل الشأم فاجمعوا على أن يكون الحكم من جهتهم عمرو بن العاص رضي الله عنه داهية العرب وأما أهل العراق فطلبوا أبا موسى الاشعري رضي الله عنه وكان سيفاً معطلا فلم يستصلحه أمير المؤمنين عليه السلام للتحكيم وقال ان كان ولا بد من التحكيم فدعوني أرسل عبد الله بن عباس فقالوا لا والله هو أنت وأنت هو قال فالاشتر قالوا وهل سعر الا ص بين الاشتر قال فقد أبيتم الا أبا موسى قالوا نعم قال فافعلوا ما شئتم فاصطلح الناس على أبي موسى وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وتواعدوا الى سوور وسكنت الحرب وانصرف الناس الى أمصارهم ورجع معاوية رضي الله عنه الى الشأم وأمير المؤمنين عليه السلام الى العراق ثم بعد شهور سار الحكمان ليجتمعا بدومة الجندل وكانت ميعاد الحكمين وسار ناس من الصحابة ليشهدوا ذلك المقام وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أرسل صحبة أصحابه

عبد الله بن العباس رضي الله عنه فلما اجتمع الحكمان قال عمرو بن العاص لأبي موسى الاشعري يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوماً قال أشهد قال ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه قال بلى قال عمرو فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمت فان خفت أن يقول الناس ليست له سابقة فقل وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوج النبي صلوات الله عليه وكاتبه وقد صحبه وعرض عمرو لأبي موسى بولاية ووعده عن معاوية بأشياء فأبى أبو موسى وقال معاذ الله أن أولي معاوية وأن أقبل في حكم الله رشوة فقال له عمرو فما تقول في ابني عبد الله وكان لعمرو بن العاص ابن اسمه عبدالله من خيار الصحابة رضي الله عنهم فأباه أبو موسى وقال لعمرو إنك غمسته معك في هذه الفتنة ولكن هل لك في خيار بن خيار ونديه ابي عبد الله بن عمر فأباه عمرو فلما يئسا قال له عمرو يا أبا موسى فأي شيء هو رأيك قال أبو موسى رأيي أن نخلع علياً ومعاوية رضي الله عنهم من هذا الأمر ونريح الناس من هذه الفتنة وندع أمر الناس شورى فيختار المسلمون لأمرهم من يجمعون عليه قال عمرو رضي الله عنه نعم ما رأيت وأنا معك على ذلك ولاح وجه الحيلة وكان قد عود أبا موسى الأشعري أن يقدمه في الكلام يقول له أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر سناً فيقول أبو موسى أن تكلم قبل عمرو فيقدم أبو موسى وقال إني وعمرا قد اتفقنا على أمر نرجوا فيه صلاح المسلمين فيقدم عمرو وقال صدق وبر تقدم ياأبا موسى وأعلم الناس بما اتفقنا عليه فقام بن عباس وقال لأبي موسى ويحك إني لأظنه قد خدعك وقد أوهمك انه اتفق معك على ما تريد ثم قدمك ليعرف به

فاذا اعترف ابكره فانه رجل غادر فان كنتما قد اتفقتما على شئ فقدمه فليقله
ملك فقال أبو موسى انا قد اتفقنا ثم قال انا قد اتفقنا على أن نخلع عليا
ومعاوية وندع أمر المسلمين شورى يختارون من أجمعوا عليه وانى قد خلعت
عليا ومعاوية من الخلافة كما نخلع الخاتم من الاصبع فتقدم عمرو بن العاص
رضى الله عنه وقال أيها الناس قد سمعتم ماقال وانه قد خلع صاحبه وانا أيضا
قد خلعته معه وأثبت صاحبي معاوية فأنكر أبو موسى وقال انه غدر وكذب
وما على هذا اتفقنا فلم نسمع منه وتفرق الناس ومضى عمرو بن العاص وأهل
الشأم الى معاوية وسلموا عليه بالخلافة ومضى بن عباس وأصحاب على عليه
السلام الى أمير المؤمنين وأخبروه بما جرى وأما أبو موسى فان أهل الشأم
طلبوه فهرب الى مكة * وعلى ذلك انفصل أمر صفين فكانت مدتها فى سنة
ست وثلاثين وانقضاؤه فى سنة سبع وثلاثين حدث الخوارج وما كان
منهم وما آلت بهم الحال اليه * لما جرى أمر التحكيم على الوجه المشروح عاد
الذين أشاروا بالتحكيم وألزموا أمير المؤمنين عليه السلام الرضى به ندموا عليه
ونفروا وأبوا عليا عليه السلام وقالوا لاحكم الا لله قال على عليه السلام لاحكم
الا لله قالوا فما لك حكمت الرجال قال انى لم ارض بنصبه التحكيم وأنتم الذين
رضيتموها وانى أعلمتكم أنها مكيدة من أهل الشأم وأمرتكم بقتال عدوكم
فأبيتم الا التحكيم وغلبتموني على رأيي فلما نفذ من بد من التحكيم
شرطت وشرطت على الحكمين أن يعملا بكتاب الله عز وجل وأن يحييا
ما أحيى الكتاب ويميتا ما أمات فخلفا وخالفا كتاب الله وعملا بالهوى فنحن
على الرأي الاول فى قتالهم قال الخوارج أما نحن فلا ريب انا رضينا بالتحكيم
فى أول الامر لكننا ندمنا عليه وعلمنا انا كنا مخطئين فأنت ان أقررت

على نفسك بالكفر واستغفرت الله من خطيئتك وتبت وتحكمت الرجال رجعنا معك الى قتال عدوك وعدونا والا فيا نحن قد نابذناك فوعظهم بكل قول ونصرهم بكل وجه فلم يرجعوا واجتمعوا أثنا من أهل البصرة والكوفة وعبرهم وقصدوا النهروان وكان رأيهم ان يأتوا بعض المدن الحصينة فيتحصنوا بها ويقاتلون فيها وصدرت منهم أمور منافقة تدل على ان تخطو خبط عشو. * منها أن رطبة سقطت من نخلة فتناولها رجل ووضعها في فيه فقالوا له أكلتها غصباً وأخذتها بلا ثمن فألقاها . ومنها ان خنزيراً لبعض أهل القرى مر بهم فضربه أحدهم بسيفه فعقره فقالوا هذا فساد في الارض فمضى لرجل الى صاحب الخنزير وأرضاه . ومنها أنهم كانوا يقتلون النفس التي حرم الا بالحق فقتلوا عبد الله بن خباب رضي الله عنه وكان خباب من كبار الصحابة وقتلوا عدة نساء وسبوا وفعلوا أفاعيل من هذا القبيل * فلما بلغ علياً عليه السلام أمرهم وقد كان خطب الناس في الكوفة وندبهم الى قتال أهل الشأم واعادة الحرب جذعة قالوا ياأمير المؤمنين أنى تمضي وندع هؤلاء الخوارج يخلفونا في عيالنا وأموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا منهم رجعنا الى قتال أعدائنا من أهل الشأم فسار عليه السلام بالناس الى الخوارج فلقيهم على النهروان وأبادهم فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا * كرامة لأمير المؤمنين صلوات الله عليه * لما التقى الخوارج بالنهروان أحجموا قدامه الى ناحية الجسر فظن الناس أنهم قد عبروا الجسر فقالوا لعلي عليه السلام ياأمير المؤمنين انهم قد عبروا الجسر فقال لهم قبل أن يعبدوا فقال أمير المؤمنين عليه السلام ماعبروا وان مصارعهم دون الجسر ووالله لا يقتل منكم عشرة ولا ينجو منهم عشرة فشك الناس في قوله فلما اشرفوا على الجسر رأوهم لم يعبروا فكبر أصحاب أمير المؤمنين

عليه السلام وقالوا له هو كما قلت يا أمير المؤمنين قال نعم والله ما كذبت ولا كذبت فلما انفصلت الوقعة وسكنت الحرب اعتبر القتلى من أصحاب علي عليه السلام فكانوا ستة وأما الخوارج فذهبت طائفة منهم قبل أن تنشب الحرب وقالوا والله ماندري على أي شيء نقاتل علي بن أبي طالب سنأخذ ناحية حتى ننظر الى ماذا تؤول الامر وأما الباقون فنسوا وقاتلوا فهلكوا جميعهم ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام لما انقضى أمر الخوارج رجع الى الكوفة وندب الناس الى قتال أهل الشأم فقاتلوا فأعاد القول عليهم ووعظهم وحثهم على الجهاد فقالوا يا أمير المؤمنين كلت سيوفنا ونفدت نبالنا وملننا من الحرب فامهلنا نصلح أمورنا و وجه وكان قد عسكر ظاهر الكوفة فامهلهم وأمرهم أن يوطنوا نفوسهم على الحرب ونهاهم عن عسيان أهاليهم حتى يرجعوا من الشأم فصاروا يتسللون ويدخلون الكوفة حتى خلا المعسكر منهم فبطل رأيه عليه السلام وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين * وفاة الاربعة * وفاة أبي بكر رضي الله عنه * أول من مات منهم أبو بكر مات بالمدينة حتف أنفه في سنة ثلاث عشرة وكان مرضه نظير لسمة الحية التي لسعته ليلة الغار ودفن عند النبي صلوات الله عليه وسلامه في بيت عائشة ابنته رضي الله عنها زوج الرسول وكان الرسول صلوات الله عليه لما قبض قبض في بيتها فدفن أبو بكر عنده وعهد الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستخلفه على الأمة بعده * مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه * لما وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج اغتاظ من ذلك أبو لؤلؤة رضي الله عنه غلام المغيرة بن شعبة لانه كان قد وضع الخراج على مولاه وكان عمر بن الخطاب لي أنا لؤلؤة رضي الله عنهم فقال له اصنع لي رحى فقال أبو لؤلؤة لأصنعن

لك وحى تدور مع الدهر فقال عمر يهددنى العبد فطعنه وهو فى الصلاة فبقى ثلاثة أيام ومات ودفن فى تربة النبى عليه السلام وذلك فى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وأما أبو لؤلؤة فاجتمع الناس عليه فقتل منهم جماعة ثم أخذ وقتل * ذكر الشورى وصفة الحال فى ذلك * لما طعن عمر اجتمع اليه الناس وسألوه عمن يولى الأمر بعده فجعل الأمر شورى والشورى فى اللغة هى المشاورة ومعنى هذا أن عمر لما أحس بالموت نظر فيمن يعهد اليه و يوليه أمر الأمة فلم يصح رأيه فى رجل واحد فجعلها فى ستة من أكابر الصحابة وهم أصحاب الشورى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم وقال كل من هؤلاء صالح للأمر بعدى وأمرهم أن يتشاوروا ثلاثة أيام ثم يجمعوا على واحد من هؤلاء الستة وكان طلحة رضى الله عنه غائباً فقال عمر إن قدم طلحة قبل الايام الثلاثة وإلا فامضوا أمركم وأقام عليهم رجلا من الأنصار وقال ان الله أعزّكم بالاسلام فاختر خمسين رجلا من الأنصار واستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا وقال إن اجتمع خمسة ورضوا واحداً منهم وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤسهما وان رضى ثلاثة منهم رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر بعنى ابنه فأى الفريقين حكم فليختاروا رجلا منهم وكان قد أمر صهيب ابنه فى ذلك المقام مسيراً ولم يجعل له من الأمر شيئاً فان لم يختاروا بحكم عبد الله ابن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس فلم يجر مما قال شىء بل لما مات بويع عثمان بن عفان وكان من الامر ما كان * مقتل عثمان بن عفان وسببه * ان ناساً من

المسلمين همموا عليه يحاوره لطريقة صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهم من التعلل والكف عن أموال المسلمين وكان هو قد فرق جملة منها على أقاربه ووسع على عياله وأهله ثم جملة ما فعل به أعطى عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألف درهم وأعطى مروان بن الحكم خمسة عشر ألفاً ولم يكن المسلمون عادوا مثل هذا التبذير وعهدهم قريب بضبط أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فمروا من ذلك وحزب بينهم وبينه معاتبات ومقاولات فاعتذر اليهم بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهم منعا أنفسهما وأهلهما احتساباً لله وتوكلا حتى عوضهما وأنا صاحب عيال فمددت يدي فوسعت على وعلى أهلي شيء من هذا المال فان سخطتم هذا فأمري لأمركم تبع فقالوا أأحسنت وأنصفت قد أعطيت عبد الله بن خالد خمسين ألفا ومروان خمسة عشر ألفاً قال فاني استعيد ذلك منهما واستعاد ما أعطاهما وكان قد عابوه على مصادرات أموره التي حمله عليها وحسنها له مروان بن الحكم تصدرمنه وتلزمه لهم ما يسرون به عليه وحنق منه وفشا الأمر فاجتمع ناس من أهل الأمصار على حربه فجاء أهل مصر وناس من كل صقع وعزموا على قتله فخرج للقاء وجاء الى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له يا ابن عم لي عليك حق وقد قصدتك وقد سد هؤلاء القوم منزله وهم يقتلون فوالله وقد رني جرأتهم عليّ فاخرج اليهم وردهم عني فركب على عليه السلام ورد الناس عنه وضمن لهم عنه حسن السيرة فرجعوا ثم أعضل الخطب وزين له مروان بن الحكم أموراً تعدها الناس فاجتمعوا عليه من كل صوب وأحاطوا به وحصروه في داره فأرسل الى عليّ عليه السلام يستنصره فأرسل له ابنه الحسن عليه السلام فقاتل عنه قتالا شديداً حتى كان يسكنه وهو يقاتل عنه ويبذل نفسه دونه وتكاثر الناس

عليه فدخلوا عليه الدار وخبطوه بالسيوف وهو صائم والمصحف في حجره وهو يقرأ فيه فوقع المصحف من يديه وسال الدم عليه فقامت روحه بالله للملتقى عنه الله ب يدها فأصاب السيف أصابعها فأبانها وهي الأصابع التي كان نعلها معاويه رضي الله عنه على منبر الشام مع قميص عثمان ليرقق الناس بذلك وولت المرأة دهشة فعبر صارخا أورا كها وقال بها لكبره العجز ثم قتل عثمان رضي الله عنه واحتزوا رأسه فوقع نساؤه عليه وصحن وبكين فقال بعضهم دعوه فتركوه ثم داس رجل من أهل الكوفة يقال له عمير بن ضابئ البرجمي أضلاعه فكسرها ثم نهب داره حتى أخذ ما على النساء ثم حمل في تابوت بعد أيام ليدفن فقعد جماعة على الطريق يريدون رجمه فأرسل أمير المؤمنين علي عليه السلام اليهم فردهم عن ذلك ودفن فرسخا من البقيع ثم بعد ذلك اشترى معاويه رضي الله عنه ما حول قبره ومرجه بمقابر المسلمين وأباح للناس الدفن حوله فكان ذلك في سنة خمس وثلاثين من الهجرة وسمي يوم قتله يوم الدار لانهم هجموا عليه في داره وقتلوه بها

*** مقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام ***

نقل من عدة جهات أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول دائما ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذا يعني لحيته بدم رأسه وكان اذا رأى عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله ينشد (وافر)

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وكان يقال له اذا جرى على لفظه مثل هذا يا أمير المؤمنين فلم لا تقتله فيقول كيف أقتل قاتلي وهذا يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بذلك في جملة ما أعلمه به ومما يؤكد هذا ما روي عن أنس بن مالك

رضي الله عنه قال مرض علي عليه السلام فدخلت عليه أعوده وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فجلسا عنده ساعة فأتى رسول الله صلوات الله عليه فنظر في وجهه فقال له أبو بكر رضي الله عنه يا نبي الله إنا نراه لمائت فقال لن يموت هذا الآن ولن يموت حتى يملأ غيظاً ولن يموت إلا مقتولا وكان علي عليه السلام دائما يحسن الى ابن ملجم لعنه الله قالوا فلما دخل شهر رمضان من سنة أربعين كان علي عليه السلام يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار عليهم السلام فاذا أكل لا يزيد على ثلاث لقم ويقول انما هي ليلة أو ليلتان و أتى أمر الله وأنا خميص فلم يمض إلا ليال قلائل حتى قتل عليه السلام

وقيل انه قتل في شهر ربيع الآخر والاول أصح وهو المعول عليه

* وأما كيفية قتله عليه السلام *

فانه خرج من داره بالكوفة أول الفجر فجعل ينادي الصلاة يرحمكم الله فضربه ابن ملجم لعنه الله بالسيف على أم رأسه وقال الحكم لله لا لك يا علي وصاح الناس وهرب ابن ملجم فقال أمير المؤمنين لا يفوتكم الرجل فشد الناس عليه فأخذوه واستناب علي عليه السلام في صلاة الصبح بعض أصحابه وأدخل داره فقال أحضروا الرجل عندي فلما حضر عنده قال له ياعدو الله ألم أحسن اليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحذته أربعين صباحا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه فقال أمير المؤمنين لا أراك إلا مقتولا به ولا أراك الا من شر خلق الله ثم قال عليه السلام النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلني وإن بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا تخوضوا في دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا تقتلن بي

إلا فاملي ثم النفت الى ابنه الحسن عليه السلام وقال انظر يا حسن اذا انا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل فاني سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ،
ثم وصى بنيه بتقوى الله تعالى وباقامة الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء وغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت للامر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض صلوات الله عليه وسلامه فلما قبض بعث الحسن عليه السلام الى ابن ملجم فأحضره فقال للحسن هل لك في أمر اني والله قد اعطيت الله عهداً أن لا اعاهد عهداً إلا وفيت به واني عاهدت لله عند الحطيم ان اقتل علياً ومعاوية او اموت دونهما فخل بيني وبين معاوية حتى امضي واقتله ولك عهد الله عليّ اني ان لم اقتله او قتلته وسلمت ان اجيء اليك حتى اضع يدي في يدك فقال الحسن لا والله حتى تذوق النار ثم قدمه فقتله وأخذه الناس فأدرجوه في بواريّ وأحرقوه بالنار
وأما مدفن أمير المؤمنين عليه السلام فانه دفن ليلا بالغريّ ثم عفي قبره الى أن ظهر حسب مشهده الآن صلوات لله عليه وسلامه
وأما السبب الذي حمل ابن ملجم لعنه الله على قتله فهو أن ابن ملجم كان أحد الخوارج فاجتمع برجلين من الخوارج وتذاكروا من قتل أمير المؤمنين عليه السلام منهم بالنهروان وقالوا ما في الحياة بعد أصحابنا نفع وتواعدوا على أن يقتل كل واحد منهم واحداً من ثلاثة عليّ بن أبي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم فقال ابن ملجم أنا أكفيكم علياً وقال

الآخر أنا أكفيكم معاوية وقال الآخر أنا أكفيكم عمرا فأما ابن ملجم لعنه الله فانه رأى امرأة جميلة من بنات الخوارج فخطبها فقالت له أريد كذا وكذا وأريد ان تقتل علي بن ابي طالب فقال لها ماجئت الا لقتله والتزم لها انه يقتله ثم قتله وقتل بعده . وأما الآخر فانه مضى الى معاوية فقعد له حتى خرج فضربه بالسيف على طرف اليته فلم يصنع طائلا ونطبب لها معاوية فبرئ وقيل الرجل وقيل لم يقتله . واما الآخر فمضى الى مصر لقتل عمرو بن العاص فقعد له فاتفق ان عمرو بن عمرو ابن العاص فقعد له فاتفق ان عمرو لحقه مراجعة في تلك الليلة فلم يخرج في صبحتها الى الصلاة وسيأتي بعض أصحابه فلما طلع اليه مدة الرجل عمرا فضربه فقتله فقبضوه واحضروه الى عمرو فلما رأى الناس يسلمون عليه بالامارة قال من هذا قالوا الامير عمرو بن العاص قال فمن قتلت قالوا نائبه وكان اسمه خارجة فقال الرجل لعمرو بن العاص ما والله ما قصدت ما اردت غيرك فقال عمرو اردتني واراد الله خارجة ثم قدمه عمرو فقتله . ولما بلغ عائشة رضي الله عنها قتل علي عليه السلام قالت (طويل)

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر

❊ الدولة الاموية ❊

(وهي ثاني سلطنة للملك من الاولة الاولى)

لما قتل أمير المؤمنين صلوات الله عليه بايع الناس الحسن بن علي عليهما السلام فمكث شهوراً حتى اجتمع هو ومعاوية فصالحا المصالحة الحاضرة التي كان الحسن عليه السلام أعلم بها وسلم الخلافة اليه وتوجه نحو المدينة وبويع معاوية رضي الله عنه بالخلافة العامة ودعي بأمير المؤمنين وذلك في

سنة أربعين من الهجرة * ذكر شيء من سيرة معاوية ووصف طرف من حاله
*هو معاوية بن ابي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد
مناف كان أبوه ابو سفيان أحد أشياخ مكة أسلم في السنة التي فتح الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم فيها مكة وأسلم معاوية وكتب الوحي في جملة من
كتبه بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكانت أمه هند بنت عتبة
شريفة في قريش أسلمت عام الفتح وكانت في وقعة أحد لما صرع حمزة بن
عبدالمطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وآله من طعنة الحربة التي طعنها
جاءت هند فمثلت بحمزة وأخذت قطعة من كبده فمضغتها حنقاً عليه لأنه كان
قد قتل رجالا من أقاربها فلذلك قيل لمعاوية بن آكلة الاكباد
ولما فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة حضرت اليه متنكرة في جملة نساء
من نساء مكة أتين لمبايعته فلما تقدمت هند لمبايعته اشترط صلوات الله عليه
وآله شروط الاسلام عليها وهو لايعلم أنها هند فأجابته بأجوبة قوية على جودتها
منه فيما قال لها وقالت قال لها صلوات الله عليه وآله وسلم تبايعني على أن
لاتقتلي أولادكن وكانوا في الجاهلية يقتلون الاولاد فقالت هند أما نحن
فقد ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً يوم بدر فقال وعلى أن لاتعصيني في معروف
قالت ماجلسنا هذا المجلس وفي عزمنا أن نعصيك قال وعلى أن لاتسرقن
قالت والله ماسرقت قط في عمري شيئاً اللهم الا أني كنت آخذ من مال أبي سفيان شيئاً
في بعض الوقت وكان ابو سفيان زوجها حاضراً فقال قد عفونا أو قال وما أخذت
الله عليه وآله أنها هند فقال هند قالت نعم يا رسول الله فلم تقل شيئاً لأن
الاسلام جب ما قبله ثم قال وعلى أن لا تزنين قالت وهل تزني الحرة قالوا
فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله الى العباس رضي الله عنه وتبسم

وأما معاوية رضي الله عنه فكان عاقلا في دنياه لبيباً عالماً حليما ملكا قويا جيد السياسة حسن التدبير لأمور الدنيا عاقلا حكيما فصيحاً بليغاً يحلم في موضع الحلم ويشتد في موضع الشدة إلا أن الحلم كان أغلب عليه وكان كريماً باذلا للمال محباً للرئاسة مشغوفاً بها كان يفضل على أشراف رعيته كثيراً فلا يزال أشراف قريش مثل عبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر الطيار وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبان بن عثمان بن عفان وناس من آل أبي طالب رضي الله عنهم يفدون عليه بدمشق فيكرم مثواهم ويحسن قراهم ويقضي حوائجهم ولا يزالون يحدثونه أغلظ الحديث ويجبهونه أقبح الجبه وهو يداعبهم تارة ويتغافل عنهم أخرى ولا يعيدهم إلا بالجوائز السنية والصلات الجمة قال يوماً لقيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو رجل من الأنصار يا قيس والله لقد كنت أود أن تنكشف الحروب التي كانت بيني وبين علي عليه السلام وأنت حي فقال قيس والله اني كنت أكره أن تنكشف تلك الحروب وأنت أمير المؤمنين فلم يقل له شيئاً وهذا من أحمل ما كانوا يخاطبونه به

وبعث الى رجل من الأنصار بخمس مائة دينار فاستقلها الأنصاري وقال لابنه خذها وامض الى معاوية فاضرب بها وجهه وردها عليه وأقسم على ابنه أن يفعل ذلك فجاء ابنه الى معاوية ومعه الدراهم فقال ياأمير المؤمنين ان أبي فيه حدة وسرعة وقد امرني بكيت وكيت وقسم علي وما اقدر على مخالفته فوضع معاوية يده على وجهه وقال افعل ما امرك ابوك وارفق بعمك فاستحى الصبي ورمى بالدراهم فضاعفها معاوية وحملها الى الأنصاري وبلغ الخبر يزيد ابنه فدخل على معاوية غضبان وقال لقد افرطت في الحلم حتى خفت ان يعد ذلك منك

صـعفاً وحساً فقال معاويه اى بى انه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مدمه فامص لسأنك ودعى ورأبى وعثل هده السيره صار حلمه العالم وحصع له من اساء المهاحرين والانصار كل من يعتقد انه أولى منـه بالحلافه وكان معاويه رصى الله عنه من أدهى الدهاه ۔ روى أن عمر بن الخطاب رصى الله عنه قال للحلسائه تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وسدكم معاويه ۔ ومن دهائه ما اعهده من اسماله عمرو بن العاص وكان عمرو بن العاص احـد الدهاه وكان ولى ما سبب الصبه بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاويه معتزلا للفريقين فرأى معاويه ان يستميله ويقوى برأيه ودهائه ومكره فاستماله ووصل حبله بحبله وولاه مصر ودخل معه فى ملك المدحل وعمل فى صعيد تلك الافاعيل ولم يكن بينهما مع ذلك موده قلبيه وكانا يتباغضان سراً وربما ظهر ذلك على صفحات وجوههما وفلتات السنتهما طلب أمير المؤمنين عليه السلام فى صفين من معاويه ان يخرج لى مبارزه فقال له عمرو بن العاص رصى الله عنه قد انصفك ولا يحسن بك النكول عن مبارزته فقال له معاويه عسسى وأحسب فيك أنسب بعلى ان ابن ابى طالب لا يبرز له احـد الا قتله وقال معاويه يوما لجلسائه ما اعجب الأشياء فقال يزيد اعجب الأسـماء هذا السحاب لراكد بين السماء والارض لا يدعمه شئ من تحته ولا هو مربوط بشيء من فوقه وقال آخر أعجب لأشياء حظ ناله جاهل وحرمان ناله عاقل وقال آخر أعجب الاشـياء ما لم ير مثله وقال عمرو بن العاص أعجب الاشـياء ان المبطل يغلب المحق يعرّض بعلىّ عليه السلام ومعاويه فقال معاويه بل اعجب الاشياء ان يعطى الانسان ما لا يستحق اذا كان لا يخاف يعرّض بعمرو ومصر فعقب كل منهما بما فى صدره من لآخر

وعلم ن معاويه كان مرى دول وسأسس مم ورعى ممالك سكر فى لدوله
ساء م تسعه حد النها . ا به . من وصع حسم للملوك ورفع حر ب
س بد به ووصع المقصو ه ل صلى لملك ، لخ عه ا فى لحامع ، رد
، الناس ، دلك لخوفه مما ح ى لأ ، ه لمؤ س علمه لسلام مصار نصلى
، مرد فى مقصوره فاد سجد قام ح ب على سه با سه ف ، هه و ب
، وصع له بد ، سوب لا حار ، عه

كلام فى معى له بد

له بد ن حعل حب ، مصر ر ب ى سده ما ب فاد ، صل صاحب حه
لمسرع ى مكان ، ا وقد عب مرسه ركب ، ه فرسا مسه مجاً وكدلك
فعل ب لمكاب لآحر ، لآحر حى ص ل له عه و ما معناه للعوى
فاله با هو اع ، لا و ص ب له به الى كانه فدره ها س بريد وبريد
هى هد لفد ، فال لصاحب علا لدى عصا ملك فى حهال كساى و ، ب
حمله لاسا وصعهم به بد كل مكان صلا حص لامو ب وسعه ، صوب
لاحا ، ، حدب لاحوب ، ا رى به بد فائده سوى عه ، صوب
لاحار فأما حص لامو ب فاى تعلق له بدلك

ومما حرع معاويه رصى لله ، ه من مه الملك ده ب لخاتم وهد دنو ب
مسر ، من كا لدو ون ، ب لسه حارنه به ب وسط دوله بى العباس
فأسقط و ، اه ن كوب دنو ب ، به به ب فاد صد بوقع ، ب حلمه باس
، ب لامور حص التوقع ى دلك لا بو ب ، ساب تسحه فيه وحرم
بخ ط وحم سمع كما فعل فى هد ا اى نكسب العصاه وحم محاتم صاحب
دلك لدنو ن

وكان الذي حمل معاوية رضي الله عنه على اختراع هذا الديوان أنه أحال رجلا على زياد بن أبيه أمير العراق بمائة ألف درهم فمضى ذلك الرجل وقرأ الكتاب وكانت تواقيعهم تصدر غير مختومة فجعل المائة مائتين فلما رفع زياد حسابه الى معاوية رضي الله عنه أنكر معاوية ذلك وقال ما أحلته إلا بمائة ألف ثم استعادها منه ووضع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه مختومة لا يدري أحد ما فيها ولا يتمكن أحد من تغييرها

وكان معاوية رضي الله عنه مصروف الهمة الى تدبير أمر الدنيا يهون عليه كل شيء اذا انتظم أمر الملك فانظر الى وصف عبد الملك بن مروان له فانه لخص منه هذا المعنى * قالوا ان عبد الملك بن مروان مر بقبر معاوية رضي الله عنه فترحم عليه فقال له رجل قبر من هذا يا أمير المؤمنين قال قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم . ويسكت عن حلم . كان اذا أعطى أغنى . واذا حارب أفنى . ووصفه أيضاً عبد الله بن العباس وكان من المعاندين فقال ما رأيت أليق من أعطاف معاوية بالرئاسة والملك * وقال له بعض بني أمية والله لو قدرت أن تستكثر بالزنج لاستكثرت بهم لينتظم لك أمر الملك

وكان معاوية رضي الله عنه بهما شحيحاً عند الطعام على كرمه وسماحته فاما نهمته فقالوا إنه كان يأكل في كل يوم خمس أكلات آخرهن أغلظهن ثم يقول يا غلام ارفع فوالله ما شبعت ولكني مللت * وروى انه أصلح له عجل مشوي فأكل معه دستا من الخبز السميد واربع فراني وجدياً حاراً وآخر بارداً سوى الالوان ووضع بين يديه مائة رطل من الباقلي الرطب فأتى عليه *وأما شحه على الأكل فان ابن أبي بكرة دخل عليه ومعه ابنه فجعل ابنه يأكل أكلا مفرطاً ومعاوية يلحظه وفطن ابن ابي بكرة لحنق معاوية واراد

أن سهى ابنه عن كثرة الأكل فلم ينته له ذلك وخرجا من عند معاوية رضي الله عنه وفي الغد حضر الابن وليس معه ابنه فقال له معاوية ما فعل ابنك قال يا أمير المؤمنين انخرق مراقه قال قد علمت أن تلك الأكلة ما كانت تتركه حتى تهيضه . وهاهنا موضع حكاية حسنة تدل على كرم ومروءة ونبل كان بعض الوزراء مشغوفاً بالأكل ويحب كل من يأكل معه وكل من كان أكثر أكلاً كان أقرب الى قلبه فاتفق انه قصد بعض الأكابر من العلويين وكان عليه وجوهاً من خراج وضمان وغير ذلك وطالبه بها فوكل عليه في نفس داره أعني دار الوزير فى بعض الايام مد السماط بين يدى الوزير فقال العلوى للموكلين به إني جائع فهل تأذنون أن أخرج الى السماط وأتمم معى فآكل وأعود الى هذا الموضع وكان العلوى قد فطن لطمع الوزير في ذلك فاستحيوا منه وأذنوا له فى ذلك فخرج وجلس فى أخريات السماط وجعل يأكل بنهم فلحظه الوزير وهو مقبل على الأكل فاستدناه ورفعه الى صدر المجلس وقدم اليه من أطايب ذلك الطعام وكلما بالغ فى الأكل زادت بشاشة الوزير وطلاقته فلما رفع الطعام استدعى الوزير كاتباً فيه نار وأحضر الحساب الذى وقع على الرجل به وقال أيها السيد قد أرحتك الله من هذا المال وأنت فى حل منه ووالله وحق جدك صلوات الله عليه ليس عندى بهذا الحساب ولا فى الديوان به غير هذه النسخة ثم ألقاها فى الكانون فاحترقت وأفرج عنه وأذن له في الرّواح الى منزله * ومما عظم على الناس عامة وعلى بني أمية خاصة قصة الاستلحاق وهي ان معاوية رضي الله عنه استلحق زياد بن أبيه وجعله أخا له ليتكثر به ويتقوّى برأيه ودهائه

● شرح كيفية الاستلحاق على وجه الاختصار *

كانت سمية أم زياد تعمًّا من بغايا العرب ولها زوج اسمه عبيد فاتفق أن أبا سفيان وهو أبو معاوية نزل بخمار يقال له ابومريم فطلب ابو سفيان منه بغيًّا فقال له ابومريم هل لك في سمية وكان ابوسفيان يعرفها فقال هاتها على طول ثديها ودفر بطنها (والدفر الصنان ونتن الريح) فأتاه بها فوقع ابو سفيان عليها فعلقت منه بزياد ثم وضعته على فراش زوجها عبيد فلما نشأ زياد تأدب وبرع وتقلب في الاعمال فولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عملا فاحسن القيام به فحضر يومًا مجلس عمر وفيه اكابر الصحابة وأبو سفيان في جملة القوم فخطب زياد خطبة بليغة لم يسمعوا مثلها فقال عمرو بن العاص لله در هذا الغلام لو كان ابوه من قريش لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله إني لاعرف أباه الذي وضعه في رحم أمه وعنى نفسه فقال له أمير المؤمنين علي عليه السلام يا سفيان أسكت فانك لتعلم أن عمر لو سمع هذا القول منك لكان اليك سريعًا فلما ولي عليه السلام الخلافة استعمل زيادا على فارس فضبطها وحمى قلاعها فقام بها مقاما مرضيًّا فاستهوى كفاءته وفضل الخبر معاوية رضي الله عنه فساءه أن يكون من أصحاب علي عليه السلام رجل مثل زياد وأراده لنفسه فكتب اليه كتابا يهدده ويعرض له بولاده أبي سفيان ويقول له انت أخي فلما سمع زياد اليه وبلغ الخبر امير المؤمنين عليًّا عليه السلام فكتب الى زياد إني وليتك ما وليتك وانا أراك له اهلا وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذب النفس لا توجب لك ميراثا ولا تحل لك نسبًا وإن معاوية رضي الله عنه يأتي الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام فلما قتل علي عليه السلام جد معاوية في استصفاء مودة زياد واستمالته وترغيبه في الانخراط في زمرته فنشأ بينهما حدث

ولادة ابي سفيان واسمائها على الاستلحاق وحضر شهود مجلس معاوية رضي الله عنه فشهدوا بان زيادا ولد ابي سفيان فمن جملة الشهود ابو مريم الخمار الذي أحضر سمية الى ابي سفيان وكان هذا ابو مريم قد أسلم وحسن اسلامه فقال له ثم شهد بانا مريم فقال أشهد أن ابا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيا فقلت له ليس عندي الا سمية فقال هاتها على قذرها ووضرها فأتيته بها فخلا معها ثم خرجت من عنده وانها لتقطر منياً فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فاستلحقه معاوية رضي الله عنه قالوا وكان هذا الاستلحاق أول ما ردت به احكام الشريعة علانية فان رسول الله صلوات الله عليه قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر وقد اعتذر قوم لمعاوية أن قالوا انما جاز استلحاق معاوية زيادا لان انكحة الجاهلية كانت أنواعاً من جملتها أن الجماعة ذا جامعوا بغيا ثم ولدت الولد ألحقت الولد بمن شاءت منهم والقول في ذلك قولها فلما جاء الاسلام حرم هذا النكاح الا انه اقر كل ولد على نسبه الى الاب الذي نسب اليه من أي نكاح كان من انكحتهم ولم يفرق الاسلام بين شيء من ذلك

قال آخرون صدقتم في هذا لكن معاوية رضي الله عنه توهم أن ذلك على هذه الصورة ولم يفرق بين ما يستلحق في الجاهلية و الاسلام فان زياد لم يكن يعرف في الجاهلية بابي سفيان ولم يكن منسوباً الا لى عبيد فكان يقال زياد بن عبيد و بن الصورة بن ثون . وقال الشاعر مشيرا لى هذه القصة

(......)

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني

فأقسم بن رجمك من زياد كرجم الفيل من ولد الاتان

(الرجم القرابة) ثم صار زياد من رجال معاوية وأعضاده فولاه البصرة وخراسان وسجستان وأضاف اليه الهند والبحرين وعمان وأضاف اليه في آخر الأمر الكوفة وكتب زياد على كتبه من زياد بن ابي سفيان وكانوا قبل ذلك يقولون له زياد بن عبيد تارة وتارة زياد بن سمية ومن يتحرى الصدق يقول زياد بن أبيه وكان زياد أحد الدهاة عظيم السياسة قوي الهمة صحيح العقل سديد الرأي شهماً فطناً ملماً * وكانت وفاة معاوية رضي الله عنه في سنة ستين من الهجرة * ولما أدركته الوفاة أوصى ابنه يزيد بوصية تدل على عقله ولبه وخبرته بالامور ومعرفته بالرجال فلم نعمل بها يزيد في شيء منها وقد أثبتها هاهنا لحسنها وسدادها

قالوا لما مرض معاوية رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه دعا ابنه يزيد فقال له يا بني إني قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الأمور وذللت لك الأعداء وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك ما لم يجمعه أحد فانظر أهل الحجاز فانهم أصلك فأكرم من قدم عليك منهم وتعهد من غاب وانظر أهل العراق فان سألوك ان تعزل كل يوم عاملا فافعل فان عزل عامل أيسر من أن تشهر مائة سيف وانظر أهل الشام وليكونوا بطانتك فان رابك من عدوك شيء فانتصر بهم فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام الى بلادهم فانهم إن أقاموا بها تغيرت أخلاقهم وإني لست أخاف عليك أن ينازعك في هذا الامر إلا أربعة من قريش الحسين بن عليّ وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما فأما ابن عمر فرجل قد وقذته العبادة واذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما الحسين بن عليّ

فهو رجل حنيف ولى بركة أهل العراق حتى بخرجه فان خرج وظفر به فاصفح عنه فان له رحما ماسة وحقاً عظيما وقرابة من محمد صلوات الله عليه وسلامه وأمااس أبي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيأ صنع مثله ليس له همه إلا في النساء واللهو وأما الذى يجثم لك جثوم الاسد و يروغ روغان الثعلب فان أمكنته فرصة وثب فذالك ابن الزبير فان هو وثب عليك فظفرت به فقطعه إرباً إرباً واحقن دماء قومك ما استطعت

وفى هذه الوصية دليل على ماسبق من وفور رغبة في تدبير الملك وشدة كلفه بالرئاسة

ثم ملك بعده ابنه يزيد * كان موفور الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر وكان فصيحاً كريماً شاعراً مفلقاً قالوا بدئ الشعر بملك وختم بملك إشارة الى امرئ القيس واليه قى شعره (بسيط)

جاءت بوجه كأن البدر برقعه	نوراً على مائس كالغصن معتدل
إحدى يديها تعاطيني مشعشعة	كخدها عصفرته صبغة الخجل
ثم استبدت وقالت وهي عالمة	بما تقول وشمس الراح لم تفل
لا ترحلن فما أبقيت من جلدي	ما أستطيع به توديع مرتحل
ولا من النوم ماألقى الخيال به	ولا من الدمع ما أبكي على الطلل

كانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر ففى السنة الأولى قتل الحسين بن عليّ عليهما السلام وفى السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام وفى السنةالثالثة غزاالكعبة

فنبدأ بشرح قتل الحسين عليه السلام

﴿ شرح كيفية الحال فى ذلك على وجه الاختصار ﴾

هذه قصة لا أحب بسط القول فيها استعظاماً لها واستفظاعاً فإنها قصة لم يجر في الاسلام أعظم فحشا منها ولعمري إن قتل أمير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى ولكن هذه القصة جرى فيها من القتل الشنيع والسبي أوالتمثيل ما تقشعر له الجلود و كفى أيضاً عن بسط القول فيها شهرتها فإنها أشهر الطامات فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضي بشيء منها ولا تقبل الله منه صرفاً ولا عدلا وجعله من (الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وجملة ما جرى في ذلك أن يزيد لعنه الله لما بويع لم يكن له هم إلا تحصيل بيعة الحسين رضي الله عنه والنفر الذي حذره أبوه منهم فأرسل إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو يومئذ أمير المدينة أمره أخذ البيعة عليهم فاستدعاهم فحضر الحسين عليه السلام عنده فأخبره بموت معاوية رضي الله عنه ودعاه الى البيعة فقال له الحسين عليه السلام مثلي لا يبايع سراً ولكن إذا جمع الناس نظرنا ونظرت ثم خرج الحسين عليه السلام من عنده وجمع أصحابه وخرج من المدينة قاصداً مكة ممتنعاً من بيعة يزيد آنفاً من الانخراط في زمرة رعيته فلما استقر بمكة اتصل أهل الكوفة أنه من بيعة يزيد وكانوا يكرهون بني أمية خصوصاً يزيد لقبح سيرته ومجاهرته بالمعاصي وسهاره بالقبائح فراسلوا الحسين عليه السلام وكتبوا اليه الكتب يدعونه الى قدومه الكوفة ويبذلون له النصرة على بني أمية وجمعوا وتحالفوا على ذلك وتابعوا الكتب اليه في هذا المعنى فأرسل اليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه فلما وصل الى الكوفة فشا الخبر الى عبيد الله بن زياد لعنه الله وأحله دار الخزي وكان يزيد قد أمره على الكوفة حين بلغه مراسلة أهلها الحسين عليه السلام

وكان مسلم قد التجأ الى دار هانئ بن عروة رضي الله عنه وكان من أشراف اهل الكوفة فاستدعاه عبد الله بن زياد وطلبه منه فأبى فضرب وجهه بالقضيب فهشمه ثم أحضر مسلم بن عقيل رضي الله عنهما فضربت عنقه فوق القصر فهوى رأسه وأتبع جثته رأسه * وأما هانئ فأخرج الى السوق فضربت عنقه * وفي ذلك يقول الفرزدق (طويل)

وان كنت لا تدرين ما الموت فانظري الى هانئ في السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوى من طمار قتيل

ثم إن الحسين عليه السلام خرج من مكة متوجهاً الى الكوفة وهو لا يعلم بحال مسلم فلما قرب من الكوفة علم بالحال ولقيه ناس فأخبروه الخبر وحذروه فلم يرجع وصمم على الوصول الى الكوفة لأمر هو أعلم به من الناس فأرسل ابن زياد اليه عسكراً أميره عمر بن سعد بن ابي وقاص فقاتل الحسين عليه السلام وأصحابه حين التقى الجمعان قتالا لم تشاهد احد مثله حتى فني أصحابه وبقي هو عليه السلام وخاصته فقاتلوا أشد قتال رآه الناس ثم قتل الحسين عليه السلام فسلم شيعته ولقد ظهر منه عليه السلام من الصبر والاحتساب والشجاعة والورع والخبرة التامة بآداب الحرب والبلاغة ومن أهله وأصحابه رضي الله عنهم من النصر له والمواساة بالنفس وكراهة الحياة بعده والمقاتلة بين يديه عن بصيرة ما لم تشاهد مثله ووقع النهب والسبي في عسكره وذراريه عليهم السلام * ثم حمل النساء ورأسه صلوات الله عليه الى يزيد بن معاوية بدمشق فجعل ينكت ثناياه الحسين عليه السلام بالقضيب ثم ردّ نساءه الى المدينة

وكان قتل الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين

(شرح كتمة وقعة الحرة)

ثم نتي نصال أهل مدينة سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وهي وقعة الحرة بالحاء المفتوحة عن مقتحة ومبدأ الامر فيها أن أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد وخلعوه وحصروا من كان بها من بني أمية وأخافوهم فأرسل بنو أمية رسولا الى يزيد تعلمه حالهم فلما وصل الرسول لى يزيد وأخبره بذلك تمثل (طويل)

لقد بدلوا الحلم لذى فى سجيتي فبدلت قومي غلظة بليان

ثم ندب اليها عمرو بن سعيد فأحجم عنها وأرسل يقول له إني قد ضبطت لك الامور والبلاد* وأما الآن فصارت دماء قريش تهراق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك فندب عبيد الله بن زياد لذلك فاعتذر وقال والله لاجمعهما للفاسق أقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغزو مدينته والكعبة فندب اليها مسلم بن عقبة المرى وكان شيخاً كبيراً مريضاً الا أنه كان حد جبارة العرب وشياطينهم ولما بلغ أباه قال له ان هالك أهل المدينة فارمهم بمسلم بن عقبة فوجه اليها مسلم بن عقبة وهو مريض فحاصرها من جهة الحرة وهو موضع بظاهر المدينة فنصب لمسلم بن عقبة كرسي بين الصفين وجلس يحرض أصحابه على القتال حتى فتحها وقتل فى تلك الوقعة جماعة من أعيانها* فقال بن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما خاف فأخذ سيفه وخرج الى كهف هناك ليدخل اليه وتبعه به فتبعه بعض أهل الشام فخافه أبو سعيد وسل سيفه عليه ليروعه فسل الآخر سيفه فلما وصل الى أبي سعيد قال له (لئن بسطت يدك الىّ لتقتلني ما أنا باسط يدى اليك لأقتلك) فقال له الشأمي من أنت

قال أنا ابو سعيد قال صاحب رسول الله قال ثم قصى وبركه ثم أناخ مسلم
ابن عقبة المدينة ثلاثا فصل ونهب وسبى فقال بـ الرجل من أهل المدينة
بعد ذلك كان اذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول لعلها قد افتضت في
وقعة الحرة وسمى مسلم بن عقبة مسرفا

* شرح كلمة غزوة الكعبة *

ثم بلغ يزيد غزو الكعبة فأمر مسلم بن عقبة بقصدها وغزوها بعد
فراغه من أمر المدينة فتوجه مسلم اليها وكان عبد الله بن الزبير بها وقد دعا
الى نفسه وبايعه أهل مكة فمات مسلم في الطريق واستخلف على الجيش رجلا
كان يزيد أوصاه بأمره إن هلك فمضى بالجيش الى مكة وحصرها وبرز
بن الزبير اليه في أهل مكة ونشبت الحرب وقال رجز اهل الشأم

(رجز)

حطاره مثل الفنيق المزبد يرمى بها أعواد هذا المسجد

وهو في ذلك اذ ورد نعي يزيد فرجعوا

(ثم ملك بعده ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية) كان صبيا ضعيفا فملك
اربعين يوما وقيل ثلاثة أشهر ثم قال للناس اني ضعفت عن امركم فالتمست
لكم مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم أجد فالتمست ستة مثل أهل
الشورى فلم اجدهم فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم فما كنت لأتزودها
ميتا وما استمتعت بها حيا ثم دخل داره وتغيب اياما ومات وقيل مات مسموما
وليس له من الاخبار ما يؤثر

(ثم ملك بعده مروان بن الحكم) هو مروان بن الحكم بن ابي العاص
بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

ولما مات معاويه بن يزيد بن معاويه ماج الناس فأراد اهل الشأم بني أميه وأراد غيرهم عبد الله بن الزبير ثم غلب من رأيه في بني أميه لكنهم اختلفوا فيمن يولونه فمال ناس منهم الى خالد بن يزيد بن معاويه وكان فصيحاً متعلماً وقيل انه أصاب عمل الكيمياء وكان صبياً ومال ناس الى مروان ابن الحكم لسنه وشيخوخته وكرهوا خالداً لصبوته ثم بايعوا مروان وقاد الجنود وفتح مصر وكان يقال له ابن الطريد وذلك لان أباه الحكم طرده رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينه

فلما ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه رده اليه وانكر المسلمون ذلك منه فاحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وعده برده وروت أحاديث وجاء في لعنه الحكم بن العاص ولعنه من في صلبه وضعفها قوم وكان من أراد ذم مروان وعيبه يقول له يا ابن الزرقاء قالوا وكانت الزرقاء جدتهم من ذوات الرايات التي يستدل بها على بيوت البغايا في الجاهليه فلذلك كانوا يذمون بها وكان مروان حين بويع قد تزوج أم خالد زوجة يزيد بن معاويه ليصغر بذلك شأن خالد فيسقط عن درجة الخلافه فدخل خالد يوماً على مروان فقال له مروان يا ابن الرطبه ونسبه الى الحمق ليصغر أمره عند اهل الشأم فخجل خالد ودخل على أمه وأخبرها بما قال له مروان فقالت لا يعلمن احد أنك أعلمتني وانا أكفيك ثم ان مروان نام عندها ليله فوضعت على وجهه وسادة وقعدت عليها حتى مات وأراد ابنه عبد الملك أن يقتلها فقيل له يتحدث الناس أن اباك قتلته امرأة فتركها وكانت ولايه مروان تسعه اشهر وبعض شهر وذلك تأويل قول امير المؤمنين ان له إمرة كلعقة الكلب أنفه * وفي تلك الايام أحدثت الشيعه بثأر الحسين عليه السلام

﴿ شرح كيفية ذلك على وجه الاختصار ﴾

لما هدأت الفتنة بعد قتل الحسين عليه السلام وهلك يزيد بن معاوية اجتمع ناس من أهل الكوفة وندموا على خذلانهم الحسين عليه السلام ومعاتلتهم له ونصرة لمليه بعد ارسالهم اليه واستدعائهم منه القدوم عليهم ووعدهم له النصر وتابوا من ذلك فسموا التوابين ثم انهم تحالفوا على بذل نفوسهم واموالهم في الطلب بثأره ومقاتلة قتلته واقرار الحق مقره في رجل من آل بيت نبيهم صلوات الله عليه وسلامه وأمروا عليهم رجلا منهم يقال له سليمان بن صرد رضي الله عنه فكاتب الشيعة بالامصار يدعوهم الى ذلك فأجابوه بالموافقة والمسارعة ثم ظهر في تلك الايام المختار بن عبيد الثقفي وكان رجلا شريفاً في نفسه عالي الهمة كريماً فدعا الى محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو المعروف بابن الحنفية وكانت تلك الايام أيام فتن وذلك ان مروان كان خليفة بالشأم ومصر مبايعاً جالساً على سرير الملك وعبد الله بن الزبير خليفة بالحجاز والبصرة مبايع معه الجنود والسلاح والمختار بن ابي عبيد بالكوفة ومعه الناس والجنود والسلاح وقد أخرج أمير الكوفة عنها وصار هو اميرها يدعو الى محمد بن الحنفية

ثم ان المختار قويت شوكته فتتبع قتلة الحسين فضرب عنق عمر بن سعد وابنه وقال هذا بالحسين وابنه علي والله لو قتلت به ثلثي قريش ماوفوا أنملة من أنامله ثم ان مروان أرسل عبيد الله بن زياد في جيش كثيف فأرسل اليه المختار ابراهيم بن مالك الأشتر فقتله بنواحي الموصل وأرسل برأسه الى المختار فالقي في القصر فيقال ان حية دقيقة تخللت رؤوس القتلى ودخلت في فم عبيد الله وخرجت من منخره ثم دخلت في منخره وخرجت من فيه

فعلت ذلك مراراً ثم ان عبد الله بن الزبير أرسل أخاه مصعبا وكان شجاعا الى المختار فقتله * ومات مروان بن الحكم فى سنة خمس وستين وبويع ابنه عبد الملك

(ثم ملك ابنه عبد الملك بن مروان) كان عبد الملك لبيباً عاقلا عالماً ملكا جباراً قوى الهيبة شديد السياسة حسن التدبير للدنيا فى ايامه نقل الديوان من الفارسية الى العربية واخترعت سياقة المستعربين وهو أول من نهى الرعية عن كثرة الحديث بحضرة الخلفاء ومراجعتهم وكانوا يجترؤون عليهم وقد تقدم شرح ذلك وهو الذى سلط الحجاج بن يوسف على الناس وغزا الكعبة وقتل عبد الله بن الزبير واخاه مصعبا من قبله

ومن طريف ماوقع فى ذلك أن عبد الملك لما أرسل يزيد بن معاوية الجيش لقتال أهل المدينة وغزو الكعبة ممعض عبد الملك من ذلك غاية الامتعاض وقال ليت السماء انطبقت على الارض فلما صار خليفة فعل ذلك وأشد منه فانه أرسل الحجاج لحصار ابن الزبير وغزو مكة وكان عبد الملك قبل الخلافة احد فقهاء المدينة وكان يسمى حمامة المسجد لمداومته تلاوة القرآن فلما مات أبوه وبشر بالخلافة أطبق المصحف وقال هذا فراق بيني وبينك وتصدى لأمور الدنيا وقيل إنه قال يوما لسعيد بن المسيب ياسعيد قد صرت أفعل الخير فلا أسر به وأصنع الشر فلا أساء به فقال له سعيد بن المسيب الآن تكامل فيك موت القلب * فى أيامه قتل عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب أمير العراق

فأما عبد الله بن الزبير فانه كان قد اعتصم بمكة وبايعه أهل الحجاز وأهل العراق وكان عظيم الشح فلذلك لم يتم أمره فارسل الحجاج اليه فحاصره

بمكة وربى السكينة بالمحسن وجاريه وحدله أهله وأصحابه فدخل على أمه وقال لها يا أمت قد خذلني الناس حتى ولدى وأهلى ولم يبق معى غير نفر يسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونى ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت له انت اعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق فامض لسأنك ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد انت اهلكت نفسك ومن معك وكم خلودك فى الدنيا القتل أحسن فقال يا أمت انى أخاف ان قتلونى أن يمثلوا بى فقالت يا بنى ان الشاة لا تتضرر بسلخها بعد ذبحها وما زالت تحرضه بهذا وأشباهه حتى خرج فصمم على المحاجرة فقتل وأرسل الحجاج بالبشارة الى عبد الملك وكان ذلك سنة ثلاث وسبعين

وأما أخوه مصعب بن الزبير امير العراق فكان شجاعا جميلا جليل القدر ممدّحا تزوج سكينة بنت الحسين عليه السلام وعائشة بنت طلحة وجمعهما فى داره وكانتا من أعظم النساء قدرا ومالا وجمالا فقال عبد الملك يوما لجلسائه من أشجع الناس قالوا انت قال لا لكن أشجع الناس من جمع فى داره بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين يعنى مصعبا ثم تجهز عبد الملك لقتال مصعب وودع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فلما ودعها بكت فبكى جواريها لبكائها فقال عبد الملك قاتل الله كثير عزة كأنه شاهد هذا حين قال

(طويل)

اذا ما أراد الغزو لم تثن همه   حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهى نافعاً   بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم سار الى حرب مصعب فالتقيا بأرض دجيل فاقتتلوا قتالا شديداً

وقتل مصعب وذلك في سنة إحدى وسبعين

وكان عبد الملك أديباً ذكياً فاضلاً قال الشعبي ما ذاكرت أحداً الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثاً الا زادني فيه ولا شعراً الا زادني فيه

وقيل له يا عبد الملك لقد أسرع اليك الشيب قال شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن وكان اللحن عندهم في غاية القبح * ومن آرائه ما أشار به وهو صبي على مسلم بن عقبة المري حين أرسله يزيد بن معاوية لقتال أهل المدينة فوصلها ونزل بها فخرجوا ولقيهم مسلم بن عقبة بسبب ما كان بها من مخاصمة بني أمية حين أخرجوا منها فلما لقيهم مسلم بن عقبة استشار عبد الملك بن مروان وكان حدثاً فقال له أرى أن تسير بمن معك فاذا انتهيت الى ذي نخلة نزلت فاستظل الناس في ظله وأكلوا من صفوه فاذا أصبحت مضيت وتركت المدينة على اليسار ثم درت بها حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد طلعت الشمس عليهم طلعت بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم بل تصيب أهل المدينة أذاها ويرون من ائتلاف بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه أنتم ما داموا معرضين ثم قاتلهم واستعن بالله * وقال عبد الملك يوماً لجلسائه ما تقولون في قول القائل (طويل)

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فوا حزنا ممن يهيم بها بعدي

قالوا معنى حسن قال هذا ميت كبر الفضول ليس هذا معنى جيداً قالوا صدقت قال فكيف كان ينبغي أن يقول فقال رجل منهم كان ينبغي أن يقول (طويل)

أهيم بدعد ما حييت فان أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

قال عبد الملك هذا مس ذنوب قالوا فكيف ينبغي أن يكون قال كان ينبغي أن يقول (طويل)

أهيم بدعد ما حييت فان أمت   فلا صلحت دعد لذي خله بعدي

قالوا أنت يا أمير المؤمنين اشعر الثلاثه ولما اشتد مرضه قال اصعدوني على شرف فأصعدوه الى موضع عال ليحصل نسيم الهواء ثم قال يا دنيا ما أطيبك إن طويلك لقصير وان كثيرك لحقير وان كنا منك لفي غرور وتمثل بهذين البيتين (خفيف)

. إن تناقش يكن نقاشك يا رب   ب عذاباً لا طوق لي بالعذاب

او تجاوز فأنت رب صفوح   عن مسيء ذنوبه كالتراب

ولما مات صلى عليه ابنه الوليد فتمثل هشام ابنه الآخر

(طويل)

فما كان قيس هلكه هلك واحد   ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال له الوليد اسكت فأنت تكلم بلسان شيطان الا قلت كما قال الآخر (طويل)

اذا سيد منا مضى قام سيد   قؤول لما قال الكرام فعول

وأوصى عبد الملك بن مروان اخاه عبد العزيز حين مضى الى مصر اميراً عليها فقال له ابسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق في الامور فانه ابلغ بك وانظر حاجبك فليكن من خير اهلك فانه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك الا اعلمك مكانه لتكون انت الذي تأذن له او ترده واذا خرجت الى مجلسك فابدأ بالسلام يأنسوا بك ويثبت في قلوبهم محبتك واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاوره فانها تفتح مغاليق الامور واذا

سحطب على احد فأخر عقوبته فامك على العفوبه بعد البوقف عنه افدرمك على ردها بعد امصائها * وكان وفاته فى سنة سب وعانين

(ثم ملك ابنه الوليد)

كان الوليد من افضل خلفائهم سيره عند اهل الشأم بنى الجوامع جامع دمشق وجامع المدينه على ساكنها افضل السلام والمسجد الاقصى واعطى المجذمين ومنعهم من سؤال الناس واعطى كلّ مقعد خادماً وكلّ ضرير قائداً وفتح فى خلافته فتوحاً عظاماً * منها الاندلس وكاشغر والهند وكان شديد الكلف بالعمارات والأبنيه واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون فى زمانه فيسئل بعضهم بعضاً عن الابنيه والعمارات * وكان أخوه سليمان يحب الطعام والنكاح فكان الناس فى خلافته اذا التقوا سأل بعضهم بعضاً عن الطعام والنكاح وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عباده وتلاوه فكان الناس اذا التقوا فى أيامه سأل بعضهم بعضاً ما وردك الليله وكم تحفظ من القرآن وكم تصوم من الشهر

وهذا من خواصّ الملك الى تقدم شرحها وكان الوليد لا يحسن النحو فدخل عليه يوماً بعض الاعراب فمتّ اليه بقرابه بينه وبينه فقال له الوليد من ختنك وفتح النون فظن الاعرابىّ أنه يسئل عن الختان فقال بعض الاطباء فقال له سليمان أخوه انما يقول لك امير المؤمنين من ختنك وضم سليمان النون فقال الاعرابىّ نعم فلان وذكر قرابته

وعاتبه أبوه عبد الملك على اللحن وقال له انه لا يلى العرب الا من يحسن كلامهم فدخل الوليد بيتاً وأخذ معه جماعه من علماء النحو وأقام مده يشتغل فيه فخرج أجهل مما كان يوم دخوله فلما بلغ ذلك عبد الملك قال قد أعذر

(ثم ملك بعده أخوه سليمان بن عبد الملك)*

كانت أيامه ذات فتوح متواليه وكان غيوراً شديد الغيرة وكان نهماً فقال ابن
الطباخ كان يأتيه بالشواء فلا يصبر حتى يبرد فيأخذه بكمه وكان فصيحاً بليغاً

* (وهاهنا موضع حكايه)*

(قال الأصمعي) كنت مرة أفاوض هرون الرشيد يجرى حديث أصحاب النهم
فقلت كان سليمان بن عبد الملك شديد النهم وكان اذا أتاه الطباخ بشواء يلقاه
فأخذه بكمه فقال الرشيد ما أعلمك يا أصمعي بأخبار الناس لقد اعترضت
جبب أيام جباب سليمان فوجدت أثر الدهن في أكمامها فظننته طيباً قال
الأصمعي ثم أمر لي بجبة منها وقيل ان سليمان لبس يوماً حلة خضراء
وعمامة خضراء ونظر في المرآة فقال انا الملك الفتى ثم نظرت اليه جارية من
جواريه فقال ما ترين قالت (خفيف)

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى   غير أن لا بقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب   كان في الناس غير انك فان

فلم يمض الا جمعة واحدة حتى مات وكانت وفاته في سنة تسع وتسعين

(ثم ملك بعده عمر بن عبد العزيز بن مروان)

لما مرض سليمان بن عبد الملك مرضه الذي مات فيها عزم على ان يبايع لبعض
أولاده فنهاه بعض أصحابه وقال له يا أمير المؤمنين انه مما يحفظ الخليفة في قبره أن
يستخلف على الناس رجلا صالحاً فقال سليمان أنا أستخير الله وأفعل ثم استشاره في
عمر بن عبد العزيز فأشار عليه به وأثنى عليه خيراً فكتب سليمان عهده الى عمر بن
عبد العزيز وختمه ودعا أهل بيته وقال بايعوا لمن قد عهدت اليه في هذا الكتاب
ولم يعلمهم به فبايعوا ثم لما مات جمع ذلك الرجل الذي أشار عليه بعمر بن

عبد العزيز وقد كتم موت سليمان عنهم وقال لهم بايعوا مرة أخرى فبايعوا فلما
رأى انه قد أحكم الامر أعلمهم بموت سليمان

وكان عمر بن عبد العزيز من خيار الخلفاء عالماً زاهداً عابداً تقياً ورعاً
سار سيرة مرضية ومضى حميداً هو الذى قطع السبّ عن أمير المؤمنين
صلوات الله عليه وسلامه وكان بنو أمية يسبونه على المنابر قال عمر بن عبد
العزيز كان أبى عبد العزيز بن مروان يمر فى خطبته يهذها هذا حتى اذا وصل
الى ذكر أمير المؤمنين علىّ عليه السلام يتعتع قال فقلت له ذلك فقال يا بنى
أدركت هذا منى قلت نعم قال يا بنى اعلم أن العوام لو عرفوا من على بن أبى
طالب ما نعرفه نحن لتفرقوا عنا الى ولده فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة
قطع السب وجعل مكانه قوله تعالى(ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى
القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) * ومدحه
الشعراء على ذلك فمن مدحه على ذلك كثير عزة بقوله (طويل)

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف	بريا ولم تتبع مقالة مجرم
وقلت فصدقت الذى قلت بالذى	فعلت فأضحى راضياً كلّ مسلم
وقد لبست لبس الملوك ثيابها	وأبدت لك الدنيا بخد ومعصم
وتومض أحياناً بعين مريضة	وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما	سقتك مدوفاً من سمام وعلقم
وقد كنت منها فى جبال أرومها	ومن بحرها فى زاخر السيل مفعم

ورثاه الشريف الرضى الموسوى بقوله (خفيف)

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيـ ـن فتى من أمية لبكيتك
بت انقذتنا من السب والشتـ ـم فلو امكن الجزاء جزيتك

عمر أبي أقول إنك قد طيبت وإن لم تطب ولم يزك نبتك
دير سمعان لا عدتك الغوادي حير ميت من آل مروان ميتك
والبه الاشارة بقولهم الأشج والناقص أعدلا بني مروان
وسيجيء ذكر الناقص فيما بعد ان شاء الله تعالى * وكانت وفاته بدير
سمعان في سنة احدى ومائة

* ثم ملك بعده يزيد بن عبد الملك *

كان خليع بني أمية شغف بجاريتين اسم احداهما سلامة واسم الاخرى
حبابة فقطع معهما زمانه فالواقف يوماً حبابة (كامل)

بين التراقي واللهاة حرارة ما تطمئن ولا تسوغ فتبرد

وأهوى يزيد بن عبد الملك ليطير فقالت يا امير المؤمنين لنا فيك حاجة
فقال والله لأطيرن قالت فعلى من تدع الامة قال عليك وقبل يدها فخرج
بعض خدمه وهو يقول سخنت عينك فما أسخفك فانظر الى هذا والى
أبيه عبد الملك حين خرج لي قتال مصعب بن الزبير وصية به عاتكة بنت
يزيد بن معاوية فلم تنصب اليها وسيستدرك بذلك الدين وقد سبق شرح
ذلك في ترجمة عبد الملك بن مروان * ولم تكن دولة يزيد طائلة ولا وقع
فيها من الفتوح و لوقائع ما يحسن حكايته وكانت وفاته في سنة خمس ومائة
عشقاً وصبابة

ثم ملك بعده أخوه هشام بن عبد الملك *

كان هشام بخيلا شديد البخل إلا أنه كان عزيز العقل حليما عفيفاً امتدت
ايامه وجرى فيها وقائع * فمن وقائعها الشهيرة قتل زيد بن علي بن الحسين بن
عليّ بن ابي طالب عليه السلام

* شرح مقتل زيد بن عليّ بن الحسين إمام الزيدية رضي الله عنه *

كان زيد من علماء أهل البيت عليهم السلام علماً وزهداً وورعاً وشجاعة وديناً وكرماً وكان دائماً يحدث نفسه بالخلافة ويرى انه أهل لذلك وما زال هذا المعنى يتردد في نفسه ويظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه حتى كانت أيام هشام بن عبد الملك فاتهمه بوديعة لخالد بن عبد الله القسريّ امير الكوفة فحمله الى يوسف بن عمر امير العراق في ذلك العصر فاستحلفه أن ما لخالد عنده مالا وخلى سبيله فخرج ليتوجه الى المدينة فتبعه اهل الكوفة وقالوا له أين تذهب رحمك الله ومعك مائة الف سيف نضرب بها دونك وليس عندنا من بني أمية الا نفر قليل لو أن قبيلة واحدة منا صمدت لهم لكفتهم باذن الله وغروه بهذا وأمثاله فقال لهم يا قوم اني أخاف غدركم فانكم فعلتم بجدي الحسين عليه السلام ما فعلتم وأبى عليهم فقالوا ننشدك الله إلا ما رجعت ونحن نبذل أنفسنا دونك ونعطيك من الأيمان والعهود والمواثيق ما تثق به فانا نرجو أن تكون المنصور وأن يكون هذا الزمان زمان الذي يهلك فيه بنو أمية فلم يزالوا به حتى ردوه فلما رجع الى الكوفة أقبلت الشيعة تختلف اليه يبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر الفاً من أهل الكوفة سوى اهل المدائن والبصرة وواسط والموصل واهل خراسان والريّ وجرجان والجزيرة وقاموا بالكوفة شهوراً ثم لما تم الامر لزيد وخفقت الألوية على رأسه قال الحمد لله الذي أكمل لي ديني والله اني كنت أستحيي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أرد عليه الحوض غداً ولم آمر في امته بمعروف ولم أنه عن منكر فلما اجتمع الناس مع زيد أظهر امره ونابذ من خالفه فجمع له يوسف بن عمر جموعاً وبرز اليه وعبّى كل منهما أصحابه

والنبي الفرنقان وجرى سهم فسال شديدية ففرق اصحاب زيد عنه وحملوه فدى في سردمة نسيره فأبلي هو رضى الله عنه بلاء حسناً وقاتل قتالا شديدا فجاءه سهم فأصاب جبينه فطلب حدّاداً فنزع السهم من جبينه فكانت فيه نفسه فمات رضى الله عنه من ساعته فحفر له اصحابه في ساقيه ودفنوه فيها وأجروا الماء على قبره خوفا أن يمثلوا به فلما استظهر يوسف بن عمر أمير الكوفة تطلب قبر زيد فلم يعرفه فدله عليه بعض العبيد فنبشه وأخرجه فصلبه فبقي مدة مصلوباً ثم احرق وذرّى رماده في الترب رضى الله عنه وسلم عليه ولعن ظالميه وناصبيه حقه فلقد مضى به سداً مظلوما

وفي أيامه ايضا دعاة بني العباس في البلاد السرية وتحركت الشيعة حقيقة وعرفت جنود هشام الترك ﺗﺎ ور ء الدر وكانت لهم وده الدانيه ﺗ يد دلك فمثل خاقان

(ثم ملك بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم وأشدائهم منهمكا في اللهو والشرب وسماع الغناء وكان شاعراً محسناً له أشعار حسنة في العتاب والغزل ووصف الخمر فمن شعره ما كتبه الى هشام بن عبد الملك وقد عزم على خلعه وكان هشام لما رأى اشتهار الوليد بالمعاصي وعكوفه على اللذات طمع في الخلافة لابنه وأراده على أن يخلع نفسه فساوله لسانه وتهدده فكتب اليه الوليد بن يزيد

(طويل)

كفرت يدا من منعم لو شكرتها	جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي	ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينة	فياويحهم إن مت من شر ماتجني

كأني بهم يوما وأكثر قولهم   ألا ليت أنا حين يا ليت لا تغني

وقد سرق الناس معانيه وأودعوها أشعارهم، فمن ثم في معانيه أبو نواس أحد معانيه في وصف الخمر

(ومما يحكى عن الوليد بن يزيد) أنه استفتح فألا في المصحف فخرج (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فألقاه ورماه بسهام وقال (وافر)

تهددني بجبار عنيد   فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر   فقل يارب خرقني الوليد

(فلم يلبث بعد هذا إلا يسيرا حتى قتل) وكان السبب في قتله أنه كان قبل الخلافة على ماوصفنا من اللهو والشرب وانتهاك حرمات الله عز وجل فلما أفضت إليه الخلافة لم يزدد إلا انهماكا في اللذات واستهتارا بالمعاصي وضم إلى ذلك ما ارتكبه من اغضاب أكابر أهله والاساءة اليهم وتنفيرهم فاجتمعوا عليه مع أعيان رعيته وهجموا عليه وقتلوه وكان المتولي لذلك يزيد ابن الوليد بن عبد الملك وذلك في سنة ست وعشرين ومائة

(ثم ملك بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك)

كان يظهر النسك وكان يقال أنه قدري وسمي الناقص لانه نقص من عطيات أهل الحجاز ما كان قد زادهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك فسمي الناقص لهذا السبب ولما بويع بالخلافة خطب الناس وقال لهم كلاما حسنا انا مثبته هاهنا لحسنه خطبهم وذكر الوليد بن يزيد والحاده وقال سيرته كانت خبيثة وكان منتهكا لحرمات الله فقتلته ثم قال أيها الناس ان لكم علي أن لا أضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة ولا أكري نهرا ولا أكثر مالا ولا أنقل مالا من بلد الى بلد حتى أسد ثغره وخصاصة أهله بما يغنيهم فما فضل منه نقلته الى البلد الآخر الذي

لله ولا أعلى بابى دونكم ولكم أعطائكم فى كل سنة وأرزاقكم كل شهر حتى تكونوا أقصاكم كأدناكم فان وفيت لكم بما قلت فعليكم بالسمع والطاعة وحسن الموازرة وإن لم أف فلكم أن تخلعونى إلا أن أتوب وإن تمتم علمون أن أحداً ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه ما قد بذلت لكم وأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه معكم إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

أقول إن هذا الكلام حسن بالنسبة إلى ذلك الزمان وإلى اصطلاح أهله فإن هذه الشرائط هى التى كانت معتبرة عندهم فى استحقاق الرئاسة وأما فى هذا العصر فلو امتحن ملك من الملوك أنه لا يكرى نهرا ولا يضع حجرا على حجر أو يدب رعيته إلى بلاد عدوه لعد سفيها ولكانت حدود فى اصطلاحهم بأن هلاك غيره

وفى تلك الأيام ... حصل فى أمية تضطرب ... الدولة العباسية ... واتسعت الدعاة فى الأمصار وكانت وفاته فى سنة ست وعشرين ومائة

٭ ثم ملك بعده أخوه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ٭

كانت تلك الأيام أيام فتن وكان حبل بنى أمية قد اضطرب فلما مات يزيد ابن الوليد بن عبد الملك بويع أخوه ابراهيم بعده لم يكن بطائل فكان ناس يسلمون عليه بالخلافة وناس بالإمارة وناس ربما لا يسلمون عليه بواحدة منهما واضطرب أمره فمكث سبعين يوما وسار إليه مروان بن محمد بن مروان فخلعه وبويع له بالخلافة وجلس على سرير المملكة وذلك بعد حروب وفتن ووقائع يطول شرحها

٭ ثم ملك بعده مروان بن محمد بن مروان ٭

هو آخر خلفاء بنى أمية وعنه انتقلت الدولة إلى بنى العباس وقال له

الحمدي و يقال له الحمار واعا لقب بالحمار قالوا لصبره في الحرب وكان شجاعاً صاحب دهاء ومكر وكانت أيامه أيام فتن وهرج ومرج ولم تطل أيامه حتى هزمته جيوش العباسية وتبعته الى بلاد مصر فقتل بقرية اسمها بوصير من قرى الصعيد وذلك سنة اثنين وثلاثين ومائة* في أيامه خرج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

* شرح كيفية الحال في ذلك على سبيل الاختصار

لما اضطرب حبل بني أمية ووقع مروان بأرض الفتن بين الناس وحلت كلهم بمكان يرى رأياً ويذهب مذهبا وكان بالكوفة رجل من ولد جعفر الطيار عليه السلام اسمه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكان فاضلا شاعراً فحدثته نفسه بالامر ورأى أهل الكوفة اختلاف الامور بذهاب واضطراب حبل بني أمية فخف واليها هذ عبد الله وبايعوه واجتمعوا حوله خلائق فعبر اليهم أمير الكوفة بوقعة فقاتلهم من معه وتصابر الفريقان مدة ففي آخر الامر طلب أهل الكوفة لانفسهم ولعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الامان من أمير الكوفة ليتوجهوا أين شاؤا من بلاد الله وكان أمير الكوفة ومن معه قد ملوا من القتال فأعطاهم الامان فتوجه عبد الله الى المداين وعبر دجلة وغلب على حلوان وما قاربها ثم توجه الى بلاد العجم فغلب على تلك الجبال وهمذان واصفهان والري والتحق به قوم من بني هاشم وبقي على ذلك مدة

وكان أبو مسلم الخراساني قد قويت شوكته فسار الى عبد الله فقتله ثم ... بر الدولة العباسية ثم ظهرت الدولة العباسية واشتهرت دعوتها

« ذكر استمال الملك من بني أمية الى بني العباس »

لا بد قبل الخوض في ذلك من مقدمة نشرح فيها ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني فانه رجل الدولة وصاحب الدعوة وعلى يده كان الفتح

« شرح ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني ونسبه »

أما نسبه ففيه اختلاف كثير لا فائدة في استقصاء القول فيه فقيل هو حر من ولد بزرجمهر ولد باصبهان ونشأ بالكوفة فاتصل بابراهيم الامام ابن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس فغير اسمه وكناه بأبي مسلم وثقفه وفقهه حتى كان منه ما كان

وقيل هو عبد نشأ في الريف حتى وصل الى ابراهيم الامام فلما رآه أعجبه سمته وعقله فاشتراه من مولاه وثقفه وفقهه وصار يرسله الى شيعته وأصحاب دعوته بخراسان وما زال على ذلك حتى كان من الأمر ما كان

وأما هو فانه لما قوي شوكته ادعى انه ابن سليط بن عبد الله بن العباس ولهذا سليط خبر هذا موضع ذكره على سبيل الاختصار

كان لعبد الله بن عباس جارية فوقع بها مرة من المرات ثم اعتزلها مدة فاستنكحها عبد فوطئها فولدت غلاما سماه سليطا فنشأ عبد الله بن العباس وأنكره عبد الله ولم يقر به ونشأ سليط وهو ينتسب الى عبد الله بن عباس فلما مات عبد الله نازع سليط ورثته في ميراثه وأثبت ذلك بني أمية لينقصوا من عليّ بن عبد الله بن عباس فأعانوه وأوصوا قاضي دمشق في الباطن بقبول البينة في الحكم وحكم له بالميراث وجرت في ذلك خطوب ليس هذا موضعا لشرحها فادعى أبو مسلم حين قويت شوكته انه من ولد هذا سليط ثم يرسل أبو مسلم لابراهيم الامام الى خراسان ودعا اليه

آ وما زال على ذلك حتى ص رب الا وه وبه لامر

• مقدمة اخرى قبل الخوض فيها •

قال الله تعالى (وتلك الايام نداولها بين الناس)

وحرى بعض الحكماء بعض الملوك عن مملكة خرجت عنه فقال لو عس لعيرك لما وصلت اليك

وعلم علمت الخبر ان هـذه دوله من كبار الدول ساست العالم سياسه ممزوجه بالدين والملك فكان أخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تدينا والباقون طمعونها رهبه ورعبه ثم مكست منها الخلافه والملك حدود سمائه سنه ثم ضرب عليها دول كدوله بني بويه فكانت عده بالكاعبت وفيها كتب وغلبه عصد الدوله فاحسه فكدوله بني سلجوق فيها من طغرلبك فكالدول حو رمساهيه وفيها مثل علاء الدين وحربديه سكره مسمله على ... مائه ألف مقاتل فكدوله الفاطمه بن مصر فقد وجهو عسكرا صحبته ... سته جوهر ... عسكر ... حتى قال فيه شاعر ه وهو محمد بن هاني المغربي (طويل)

فلا عسكر من قبل عسكر جوهر تحت المطايا منه حسرا وتوضع

فكور حرجو في ساثها خضوع كسره وخور حطمه كل ذلك و... ل ملكه ... بهو دوله بني إ له ملكه ومحو أثرهم بل كان الملك من هؤلاء المذكورين يجمع ويحشد ويحر العساكر العظيمه حتى تصل الى بغداد فاذا وصل لمس حصور بين يدى الخليفه فاذا حضر قبل الارض بين يديه وكان قصارى ما تمناه أن يولسه خلعه ويعقد له لواء ويخلع عليه فاذا فعل الخليفه ذلك قبل الملك الارض بين يديه ومشى في ركابه راجلا والغاشيه

بحث إ طه كما ممل مسعود السلطان مع المسترشد فان المسترشد ووهب منه
و من مسعود مما مه ذب لى محاربه خرج المسترشد بعسكر كثيف . . ه
جميع أرباب الدوله فالتى هو والسلطان مسعود نظاهر مراغه فاقتتلوا ساعه
ثم انكشف الغبار وقد ا نهزم أصحاب المسترشد واستولى عسكر مسعود
فانجلى الغبار والخليفه ثابت على ظ ر فرسه وفى يده المصحف وحواليه القراء
والقضاه والوزراء لم ينهزم أحد منهم وانما نهزم المقاتلون فلما نظر السلطان
مسعود اليهم أرسل من قاد دابه الخليفه وأدخله الى خيمه قد نصبت له وأخذ
أرباب دولته فحبسهم فى قلعه فرسه من بلاد النواحى ثم عقدوا جميع ما كان
في عسكر الخليفه وبعد أيام اجتمع السلطان بالخليفه وعاتبه على فعله ثم عز
منهم أمر الصلح فاصطلحا وركب الخليفه الى خيم عظيمه ضربت لاجله السلطان
فلما ركب الخليفه أخذ السلطان مسعود الغاشيه ومشى فى ركابه ثم جرى من
قتل المسترشد ما نذكره بعد هذ ههذه الاولى جمعها طرب على دوله بنى
العباس ولم يهو نفس أحد على إزاله ملكهم ومحو آثارهم وكانت لهم فى نفوس
الناس منزله لا يدانيها منزله أحد آخر من الدالة حتى ـ السلطان هولاكو لما
فتح بغداد وأراد قتل الخليفه أبى أحمد عبد الله المستعصم ألقوا الى سمعه انه
من قتل الخليفة اختل نظام العالم احتجب الشمس وامتنع القطر والنبات
فاستشعر لذلك ثم سأل بعض العلماء فى حقيقه الحال عن ذلك فذكر ذلك العالم
له الحق فى هذا وقال ان علىّ بن أبى طالب كان خيراً من هذا الخليفه باجماع
العالم ثم قتل ولم يجر هـذه المحذورات وكذلك الحسين وكذلك أجداد هـذا
الخليفة قتلوا وجرى عليهم كل مكروه وما احتجبت الشمس ولا امتنع القطر
فحين سمع ذلك زال ما كان قد حصل فى خاطره واعتذر ذلك العالم عن هـذا

القول بأن هيبة السلطان كانت عظيمة وسطوته مرهوبة فما تجاسرت أن أقول بين يديه غير الحق * وهذا كان اعتقاد الناس في بني العباس وما فوت دولة من الدول على إزالة ملكهم ومحو أثرهم سوى هذه الدولة القاهرة نصر الله احسابها وأعلى شأنها

قال السلطان هولاكو لما فتح بغداد ومال الخليفة محا أثر بني العباس كل المحو وعفر جميع قواعدهم حتى إن الذي كان ينطق باسم بني العباس كان على خطر من ذلك

« وههنا موضع حكاية »

حدثني نصر الملتنيّ الحبشي احد خدام السلطان مد الله مدته وأعلى في الدارين درجته وكان قبل ذلك للخليفة المستعصم قال لما ملك بغداد أخرجوني وانا صغير في جملة الخدم فلازمنا خدمة الدركاه أنا ا فلما بعدنا عن بغداد أحضرنا السلطان هولاكو يوما بين يديه وكان عليّنا زيّ دار الخلافة فقال اسم كنتم قبل هذا للخليفة واسم اليوم لي فمتى انكم تخدمون خدمة جيدة مصلحة وترجون من قلوبكم اسم الخليفة فذاك شيءٌ كان ومضى وإن آبرتم تغيير هذا الزيّ والدخول في زينا كان أصلح قال فقلنا السمع والطاعة ثم غيرنا زينا ودخلنا في زيهم

« شرح ابتداء الدولة العباسية »

روى أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه كان يجري على لفظه الشريف ما معناه البشارة بدولة هاشمية وزعم ناس أنه قال تكون لرجل من ولدي وزعم ناس انه عليه الصلاة والسلام قال لعمه العباس رضي الله عنه وسلم عليه إنها تكون في ولدك وانه حين أتاه بابنه عبد الله أذن في أذنه وتفل

ن فيه وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ثم دفعه الى ابنه وقال له خذ الملك أبا الاملاك فن وعم هذا الزعم

قال ان الدولة العباسية هي الاولى المسماة بها وكانت دولة بني أمية مكروهة عند الناس ملعونة مذمومة بقتله الوطأة مشتهرة بالمعاصي والقبائح فكان الناس من أهل الامصار ينتظرون هذه لدولة صباح مساء . وكان محمد ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو المعروف بابن الحنفية قد اعتقد فيه الناس أنه صاحب الدولة بعد قتل جده الحسين عليه السلام ما عدا الامامية فان اعتقادهم إمامة عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام وإمامة بنيه واحد بعد واحد الى القائم محمد بن الحسن عليه السلام

فلما مات محمد بن الحنفية عليه السلام أوصى الى ابنه أبي هاشم عبد الله وكان أبو هاشم من رجال اهل البيت عليهم السلام فاتفق انه قصد دمشق وافداً على هشام بن عبد الملك بن مروان هشام ووصله ثم رأى من فصاحته ورئاسته وعلمه ما حسده عليه وخاف منه فبعث اليه ومن رجع الى المدينة من سمه في لبن فلما علم بذلك عدل الى محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس وكان نازلاً بالحميمة من أرض الشأم فأعلمه أنه ميت وأوصى اليه وكان صحبته جماعة من الشيعة فسلمهم اليه وأوصاه بهم ثم مات رضي الله عنه فهو بن محمد بن عليّ بن عبد الله بالخلافة منذ يومئذ وشرع في بث الدعاة سراً وما زال الامر على ذلك حتى مات وخلف أولاده وهم جماعة منهم ابراهيم الامام والسفاح والمنصور . فقام ابراهيم الامام بالامر بعد أبيه واستكثر من ارسال الدعاة الى الاطراف خصوصاً الى خراسان فانهم كانوا أشد وثوقاً أهل خراسان من غيرهم من أهل الامصار

أما أهل الحجاز فقليلون وأما اهل الكوفة والبصرة فكان أهل البيت مدعورين منهم لما جرى منهم على أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام من الخذلان والغدر وسفك الدم وأما اهل الشأم ومصر فهواهم في بني أمية وحب بني أمية قد رسخ في قلوبهم فلم يبق لهم من سكون اليه من اهل الامصار الا اهل خراسان

وكان قيل ان الرايات السود الناصرة لأهل البيت تخرج من خراسان فأرسل ابراهيم الامام جماعة من الدعاة الى خراسان وكانت مسالحها ودهاقينها فأجابوه ودعوا اليه سراً وأرسل في آخر الامر أبا مسلم فمضى الى هناك وجمع الجموع كل ذلك والامر بيت والدعوة محكمة لم تظهر بعد

فلما كانت أيام مروان الحمار بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية كثر الهرج والمرج وفشى الشر وثارت الفتن واضطرب حبل بني أمية واختلفت كلمتهم وقتل بعضهم بعضاً أظهر ابو مسلم دعوة بني العباس واجتمع اليه كل من له في ذلك رأي من اهل خراسان وجر عسكراً كثيفاً لعامل بني أمية على خراسان وهو نصر بن سيار فلما بلغ نصرا حال ابي مسلم وجموعه راعه ذلك فكتب الى مروان الحمار (وافر)

أرى بين الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
فان لم تطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فان النار بالعودين تذكى وان الحرب أولها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام

فكتب اليه مروان ان الحاضر يرى ما لا يرى الغائب فاحسم أنت هذا الثالول الذي قد ظهر عندك فقال نصر بن سيار لأصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم

انه لا نصر عنده و بوادر الاخبار الى مروان بهذا الامر وحمله كلما جاء اضطرب وأمره فى كل يوم تضعف ثم بلغه أن الذى يدعو الدعاة اليه هو ابراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس حو السفاح والمنصور فأرسل اليه وقبض عليه وأحضره الى حرّان فحبسه فيها ثم سمه فى الحبس فمات

ثم حروب بن ابى مسلم و بن نصر بن سيار وغيره من امراء خراسان حروب ووقائع كانت الغلبة فيها للمسودة وهم عسكر ابى مسلم وانما سموا المسوده لان الزىّ الذى اختاروه لبني العباس هو لوب السواد فانظر الى قدرة الله تعالى وانه اذا أراد امراً هيأ اسبابه واذا اراد أمراً فلا مرد لامره

لما قدّر انتقال الملك الى بنى العباس هيأ لهم جميع الاسباب . وكان ابراهيم الامام بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس بالحجاز او بالشأم جالساً على مصلاه مشغولا بنفسه وعبادته ومصالح عياله ليس عنده من الدنيا طائل واهل خراسان يقاتلون عنه ويبذلون نفوسهم وأموالهم دونه وأكثرهم لا يعرفه ولا يعرف من اسمه وشخصه وانظر الى ابراهيم الامام هو سالك الحالة من الانقطاع بداره واعتزال الدنيا وهو بالحجاز او بالشأم وله مثل هذا العسكر العظيم فى خراسان يبذلون نفوسهم دونه لا يمن عليهم مالا ولا يعطى احدهم دابة ولا سلاحا بل هم يحملون اليه الاموال ويحملون اليه الخراج فى كل سنة

ولما قدرالله تعالى خذلان مروان و تقراض ملك بنى أمية كان مروان خليفة مالكا ومعه الجنود والاموال والسلاح والدنيا بأجمعها عنده والناس يتفرّقون عنه وأمره تضعف وحبله تضطرب فما زال تضمحل حتى هزم وقتل فسبحان الله

ولما غلب ابو مسلم على خراسان واستولى على كورها وقويت شوكته

سار الى العراق بالجنود وكان لما قبض مروان على ابراهيم الامام وحبسه بحرّان خاف أخواه السفاح والمنصور وجماعة من أقاربهم فهربوا وقصدوا الكوفة وكان لهم بها شيعة منهم ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وكان من كبار الشيعة بالكوفة وصار بعد ذلك وزيراً للسفاح ثم قتله السفاح وسيرد ذكره عند ذكر الوزراء فأخلى لهم ابو سلمة الخلال داراً بالكوفة وأمر لهم بها وتولى خدمتهم بنفسه وكتم أمرهم واجتمعت الشيعة اليه وقويت شوكتهم فوصل ابو مسلم بالجنود من خراسان الى الكوفة فدخل على بني العباس وقال أيكم ابن الحارثية فقال له المنصور هذا وأشار الى السفاح وكانت أمه حارثية فسلم ابو مسلم عليه بالخلافة وخرج السفاح فتبعه جنوده وعمومته وأقاربه وأكابر الشيعة وأبو مسلم بين يديه الى الجامع فصلى وصعد المنبر وأطال الخطبة وخطب الناس وبويع بالخلافة وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهذا أول دولة بني العباس وآخر دولة بني أمية

ثم عسكر السفاح خارج الكوفة ووفدت عليه الناس من الامصار يبايعونه فلما اجتمع عنده الناس وقويت شوكته ندب رجلاً من أقاربه لقتال مروان الحمار فانتدب لذلك عمه عبد الله بن علي وكان من رجال بني العباس فتوجه عبد الله بن علي الى مروان فلقيه بالزاب ومع مروان مائة وعشرون ألف مقاتل ولا يكون مع عبد الله بن علي الا الأقل من ذلك فصنع الله تعالى لعبد الله بن علي أنواع الصنع وخذل مروان كل الخذلان فانظر واعتبر

ـ شرح كيفية الوقعة بالزاب وخذلان مروان وانهزامه ـ

لما التقى على الزاب مروان الحمار وعبد الله بن علي قال مروان لبعض أصحابه ان غابت شمس هذا النهار ولم يقاتلونا فالخلافة فينا ونحن نسلمها الى آخر

لزمان الى المسيح عليه السلام وأمر أصحابه بالكف عن القتال وقصد أن يمضي النهار ولا نفع فمال ثم أرسل الى عبد الله بن علي يسأله الموادعة فقال عبد الله كذب لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل ان شاء الله تعالى وكان من الاتفاقات الطريفة أن صهر مروان حمل على قطعة من عسكر عبد الله بن علي فردّه مروان وشتمه فلم يقبل ونشب القتال فأمر عبد الله بن علي أصحابه بالمباشرة فجثوا على الركب وأشرعوا الرماح ونادى عبد الله بن علي يا رب حتى متى نقتل فيك ونادى يا أهل خراسان يا ثارات ابراهيم الامام واشتد القتال فصار مروان اذا أمر طائفة من العسكر بشيء قالوا قل للطائفة الأخرى وبلغ من أمره انه قال لصاحب شرطته انزل الى الارض فقال لا والله لا ألقي نفسي في الهلكة فقال له مروان لأفعلن بك وتهدده فقال وددت أنك تقدر على ذلك ثم رأى مروان ميمنة أصحابه مباشرة أصحاب عبد الله بن علي فوضع مروان ذهبًا كثيرًا قدام الناس وقال أيها الناس قاتلوا وهذا المال لكم فصار الناس يمدون أيديهم الى المال ويتناولون منه شيئًا شيئًا فقال بعض الناس لمروان ان الناس قدموا أيديهم الى المال ولا نأمن انهم يذهبون به فأمر ابنه أن يسير في أواخر العسكر فمن وجد معه شيئًا من المال قتله فرجع ابنه برايته ليمتثل ما قال فرأى الناس الراية راجعة فنادوا الهزيمة الهزيمة فانهزم الناس ومروان أيضًا وعبروا دجلة فكان من غرق أكثر ممن قتل وتلا عبد الله ابن علي (واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) ثم استقل العسكر مروان وغنم ما فيه وأقام به سبعة أيام

* شرح مقتل مروان الحمار *

ثم ان مروان مضى منهزمًا حتى وصل الموصل فقطع أهلها الجسر

وسمعوه من السور فنادى أصحابه يا اهل الموصل هـذا أمير المؤمنين يريد
السور فناداهم أهل الموصل كذبتم أمير المؤمنين لا يفر وسبه اهل الموصل
وقالوا له الحمد لله الذي أزال سلطانكم وذهب بدولتكم الحمد لله الذي أتانا بأهل
بيت نبينا * فلما سمع ذلك سار الى بلد وعبر دجلة وأتى حران ثم منها الى
دمشق ثم منها الى مصر وتبعه عبد الله بن علي ثم أرسل خلفه بعض أصحابه
فرآه بقرية من قرى الصعيد سمها بوصير فخرج اليهم ليلا مروان وقاتلهم
فقال لجند بني العباس أمرتم إن أصبحنا ورأونا قلتنا أهلكونا ولم يبح منا
أحد فتأخروا القوم وكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله وحملوا عليهم فانهزموا
وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه فصرعه وصاح صائح صرع
امير المؤمنين فابتدروه فسبق اليه رجل من أهل الكوفة فاحتز رأسه ثم
نفض لرأس وقطع لسانه فأكلته هرة كانت هناك ثم حمل الرأس الى السفاح
فوصل اليه وهو بالكوفة فلما رآه سجد ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي
أظفرني بك وأظفرني بك ولم يبق ثاري قبلك وقبل (بسيط)

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم صفا الملك للسفاح

الدولة العباسية

﴿ وهي ثاني سلالة للملك من الدولة الاموية ﴾

واعلم أن الدولة العباسية كانت دولة ذات خدع ودهاء وغدر وكان قسم
التحيل والمخادعة فيها أوفر من قسم القوة والشدة خصوصاً في أواخرها فان
المتأخرين منهم بطلوا قوة الشدة والنجدة وركنوا الى الحيل والخدع * وفي

مثل ذلك قول كشاجم مشيراً الى موادعة أصحاب السيوف وعداوة أصحاب الاقلام ومعاملة بعضهم لبعض (طويل)

هنيئاً لاصحاب السيوف بطالة | مضى بها أوقاتهم في النعم
فكم فيهم من وادع العيش لم يهج | لحرب ولم ينهد لقرن مصمم
يروح ويغدو غامداً في نجاده | حساماً سليم الحد لم يتثلم
ولكن دووا الاقلام في كل ساعة | سيوفهم تنسب بخفض من لدم

ومنها قول بعض الشعراء حين قتل المتوكل وزيره محمد بن عبد الملك الزيات (وافر)

يكاد القلب من جزع يطير | اذا ما قيل قد قتل الوزير
أمير المؤمنين قتلت شخصا | عليه حاكم كحاك يدور
مهلا يا بني العباس مهلا | لقد كويت بعدركم الصدور

إلا أنها كانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم أسواق العلوم فيها قائمة وبضائع الآداب فيها نافقة وشعائر الدين فيها معظمة . والخيرات فيها دارة والدنيا عامرة والحرمات مرعية والثغور محصنة وما زالت على ذلك حتى كانت أواخرها فانتشر الخلل . و اضطربت الامر واسقطت الدولة وسنسرد ذلك في موضعه مشروحاً ان شاء الله تعالى ، وهذا أوان الشروع في ذكر خليفة خليفة

أول خليفة ملك منهم السفاح

هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، بويع في سنة مائة واثنين وثلاثين

كان كريماً حليماً ووقوراً عاقلاً كاملاً كثير الحياء حسن الأخلاق ولما بويع

واستوسق له الأمر تتبع بقايا بني أمية ورجالهم فوضع السيف فيهم * وفي
بعض أيامه كان جالساً في مجلس الخلافة وعنده سليمان بن هشام بن عبدالملك
وقد أكرمه السفاح فدخل عليه سديف الشاعر فأنشده (خفيف)

لا يغرنك ما ترى من رجال ... إن تحت الضلوع داءً دويّاً
فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويّاً

فالتفت سليمان وقال قتلتني يا شيخ ودخل السفاح وأخذ سليمان فقتل
ودخل عليه شاعر آخر وقد قدم الطعام وعنده نحو سبعين رجلا من بني
أمية فأنشده (خفيف)

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً ... واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي ... قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله ... بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى ... ثاوياً بين غربة وتناس

فالتفت أحدهم إلى من بجانبه وقال قتلنا العبد ثم أمر بهم السفاح
فضربوا بالسيوف حتى قتلوا وبسط النطوع عليهم وجلس فوقهم فأكل الطعام
وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا

وبالغ بنو العباس في استئصال شأفة بني أمية حتى نبشوا قبورهم بدمشق
فنبشوا قبر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فلم يجدوا فيه إلا خيطاً مثل الهباء

وسبوا فمر بويد فوجدوا فيه حطاما كأنه الرماد ولما قبل رحالهم واستصفى أموالهم قال

(بسيط)

بني أمية قد أفنيت جمعكم | فكيف لي منكم بالأول الماضي
يطيب النفس أن النار تجمعكم | عوضتم من لظاها شر معتاض
منيتم لا أقال الله عثرتكم | ليث بات إلى الأعداء نهاض
ان كان غيظي لفوت منكم فلقد | رضيت منكم بما ربي به راض

ثم لم يطل مدة السفاح حتى مات بالأنبار في سنة مائة وست وثلاثين

* شرح حال الوزارة في أيامه *

لا بد قبل الخوض في ذلك من تقديم كلمات في هذا المعنى فأقول

الوزير وسيط بين الملك ورعيته فيجب أن يكون في طبعه شطر يناسب طباع الملوك وشطر يناسب طباع العوام ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة والأمانة والصدق رأس ماله قيل إذا خان السفير بطل التدبير. وقيل ليس لمكذوب رأي والكفاءة والشهامة من مهماته والفطنة والتيقظ والدهاء والحزم من ضرورياته ولا يستغني أن يكون مفضالا مطعاما ليستميل بذلك الأعناق وليكون مشكورا بكل لسان والرفق والأناة والتثبت في الأمور والحلم والوقار والتمكن ونفاذ القول مما لا بد له منه

لما استوزر الناصر وزيره مؤيد الدين محمد بن برز القمي خلع عليه خلع الوزارة ثم جلس القمي في منصب الوزارة والناس جميعا بين يديه فبرز من حضرة الخليفة مكتوب لطيف في قدر الخنصر بخط يد الناصر فقرئ على الجمع فكان فيه «باسم الله الرحمن الرحيم محمد بن برز القمي نائبنا في البلاد والعباد فمن أطاعه فقد أطاعنا ومن أطاعنا فقد أطاع الله ومن أطاع الله أدخله الجنة

ومن عصاه فقد عصانا ومن عصانا فقد عصى الله ومن عصى الله أدخله النار »

ويقول القمي « بهذا التوقيع في عيون الناس وحلت مكانته ونفقت له الهيبة في الصدور والوزارة لم تمهد قواعدها وتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فإذا حدث أمر استشار بذوي الحجى والآراء الصائبة فكل منهم يجري مجرى وزير فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمي الوزير وزيراً وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً »

قال أهل اللغة الوزر الملجأ والمعتصم والوزر الثقل فالوزير إما مأخوذ من الوزر فيكون معناه أنه يحمل الثقل أو يكون مأخوذاً من الوزر فيكون المعنى أنه يرجع ويلجأ إلى رأيه وتدبيره وكيف تقلب لفظه وزر كان دالة على الملجأ والثقل

أول وزير وزر لأول خليفة عباسي حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال كان مولى لبني الحارث بن كعب « وقيل في تلقيبه بالخلال ثلاثة أوجه أحدها أن منزله بالكوفة كان قريباً من محلة الخلالين وكان يجالسهم فنسب إليهم كما نسب الغزالي إلى الغزالين وكان يجالسهم كثيراً » ورأيت في تسميته بالغزالي وجهاً آخر فقيل كان من رأيه الصدقة على النساء العجائز اللواتي يحضرن إلى دكان الغزل ليبعن غزلهن فيرى ضعفهن وفقرهن ورثاثة مكتسبهن فيرق لهن ويتصدق عليهن كثيراً وأمر بالصدقة عليهن فنسب إلى ذلك وثانيها أنه كان (؟) حوانيت يعمل فيها الخل فنسب إلى ذلك وثالثها أنها نسبة إلى خلل السيوف وهي أغمادها »

كان أبو سلمة من مياسير أهل الكوفة وكان ينفق ماله على رجال

الدعوة وكان سبب وصلته الى بنى العباس انه كان صهراً لبكير بن ماهان وكان بكير بن ماهان كاتباً حصيصاً لابراهيم الامام فلما أدركته الوفاة قال لابراهيم الامام ان لى صهراً بالكوفة يقال له أبو سلمة الخلال قد جعلته عوضى فى القيام بأمر دعوتكم ثم مات فكتب ابراهيم الامام الى أبى سلمة يعلمه بذلك ويأمره بما يريد من أمر الدعوة وقام أبو سلمة بأمر دعوتهم قياماً عظيما فلما سمع أحوال بنى العباس عزم على العدول عنهم الى بنى علىّ عليه السلام فكاتب ثلاثة من أعيانهم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وعبد الله المحض ابن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام وعمر الأشرف بن زين العابدين عليه السلام وأرسل الكتب مع رجل من مواليهم وقال له اقصد أولا جعفر بن محمد الصادق فان أجاب فابطل الكتابين الآخرين وان لم يجب فالق عبد الله المحض فان أجاب فأبطل كتاب عمر وان لم يجب فالق عمر فذهب الرسول الى جعفر بن محمد عليه السلام أولا ودفع اليه كتاب أبى سلمة فقال مالى ولأبى سلمة وهو شيعة لغيرى فقال له الرسول اقرإ الكتاب فقال الصادق عليه السلام لخادمه أدن السراج منى فأدناه فوضع الكتاب على النار حتى احترق فقال الرسول ألا تجيبه قال قد رأيت الجواب ثم مضى الرسول الى عبد الله المحض ودفع اليه الكتاب فقرأه وقبله وركب فى الحال الى الصادق عليه السلام وقال هذا كتاب أبى سلمة يدعونى فيه الى الخلافة قد وصل على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان فقال له الصادق عليه السلام ومتى صار أهل خراسان شيعتك أأنت وجهت اليهم أبا مسلم هل تعرف أحدا منهم باسمه أو بصورته فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك فقال عبد الله كأن هذا الكلام منك لشىء فقال الصادق قد

علم الله انى أوجب النصح على نفسى لكل مسلم فكيف أدخره عنك فلا تمسك الاباطيل فان هذه الدولة سنم لهؤلاء وقد جاءنى مثل الكتاب الذى جاءك فانصرف عبد الله من عنده غير راض وأما عمر بن زين العابدين فانه رد الكتاب وقال أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه ثم غلب أبو سلمه على رأيه وعملت الدعوة عملها وبويع السفاح وثم اخبر اليه فحقدها على أبى سلمه وقتله

ذكر شيء من سيرته ومقتله

كان أبو سلمه سمحاً كريماً مطعاماً كثير البذل مشغوفاً بالسوق فى السلاح والدواب فصيحا عالما بالأخبار والاشعار والسير والجدل والتفسير حاضر الحجة ذا يسار ومروءة ظاهرة فلما بويع السفاح استوزره وفوض لأمور اليه وسلم اليه الدواوين ولقب وزير آل محمد وفى النفس أشياء وخاف السفاح إن هو قتل وزيره أبا سلمه أن يستنكر أبو مسلم ويتنمر فلطف لذلك وكتب الى ابى مسلم كتابا يعلمه فيه بما عزم عليه ابو سلمه من نقل الدولة عنهم وعول لهم بى فد وهبت جرمه لك وباطن الكتاب يقتضى صوب الرأى فى قتل ابى سلمه وأرسل الكتاب مع أخيه المنصور فلما قرأ بو مسلم الكتاب فطن لغرض السفاح فأرسل قوما من اهل خراسان فقتلوا أبا سلمه فقال الشاعر (كامل)

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا

إن السلامة قد تشين وربما كان السرور بما كرهت حذيرا

، انتقال الوزارة الى سلمه ،

احتلفوا فيمن وزر للسفاح بعده فقيل أبو الجهم وقيل عبد الرحمن فاما أبو الجهم فوزر للسفاح مدة فلما أفضت الخلافة الى المنصور كان فى نفسه

منه أمور وسمه فى سويق اللوز فلما أحس بالسم قام ليذهب فقال له المنصور الى أين قال الى حيث بعثتنى يا امير المؤمنين

وأما الصولى فقال إن السفاح استوزر بعد أبى سلمه خالد بن برمك

* ذكر وزاره خالد بن برمك وشىء من سيرته *

هذا خالد هو جد البرامكة وفى تلك الايام شب الدولة البرمكية وامتدت الى أن انقضت فى أيام الرشيد

وكان خالد بن برمك من رجال الدولة العباسية فاضلا جليلا كريما حازما فقطا استوزره السفاح وخف على قلبه وكان يسمى وزيراً وقيل إن كل من استوزر بعد ابى سلمه كان يحب أن يسمى وزيراً تطيراً مما جرى على ابى سلمه ولقول من قال (كامل)

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيراً

قالوا فكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزراء ولا يسمى وزيرا

كان خالد عظيم المنزلة عند الخلفاء قيل إن السفاح قال له يوما ياخالد ما رضيت حتى استخدمتنى ففزع خالد وقال كيف يا امير المؤمنين وأنا عبدك وخادمك فضحك وقال إن ريطه بنتى تنام مع ابنتك فى مكان واحد فأتوم بالليل فأجدهما قد سرح الغطاء عنهما فارده عليهما فقبل خالد يده وقال مولى يكتسب الأجر فى عبده وأمته وكثر الوفود على باب خالد بن برمك ومدحه الشعراء واتجعه الناس وكان الوافدون قبل ذلك يسمون سؤالا فقال خالد إنى استقبح هذا الاسم لنبل هؤلاء وفيهم الاشراف والاكابر فسماهم الزوار وكان خالد أول من سماهم بذلك فقال له بعضهم والله ما ندرى أى أياديك عندنا أجل أصلتنا أم تسميتنا . وقيل إن أول من فعل ذلك المساور بن النعمان

فى دوله بى أميه

ولما بنى المنصور مدينه بغداد عظمت النفقه عليه فأشار عليه ابو ايوب الموريانى بهدم إيوان كسرى واستعمال أنقاضه فاستشار المنصور خالد بن برمك فى ذلك فقال لا تفعل يا امير المؤمنين فانه آيه الاسلام فاذا رآه الناس علموا أن مثل هذا البناء لا يزيله الا امر سماوى وهو مع ذلك مصلى علىّ بن ابى طالب عليه السلام والمؤنه فى نقضه أكثر من نفعه فقال له المنصور أبيت ياخالد الا ميلا الى العجميه ثم أمر المنصور بهدمه فهدمت منه ثلمه فبلغت النفقه عليها اكثر مما حصل منها فامسك المنصور عن هدمه وقال ياخالد قد صرنا الى رأيك وتركنا هدمه لا يوان قال ياامير المؤمنين اما الآن أشير بهدمه لئلا يتحدث الناس أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فأعرض عنه وأمسك عن هدمه

كتب بعض الشعراء الى خالد بن برمك فى يوم نوروز وقد أهدى الناس الى خالد هدايا فيها جامات من فضه وذهب (خفيف)

ليت شعرى أمالنا منك حظ ياهدايا الوزير فى النوروز
ماعلى خالد بن برمك فى الجو د بنوال منيله بعسير
ليت لى جام فضه من هدايا سوى ما به الامير مجيزى
عالأسعه للعسل الممزوج بالماء لا لبول العجوز

فأمر له بجميع ما كان حاضراً بين يديه من الجامات والاوانى الفضيه والذهبيه فبلغت مالا جليلا

ولما تولى المنصور الخلافه أمره على وزرائه وأكرمه واستشاره * انقضت وزاره وزراء السفاح وبانقضائها انقضى الكلام على دولته

* ثم ملك بعده اخوه ابو جعفر المنصور *

بويع فى سنة مائة وست وثلاثين * ذكر شىء من سيرته وما وقع فى أيامه من الحوادث والوقائع

كان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم وذوى الآراء الصائبة منهم والتدبير السديد ووقور شديد الوقار حسن الخلق فى الخلوة من أشد الناس احتمالا لما يكون من عبث او مزح فاذا لبس ثيابه وخرج الى المجلس العام تغير لونه واحمرت عيناه وانقلب جميع أوصافه قال يوما لبنيه يا بنىّ اذا رأيتمونى قد لبست ثيابى وخرجت الى المجلس فلا يدنونّ أحد منى مخافة أن أعرّه بشىء قالوا وكان المنصور يلبس الخشن وربما رقع قميصه وقيل ذلك لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فقال الحمد لله الذى ابتلاه بفقر نفسه فى ملكه قالوا ولم يكن يرى فى دار المنصور لهو ولعب أو ما يشبه اللهو واللعب

حدث بعض مواليه قال كنت مرة واقفاً على رأسه فسمع صوتاً عالياً فقال لى انظر ماهذا الصوت قال فنظرت فاذا هو بعض خدمه يلعب بالطنبور وحوله جماعة من جواريه يضحكن منه قال فأخبرته الخبر فنفر وقال وأى شىء يكون الطنبور قال فوصفته له فقال وأنت ما يدريك بالطنبور قلت يا أمير المؤمنين رأيته بخراسان فقام المنصور حتى جاء الى الخادم فلما بصر به الجوارى تفرقن فأمر فضرب رأس الخادم بالطنبور حتى تكسر الطنبور ثم أخرجه فباعه

وكان المنصور من أشد الناس شغفاً باسه المهدى فكان اذا جبى احداً خيانة او أخذ من أحد مالا جعله فى بيت المال مفردا وكتب عليه اسم صاحبه

فلما أدركته الوفاة قال لابنه المهدي يا بني اني قد أفردت كل شيء أخذته من الناس على وجه الجناية والمصادرة وكتبت عليه أسماء أصحابه فاذا وليت أنت فأعده على أربابه ليدعو لك الناس ويحبوك

قال يزيد بن عمر بن هبيرة ما رأيت رجلا في حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشد تيقظاً من المنصور لقد حاصرني تسعة شهور ومعي فرسان العرب فجهدنا كل الجهد حتى نال من عسكره شيئاً فما قدرنا لشدة ضبطه لعسكره وكثرة تيقظه ولقد حصرني وما في رأسي شعرة بيضاء ثم انقضى ذلك وما في رأسي شعرة سوداء

واعلم أن المنصور هو الذي أصل لدولة وضبط المملكة ورتب القواعد وأقام الناموس واخترع اشياء * فمن جملة ما اخترع فرش النوبة ولم تكن الملوك قبله يعرفون ذلك وسبب ذلك يأتي فيما بعد ، ومن جملة ما اخترع عمل الخيش الكتان في الصيف ولم تكن الناس قبله يعرفون ذلك وكانت الاكاسرة يطينون كل يوم من أيام الصيف بيتاً يسكنونه ثم في الغد يطين بيت آخر

وكان المنصور رجلا يضرب بشحه الأمثال وقيل كان كريماً وإنه لما حج أفضل على أهل الحجاز فكانوا يسمون عامه عام الخصب والصحيح أنه كان رجلا حازما يعطي في موضع العطاء ويمنع في موضع المنع وكان المنع عليه أغلب

وجرى في أيامه شيء طريف وهو أن قوما من أهل خراسان يقال لهم الراوندية كانوا يقولون بتناسخ الارواح ويزعمون أن روح آدم انتقلت الى فلان رجل من كبارهم وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وأن

جبرائيل هو فلان بن رجل آخر فلما ظهروا نوا قصر المنصور فطافوا حوله وقالوا هذا قصر ربنا فأخذ المنصور رؤساءهم فحبس منهم مائتي رجل فغضب الباقون واجتمعوا وفتحوا السجون وأخرجوا أصحابهم منها وقصدوا المنصور وحاربوه فخرج المنصور اليهم ماشياً ولم يكن في بابه في ذلك الوقت دابة فصار بعد ذلك اليوم يربط له دابة في باب القصر لا تزال واقفة وصارت تلك سنة للخلفاء بعده وللملوك فلما خرج المنصور أتى بدابة فركبها وهو يريدهم حتى تكاثروا عليه وكادوا يقتلونه وجاء معن بن زائدة وكان مستخفياً من المنصور جاء متلثماً ووقف بين يدي المنصور والمنصور لا يعرفه فقاتل بين يديه قتالا سديداً وأبلى بلاء حسنا

وكان المنصور راكباً على بغله ولجامه بيد حاجبه الربيع فأتى معن وقال تنح فأنا أحق منك بهذا اللجام في هذا الوقت فقال المنصور صدق ادفع اللجام اليه فلم يزل يقاتل حتى انكشفت الحال وظفر بالراوندية فقال له المنصور من أنت قال طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فقال قد آمنك الله على نفسك وأهلك ومالك ومثلك يصطنع وأحسن اليه وولاه اليمن والمنصور هو الذي بنى مدينة بغداد

* شرح كيفية الحال في بناء بغداد *

كان المنصور قد بنى في أوائل دولتهم مدينة سواحي الكوفة وسماها الهاشمية ووقعت وقعة الراوندية فيها فكره سكناها لذلك ولمجاورة أهل الكوفة فانه كان لا يأمنهم على نفسه وكانوا قد أفسدوا جنده فخرج بنفسه يرتاد له موضعاً يسكنه وبنى فيه مدينة له ولعياله ولأهله وجنده فانحدر الى جرجرايا وأصعد الى الموصل ثم أرسل جماعة من الحكماء ذوي اللب والعقل

و مرجم بارساد موضع فاحتاروا له مدينة الى تسمى مدينة المنصور وهي بالجانب الغربي قريبة من مشهد موسى و الجواد عليهما السلام تحصر لي هناك و عبر المكان ملا وسهار فاسطانه وبني به المدينة

ومن طريف ما جرى في ذلك ان رهبانا من رهبان لدير المعروف لآن بدير الروم سأل بعض أصحاب المنصور من يريد ان يبني في هذا الموضع مدينة فقال له ذلك الرجل امير المؤمنين المنصور خليفة الناس قال ما اسمه قال عبد الله فقيل له ثم عبر هذا قال الهم لا لا ان كنيته ابو جعفر ولقبه المنصور قال اذهب فادهب اليه وقل له لا تتعب نفسك في بنا هذه المدينة فانا نجد في كتبنا ان رجلا اسمه مقلاص يبني هاهنا مدينة ويكون لها شان من الشأن و ان غيره لا يتمكن من ذلك فجاء ذلك الرجل الى المنصور واخبره بما قال الراهب فنزل المنصور عن دابته وسجد طويلا ثم قال انا والله كان اسمي مقلاصا وكان هذا اللقب قد غلب على ثم ذهب عني وذلك ان صبا كان في صباي اسمي مقلاصا وكان يضرب به الامثال وكانت لنا عجوز ربتني فاتفق ان صبيان المكتب جاؤا يوما الي وقالوا لي نحن اليوم ضيافك ولم يكن معي ما اعطيه عليهم وكان للعجوز غزل فأخذته وبعته بما اعطيه عليهم فلما علمت بي سرقت غزلها سمتني مقلاصا وغلب هذا اللقب علي ثم ذهب عني ولآن عرفت اني باني هذه المدينة

ونبه بعض عقلاء النصارى على فضيلة مكانها فقال يا امير المؤمنين تكون على الصراة بين دجلة والفرات فاذا حاربك احد كانت دجلة والفرات خنادق لمدينتك ثم ان الميرة تأتيك في دجلة من ديار بكر تارة ومن البحر و الهند والصين والبصرة وفي الفرات من الرقة والشأم وتجيئك الميرة أيضاً

من خراسان وبلاد العجم في سمط بامريا وأمن بالأمير المؤمنين بين أنهار لا تصل عدوك اليك الا على جسر أو قنطرة فاذا قطعت الجسر أو أخربت القنطرة لم تصل اليك عدوك. وانت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسواد. وانت قريب من البر والبحر والجبل. فازداد المنصور حداً وحرصاً على بنائها وكتب الى الاطراف باشخاص الصناع والفعلة وأمر باختيار قوم من ذوي العدالة والفضل والعلم والامانة والمعرفة بالهندسة ليتولوا قسمة المدينة وعملها وشرع فيها في سنة خمس و اربعين ومائة

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه صاحب المذهب بعد الناس والآخر وهو الذي اخترع عده بالقصب حنصار وجعل المنصور عرض السور من أساسه خمسين ذراعا ومن أعلاه عشرين ذراعا ووضع بيده أول لبنة وقال بسم الله والحمد لله الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا فابتدأ بها في سنة خمس واربعين ومائة وتمما في سنة ست واربعين ومائة وخطها مدورة وجعل قصره في وسطها لئلا يكون احد اقرب اليه من الآخر وبلغ الخرج عليها اربعة الف الف وثماني مائة وثلاثة و ثلاثين درهما ولما فرغت حاسب القواد بما كان حول عليهم لعمارتها فألزمهم بالبواقي حتى استوفى من بعضهم ما اقتضاه الحساب خمسة عشر درهما * أسماؤها * يقال بغداد وكان هناك موضع يسمى بغداد فسميت المدينة باسمه وقال بغداد بالدال المعجمة * ويقال بغدان بالنون * ويقال الزوراء وكان موضعها يسمى الزوراء قديماً وقيل لان قبلتها غير مستقيمة يحتاج المصلي في مسجدها الجامع ان ينحرف الى جهة اليسار قليلا * ويقال مدينة المنصور * ويقال دار السلام * وقيل انها مدينة مباركة مسعودة لم يمت فيها خليفة قط فمدينة المنصور هي بغداد القديمة وهذه بغداد التي هي

بالجانب الشرقي استحدث بعد ذلك * وهو الذي فعل ببني الحسن مافعل أحد مشايخ السادات منهم وهم عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن عليّ ابن أبي طالب عليهم السلام وكان شيخ الطالبيين في عصره وبنيه وإخوته وبني اخوته سادات بني الحسن عليهم السلام فحبسهم عنده وماتوا في حبسه

روي انه خرج حاجبه فقال من كان على الباب من بني الحسين فليدخل فدخل مشايخ بني الحسين عليهم السلام ثم خرج فقال من كان بالباب من بني الحسن فليدخل فدخل مشايخ بني الحسن عليه السلام فعدل بهم الى مقصورة ثم أدخل الحدادين من باب آخر فقيدهم وحملهم الى العراق فحبسهم حتى ماتوا في حبسه بالكوفة لا جزاه الله خيراً عن فعله

ومن طريف ماوقع في ذلك أن رجلا من بني الحسن عليه السلام جاء حتى وقف على المنصور فقال ماجاء بك قال جئت حتى تحبسني عند أهلي فاني لا أريد الدنيا بعدهم فحبسه معهم وكان ذلك الرجل عليّ بن حسن بن حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب وكان منهم محمد بن ابراهيم بن الحسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام وكان من أحسن الناس صورة وكان يسمى الديباج الاصفر لحسنه وجماله فأحضره المنصور وقال له أنت الديباج الأصفر قال كذا يقولون قال لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً ثم أمر به فبني عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها

* ذكر السبب في فعل المنصور مافعل ببني الحسن عليهم السلام *

كان بنو هاشم الطالبيون والعباسيون قد اجتمعوا في ذيل دولة بني أمية وتذاكروا حالهم وما هم عليه من الاضطهاد وما قد آل اليه امر بني أمية من الاضطراب وميل الناس اليهم ومحبتهم لان يكون لهم دعوة واتفقوا على

أن يدعوا الناس سراً ثم قالوا لا بد لنا من رئيس نبايعه فاجتمعوا على مبايعة
النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
عليهم السلام وكان محمد من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفا وعلما
وكان هذا المجلس قد حضره أعيان بني هاشم علويهم وعباسيهم فحضره من
أعيان الطالبيين الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وعبد الله بن الحسن
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب وابناه محمد النفس الزكية وابراهيم قتيل
باخمرى وجماعة من الطالبيين ومن أعيان العباسيين السفاح والمنصور وغيرهما
من آل العباس فاتفق الجمع على مبايعة النفس الزكية الا الامام جعفر بن محمد
الصادق فانه قال لابيه عبد الله المحض انك لا تنالها يعني الخلافة ولن
ينالها الا صاحب القباء الأصفر يعني المنصور وكان على المنصور حينئذ قباء
أصفر قال المنصور فرتبت العمال في نفسي من تلك الساعة ثم اجتمعوا على مبايعة
النفس الزكية فبايعوه ثم صرف الله الأمر عنهم فانتقل الملك الى بني العباس
كما تقدم شرحه ثم استقل من السفاح الى المنصور فلم يكن له همة سوى طلب
النفس الزكية لقتله او لخلعه وأغراه بذلك ان الناس كانوا يتحدثون الميل الى
النفس الزكية وكانوا يتحدثون فيه الفضل والشرف ولذلك فطالبه المنصور
من أبيه عبد الله المحض وكان عبد الله المحض من رجال بني هاشم وسادا تهم
فألزمه المنصور باحضار ابنه محمد النفس الزكية وابراهيم فقال لا علم لي بهما
وكانا قد تغيبا خوفا منه فلما طال القول قال يا عبد الله قال كم تطول والله لو
كانا تحت قدمي لما رفعتهما عنهما سبحان الله آتيك بولدي لتقتلهما فقبض
عليه وعلى أهله من بني الحسن وكان من امرهم ما تقدم شرحه رضي الله عنهم
وسلم عليهم

* سرح حروح النفس الزكية هو محمد بن عبدالله المحض بن الحسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام *

كان النفس الزكية من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفاً ودنياً وعلما وشجاعه وفصاحه ورئاسه وكرامه وسلا وكان في ابتداء الامر قد شيع بين الناس أنه المهدي لذي بشر به وأثبت ابوه هذا في نفوس طوائف من الناس وكان يروى أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه قال لو بقى من الدنيا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه مهديا أو قائما اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي * فأما الاماميه فيروون هذا الحديث خاليا من واسم أبيه كاسم أبي

فكان عبد الله المحض يقول للناس عن ابنه محمد هذا هو المهدي الذي بشر به هذا محمد بن عبد الله ثم ألقى الله محبته على الناس فمالوا اليه كافه ثم عضد ذلك ان أشراف بني هاشم بايعوه ورشحوه للامر فقدموه على نفوسهم فزادت رغبه في طلب الامر وزادت رغبه الناس فيه وما زال مستتراً منذ مضت الدوله لبني العباس خوفا منهم على نفسه فلما علم بما جرى لوالده واقومه ظهر بالمدينه وأظهر أمره وبيعه أعيان المدينه ولم يتخلف عنه الا نفر يسير ثم غلب على المدينه ودخل عاملا أميرها من قبل المنصور ووثب عليها عاملا وقاضيا وكسر أبواب السجون وأخرج من بها واستولى على المدينه وحين خرج محمد بن عبد الله وفعل ما فعل بالمدينه توجه رجل يقال له أويس العامري من المدينه الى المنصور في سبعه أيام وقدم ليلا فوقف على أبواب المدينه فصاح حتى علموا به فأدخلوه فقال الربيع الحاجب ما حاجتك في هذه الساعه وأمير المؤمنين نائم قال لا بد لي منه فدخل الربيع وأخبر المنصور خبره وأدخله اليه فقال يا أمير المؤمنين خرج محمد بن عبد الله بالمدينه وفعل

وصنع قال أب رأسه قال نعم وبامامه على منبر رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وخاطبه فادخله المنصور سنا ثم تواترت الاخبار عليه بذلك فاخرجه وقال له سوف فعل مثلك وأصنع وأعسك. في كل لمليه وصلت من المدينة قال في سبع لنال فاعطاه تسعة آلاف درهم فعاد المنصور وقصد ٮ نواحى المدينة حى تكاملا وترسلا فكتب كل واحد منهما الى صاحبه كتابا نادراً معدوداً من محاسن الكتب حتح فيه وذهب في الاحتجاج كلّ مذهب وفي آخر الامر ندب بن أخيه عيسى بن موسى لقتاله فوجهه اليه عيسى بن موسى في عسكر كثيف فالتقوا في موضع قريب من المدينة فكانت الغلبة لعسكر المنصور فقتل محمد بن عبد الله وحمل رأسه الى المنصور وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة ثم خرج أخوه ابراهيم بن عبد الله فقتل باخمرى بالبصرة

شرح كيفية الحال في ذلك على سبيل الاختصار

كان ابراهيم بن عبد الله في حال عيبته يحضر الى عسكر المنصور منخفيا وربما جلس على السماط وكان المنصور شديد الطلب له فخرج من مدينة المنصور ومضى الى البصرة وأظهر أمره ودعا الى نفسه فتبعه جماعة وكثرت جموعه فارسل المنصور اليه ابن أخيه عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتل النفس الزكية فوجه عيسى بن موسى اليه خمسة عشر ألف مقاتل فالتقوا بقرية يقال لها باخمرى قريبة من الكوفة فكانت الغلبة لعسكر المنصور وقتل ابراهيم في المعركة وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة رحمه الله تعالى

وكانت أيام المنصور ذات فتوق وأحداث فممن خرج عليه عمه عبد الله ابن عليّ وكان السفاح أرسله الى قتال مروان الحمار كما تقدم شرحه ثم مات السفاح وتولى المنصور الخلافة وعبد الله بن عليّ بالشأم فطمع في الخلافة

وخطب الناس وقال ان السفاح بذب بنى العباس لقتال مروان فلم ينتدب غيري وانه قال لى ان ظهرت عليه وكانت الغلبة لك فانت ولى العهد بعدى وشهد له جماعة بذلك فبايعه الناس ولما اتصل الخبر بالمنصور أقامه ذلك وأقعده فقال له أبو مسلم الخراسانى ان شئت جمعت ثيابى فى منطقى وخدمتك وان شئت أتيت خراسان وأمددتك بالجنود وان شئت سرت الى حرب عبد الله بن على فامره بالمسير الى حرب عبد الله فسار أبو مسلم بعسكر كثيف فطاول الامد بينهما شهوراً كانت فى آخرها الغلبة لعسكر أبى مسلم فهرب عبد الله بن على الى البصرة ونزل على أخيه سليمان بن على بن عبد الله بن عباس فسعى سليمان فيه الى المنصور وطلب له الامان فآمنه المنصور وكتب له كتاباً بلغاً التزم فيه بكل شيء فلما جاء اليه حبسه ومات فى حبسه فقيل إنه بنى له بيتاً وجعل فى أساساته ملحاً ثم أجرى الماء فيه فسقط البيت عليه فمات * والمنصور هو الذى قتل أبا مسلم الخراسانى

* شرح الحال فى ذلك *

كان فى نفس المنصور قديماً حزازات من أبى مسلم وكانت بينهما ضغائن وقد كان المنصور أشار على أخيه السفاح بقتله فامتنع السفاح وقال كيف نكون ذلك مع حسن بلائه فى دولتنا فلما ولى المنصور الخلافة أرسل أبا مسلم الى الشام لحرب عمه عبد الله بن على بن العباس كما تقدم شرحه فلما ظفر أبو مسلم وغنم جميع ما كان فى عسكر عبد الله بن على وانهزم عبد الله الى البصرة أرسل المنصور بعض خدمه ليحافظ على باقى العسكر من الاموال فغضب أبو مسلم وقال أمين على الدماء خائن فى الاموال وشتم المنصور وكتب بعض أصحاب الاخبار بذلك الى المنصور وعزم أبو مسلم على الخلاف وأن يتوجه

الى حراسان ولا يحصر سـد المصور حاف المصور أن سوحه أبو مسلم الى حراسان بهده الصفه فمسد عليه الامور هناك

وكان أبو مسلم رحلا مهيباً داهيه شحاعا لبيباً حريّاً على الامور فطناً عالماً قد سمع الحديث وعلم من كل شيء فكتب اليه المصور يطيب نفسه ويسكنه ويعده الجميل ويستدعي منه الحضور فأجاب أني على الطاعه واني متوجه الى حرسان فان أصلحت نفسك كنت سامعاً مطيعاً وان أبيت الا أن تعطي نفسك سؤلها كنت قد نظرت لنفسي بالحال التي فارقها السلامه فاشتد حوف المصور منه وحرمه عليه وكتب اليه كتاباً معناه انك لست في نظرنا بهذه الصفه التي قد وسمت بها نفسك وان حسن ملائك في دولتنا يمنعك عن هذا القول ويستدعي منه الحضور وقال لوجوه بني هاشم اكتبوا أنتم أيضاً اليه فكتبوا اليه يحثون عليه حلاف المصور ومسامعته ويحسنون له الحضور عنده والاعتماد اليه وأرسل المصور الكتب على يد رجل عاقل من أصحابه وقال له مص اليه وحدثه ألين حديث تحدثه أحداً فان رجع فارحع به حتى يقدم به علي وان أصر على المسافعه وصمم على التوحه وأيست منه ولم يبق لك حيله فقل له يقول لك فلان لست من العباس وبرئت من محمد ان مصيت على هذه الحال ولم تعد ان تولى حربك عيري وعلي كذا وكذا ان لم أولّ أمر ذلك بنفسي فمضى الرسول اليه وناوله الكتب فقرأها والتفت الى صديق له يقال له مالك بن الهيثم وقال له ما الرأي قال الرأي أن لا ترجع اليه فانك ان رجعت اليه قتلك وان مضيت على طريقك حتى تصل الى الري وهم جندك فتقيم وتنظر في أمرك فان حدث لك حادث كانت حراسان من ورائك فعزم أبو مسلم على ذلك وقال للرسول قل لصاحبك انه ليس من

رأى المصور عدك وأنا موحه الى حراسان فقال له الرسول ما أنا مسلم آب
ما رلت أمس آل محمد فأنشدك الله أن سم سسك سمه العصان والشماق
والرأى ان محصر عد أمير المؤمس ونعتذر اله فلن برى عده الا ما تحب
فقال له ابو مسلم مى كنت تخاطبنى تمثل هـذا الخطاب فقال الرجل سبحان
الله أنت دعوتنا الى ولانه هؤلاء القوم ونصرهم وقلت لنا من خالفهم فاقتلوه
فلما دخلنا معك فيما ندبتنا اليه رجعت عنه وأنكرته علينا فقال ابو مسلم هو
ما قلت لك واست ارجع فقال له فلس عندك غير هذا قال نعم فخلا به وأعلمه
ما قال المصور فوجم واطرق ساعه ثم قال ارجع واعتذر اليه ورجع ثم سلم
عسكره الى بعض أصحابه وقال له ان جاءك كتابى وهو مختوم بنصف خاتمى
فهو كتابى وان كان مختوماً بكل الخاتم فاعلم انه ليس منى وأوصاه بما اراد
ثم سار الى المصور فلقيه بالمداين فلما علم المصور بوصوله أمر الناس جميعاً
بتلقيه فلما دخل عليه قبل يده فأدناه وأكرمه ثم أمره بان يعود الى خيمته
ويستريح ويدخل الحمام ويعود من الغد فمضى فلما أصبح أتاه رسول المصور
يستدعيه وقد أعد المصور جماعه من أصحابه خلف الستور وأعدهم السلاح
فأوصاهم أنه اذا ضرب باحدى يديه على الاخرى يخرجون فيقتلون ابا مسلم
فلما دخل ابو مسلم عليه قال له أخبرنى عن سيفين وجدتهما فى عسكر عبد الله بن
علىّ فقال ابو مسلم هذا أحدهما وكان فى يده سيف فأخذه المصور ووضعه تحت
مصلاه ثم شرع فى توبيخه وتقريعه على ذنب ذنب وأبو مسلم يعتذر عن كل واحد
بعذر فعدّد عليه عده ذنوب فقال أبو مسلم يا أمير المؤمنين مثلى لا يقال له هذا
ولا يعدد عليه مثل هذه الذنوب بعد ما فعلت فاغتاط المصور وقال يا ابن اللخناء
انما فعلت والله لو كانت مكانك أمة سوداء لفعلت ما فعلت وهل نلت ما نلت

إلا سا وبدولنا فقال ابومسلم دع هذ فقد أصبحت لا أخشى غير الله فضرب المنصور بيده على الاخرى فخرج وثلاثة النفر وخطوه بالسيوف فصاح استبقني يا أمير المؤمنين لعدوك فقال المنصور وأي عدو لي أعدى منك ثم أمر به فكفن في بساط ودخل عيسى بن موسى فقال أين ابو مسلم يا أمير المؤمنين فقال المنصور هو ذلك في البساط فقال فتلته قال نعم قال (انا لله وانا اليه راجعون) بعد بلائه وفعله و امانه وكان المنصور قد آمنه وكان عيسى ابن موسى على ذلك فقال له المنصور خلع الله قلبك والله ليس لك على وجه الارض عدو أعدى منه وهل كان لكم ملك في حياته ثم أمر المنصور بالجند فغرموا وصرف المنصور في خراسان وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائة

وفي عقب قتل بن مسلم خرج رجل سمه سنباد بخراسان يطالب بثأر بن مسلم الخراساني

شرح كيفية الحال في ذلك على سبيل الاختصار

كان هذا سنباد رجلا مجوسياً من بعض قرى نيسابور وكان من أصحاب بن مسلم وصنائعه فظهر غضباً لما بن مسلم وكثر أتباعه وأطاعه أكثر أهل الجبال وغلب على كثير من بلاد خراسان فلما بلغ المنصور خبره أرسل اليه عشرة الف فارس فالتقوا بين همدان والري وكان هذا سنباد قد أفسد في البلاد التي غلب عليها فساداً كثيراً وسبى الذراري فضربوا ثم ولّى منهزماً الى الجبال وانهزم الكيفية فلما التقى هو وعسكر المنصور كان سنباد قد أخذ معه عدة من النساء المسلمات اللواتي قد سباهن وهنّ على جمال أمر سنباد باخراج النساء المسلمات قدام عسكره فخرج النساء حواسر على الجمال وصحن

صحبه و جده وا محمداه فهرب الجمال وكرب راجعه على عسكر سنباد فهزمهم فمعها عسكر المنصور ودخلو خلف الجمال فوضعوا فيهم السيوف وأبادوهم قتلا وكان عدد القتلى نحواً من ستين الفا وقد دل الاستقرار على أن ...
جرع دوله واحده لم يستمع بها في أغلب الاحوال قال صلوات الله عليه (لا تمنو الدول فتحرموها) وكأن تجرع للدوله تكون عسده من الدالة والبسط ما يأنف من احتماله نفوس الملوك فكلما زاد بسطه زادت الأنفه عنده حتى يوقع به والمنصور خلع ابن اخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد وجعلها في ابنه محمد المهدي

شرح كيفية الحال في ذلك

هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس امير الكوفة هو ابن اخي المنصور

كان عيسى بن موسى قد جعله ابراهيم الامام ولي عهد بعد المنصور وأخذ له البيعة على الناس وحلفهم له فلما كبر المهدي بن المنصور شغف المنصور به شغفا شديداً فأحب أن يبايع له بالخلافة فخلع عيسى بن موسى وأشهد عليه بالخلع وبايع للمهدي وجعل عيسى بن موسى بعده

شرح كيفية خلع عيسى بن موسى

قد خلف أرباب السير في كيفية خلعه فقيل ان المنصور التمس منه ذلك وكان يكرمه ويجلسه عن يمينه ويجلس المهدي عن يساره فلما فاوضه المنصور في خلع نفسه قال يا أمير المؤمنين كيف أصنع بالأيمان التي في رقبتي وفي رقاب الناس بالعتاق والطلاق والحج والصدقة ليس الى الخلع سبيل فغير المنصور عليه وباعده بعض المباعدة وصار يأذن للمهدي قبله ويجلسه

دون المهدى وصار يقصد أذاه فكان يكون عيسى بن موسى جالسا فيحفر الحائط الذى يليه وينهال التراب على رأسه فيقول ابنه يحوامي فيقوم هو فيصلي والتراب ينتثر عليه ثم يؤذن له فيدخل على المنصور والتراب عليه لا ينفضه فيقول له المنصور يا عيسى ما يدخل أحد على مثل ما تدخل به من الغبار والتراب أكل هذا من الشارع فيقول عيسى أحسب ذلك يا أمير المؤمنين ولا يشكو

وقيل انه سقاه بعض ما يليه فمرض مدة ثم أفاق منه فلم يزل هذا الأذى يتكرر عليه حتى خلع نفسه وبايع

وقيل بل وضع المنصور الجند فصاروا يشتمون عيسى بن موسى دارُوه ويسألون منه فلما شكا ذلك إلى المنصور قال له يا ابن اخي إني والله خائفهم عليك وعلى نفسى فانهم قد أشربت قلوبهم حب هذا الفتى يعني المهدى فلو قدمته بين يديك فخلع عيسى نفسه وبايع المهدى ولما رآه بعض اهل الكوفة وقد جعل المهدى قدامه في الخلافة وصار هو بعده قال هذا الذى كان غداً فصار بعد غد * وقيل إن اشتراها المنصور منه بمال مبلغه أحد عشر ألف ألف درهم

وقيل بل أرسل اليه خالد بن برمك فاجتمع معه جماعة من أهل المنصور نحو ثلاثين رجلا ومضى الى عيسى فخاطبه في أن يخلع نفسه فأبى فلما أبى قال خالد للجماعة اشهدوا عليه انه قد خلع نفسه وتحمل بذلك ذمته وسكن هذه الفتنة فشهدوا عليه بذلك فمضت البيعة به وأنكر عيسى فلم يلتفت اليه وتم خلعه وبويع للمهدى والله أعلم أي ذلك كان والمنصور هو الذى بنى الرصافة لابنه المهدى

* شرح السبب في بنائها *

كان الحسد قد شغبوا على المنصور فقال المنصور لعم بن العباس بن
عبد الله بن العباس ماترى الساث الجند وإنى خائف أن يجتمع كلمهم فقال له
يا أمير المؤمنين الرأى أن نعبر ابنك الى الجانب الشرقى وتعبر معه قطعة من
العسكر ويبنى له مدينة فيصير هو فى مدينة وعسكر بالجانب الشرقى وانت
فى مدينة وعسكر بالغربى فان رابك حدث من أحد الجانبين ضربت عليه
بالجانب الآخر فقبل قوله وبنى الرصافة وحب لرصافة وصار الخلفاء بعد ذلك
يدفنون موتاهم بها وبنو بها التربة الجليلة وحملوا اليها من الفرش العظيم
ولآلات الجليلة ما يتجاوز حصر ووقفوا عليها من النواحى والأقرحة
والعقارات جملة كثيرة وكانت فى أيامهم حرما يلجأ اليها الخائف أمن
ومات المنصور محرما بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة فكتم الربيع أمره
لأجل البيعة للمهدى فقال به أجلسه وسنده وجعل على وجهه كله خفيفة
يرى وجهه منها ولا يبهم أمره وأذن للوجوه بنى هاشم فلما دخلوا ووقفوا
من بعيد وهم يحسبون أنه حى عقد الربيع البيعة كأنه ساوره ثم عاد اليهم وقال
أمير المؤمنين أمركم بتجديد البيعة للمهدى فبايع الناس طر
وقيل ان المهدى لما بلغه ذلك سخط بالربيع وقال ما منعك هيبة
أمير المؤمنين من هذا الفعل به

﴿ شرح حال الوزارة فى أيامه ﴾

لم تكن الوزارة فى أيامه طائلة لاستبداده وستبداده برأيه وكفاءته مع انه
كان يشاور فى الأمور دائماً وانما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء وكانوا
لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق

﴿ وزارة ابى أيوب المورياني للمنصور ﴾

موريان قرية من قرى الأهواز ، كان المنصور قد اشتراه صبياً قبل الخلافة وتممه فاشى به أرسله مرة إلى أخيه السفاح وهو خليفة وأرسل معه هدية فلما رآه السفاح أعجبه هيئته وفصاحته وصباحته فقال له بالعلاء لمن أنت قال لأخي أمير المؤمنين قال بل أنت لي وحبسه عنده وكتب إلى المنصور يعلمه أنه قد أخذه وأعتقه وخص بالسفاح مدة خلافته ثم مات حاله وتراندت ثم به عنده حتى قلده المنصور وزيره وكان لبيباً بصيراً بالأمور عاقلا فطناً ذكياً فاضلا كريماً غزير المروءة

❊ مكرمة ❊

حدث ابن شبرمة قال زوجت ابني على صداق مبلغه ألفا درهم فطلب أفكر فيمن نستعين به على ذلك فأتيت أبا أيوب الموريانى وزير المنصور فذكرت له ذلك فقال قد أمرنا لك بهذا القدر فخرج به حبراً وقمت لأخرج فقال لا تعجل حتى ثم قال دفعت المهر فما تحتاج بعث إلى معه ثم قال أعطوه ألفي درهم للنفقة ودهبت لأقوم فقال لا تعجل فلا تحتاج إلى خادم أعطوه ألفي درهم للخادم فما زال يأمر لي في كل مرة بألفين ألفين حتى تكمل ما أمر لي به خمسين ألف درهم

ـ ذكر القبض على أبي أيوب سليمان الموريانى وزير المنصور ❊

كان ابو أيوب يحب جمع المال ليهرب به إلى المنصور إذا خافه فقال له المنصور يوماً مارى حال صالح في أناس له صنعة فقال يا ابو أيوب يا أمير المؤمنين بالأهواز من زرع باطله يحتاج إلى ثلاثمائة ألف درهم يعمر بها ويعود منها حاصل جيد فاطلق له ثلاثمائة ألف درهم وأمره بعمارتها لانه صالح فأخذ ابو أيوب المال ولم يعمل في الصنعة شيئاً وصار في رأس كل سنة يحمل

عشرين الف درهم ويقول هــذه حاصل الصنعه المستحدثه فانكشف الحال عن المنصور مده ثم ان أعداء ابى أيوب وجدوا هذا طريقاً الى السعايه به فأعلموا المنصور الحال فانحدر بنفســه الى هناك فأمر ابو أيوب أن تبنى بيوت على جانب الشط وتفرش فيها كرة وتحضر حوالبها فلما فعل ذلك اختار المنصور بها فقال له ابو ايوب هذه هى الصنعه فرأى المنصور العماره والخضره فكاد الامر ينسبه عليــه فأعلمه أعداء ابى أيوب صوره الحال فركب بنفسه وأخذ الادلاء معه وطاف الصنعة فوجدها عاطله لاعمــاره فيها فعرف القصه ونقم على جنايه ابى ايوب فنكبه وقتله وقتل اقاربه واستصفى أموالهم . وقال ابن حسان الشاعر الكوفى فى ذلك (خفيف)

قدوجدنا الملوك تحسد من أعــــطته طوعاً أزمــه التدبير

فاذاما رأوا له النهي والامــــــر أتوه من بأسهم بنكير

شرب الكأس بعدحفص سليـــــمن ودارت عليه كف المدير

ونجا خالد بن برمك منها إذدعوه من بعدها بالامــير

سوأ العالمين حالا لديهم من تسمى بكاتب أووزير

❊ وزاره الربيع بن يونس للمنصور ❊

هو ابو الفضــل الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان هو ابو فروه مولى عثمان بن عفان كان يقال إن الربيع لقيط ولذلك قال يوما لرجل كرّر الترحم على أبيه فى حضره المنصور كم تكرّر ذكر أبيك وبترحم عليه فقال له الرجل إنك معذور فى ذلك لانك لم تذق حلاوه الآباء . قالوا والصحيح أنه ابن يونس بن محمد بن أبى فروه ولــكنه لعبير رشــده قالوا وقع يونس بن محمد على جاريه لهم فولدت له الربيع فأنكره يونس فبيع وتنقل فى الرق حتى

وصل الى بنى العباس وبلغني أن علاء الدين عطا ملك بن الجويني صاحب الديوان كان ينسب الى الفضل بن الربيع . ولقد عجبت من الصاحب علاء الدين مع فضله ونبله واطلاعه على السير والتواريخ كيف رضى أن ينسب الى الفضل بن الربيع فان كان هذا انتحل هذا النسب فنصيحته ظاهرة وان كان حقاً فلقد كان العقل الصحيح يقتضي ستره فانه نسب لا يوجد أرذل منه ولا أفضح ولا أسقط أما أولا فلأن الفضل بن الربيع لم يكن حراً في نفسه وكان مرمياً بالفاحشة . قالوا كان له صبي أنبه وكان يقال له خال الفضل وعمل الشعراء فيه أشعاراً منها (متقارب)

لواط خليفته أعجوبه وأعجب منه نقاء الوزير

فلو يستعفان هذا بذا لكانا لعمرك أمر يسير

واما ثانياً فلأن الربيع ابن يونس كان حاجباً كافياً إلا أنه كان مدخول النسب فكان يقال إنه لقيط ويقال إنه ولد زنا وأحسن أحواله أن يكون صحيح الاتصال الى ابي فروة مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي ذلك أتم العار فان أبا فروة كان ساقطاً وكان عبداً للحرث حفار القبور بمكة والحرث مولى عثمان بن عفان فأبو فروة عبد عبد عثمان وفي ذلك يقول الشاعر (طويل)

وان ولاء كيسان للحرث الذي ولي زمنا حفر القبور شريف

وأبو فروة خرج على عثمان يوم الدار وكفاه بذلك عاراً فانظر هل ترى نسباً أسقط أو أرذل من هذا وأعجب من رأي الصاحب علاء الدين في هذا فلو حصر به ممن يعرف هذا القدر فنبهه عليه

كان الربيع جليلا نبيلا منفذا للامور مهيباً فصيحاً كافياً حازما عاقلا فطناً خبيراً بالحساب والأعمال حاذقا بأمور الملك بصيراً بما يأتي ويذر

محاً لعمل الخير

روى أن المنصور أحضر يوما ساناً ذكر له أنه وثب على عامله ببعض النواحي فقال له المنصور ويحك بب الموثب على فلان العامل والله لا ثرن من لحك أكثر مما بقي منه على عظمك وكان شيخاً كبيراً فانشد بصوت ضعيف (كامل)

أتروض عرسك بعد ماهرمت ومن العناء رياضة الهرم

فقال المنصور ياربيع مايقول فقال يقول (بسيط)

العبد عبدكم والامر أمركم فهل عذابك عني اليوم مصروف

فقال قد عفونا عنه فلينصرف ورأى المنصور يوما في بستانه شجرة من شجر الخلاف فلم يدر ماهي فقال ياربيع ماهذه الشجرة فقال لربيع طاعة ووفاق وكره أن يقال خلاف فاستحسن المنصور واستحسن قوله

وبرل لربيع وزيراً للمنصور الى أن مات المنصور وقام الربيع أحد البيعة للمهدي على ما عنده وصحبه وهو آخر من المنصور وقبله الهادي وكان سبب قبله أنه أهدى جاريه حسناء الى المهدي بن المنصور فوهبها المهدي لابنه موسى الهادي فعلق حبها قلبه وأولدها أولاده فلما صار الهادي خليفة سعى اليه أعداء الربيع وقالوا له انه اذا رأى بيت قال والله ماوضعت بين الارض أطيب من أم هؤلاء فعظم ذلك على الهادي وعلى نفسه وعلى الجاريه عضاً فاوله الهادي قدحاً فيه عسل مسموم فشربه فمات ليومه وذلك في سنة سبعين ومائة [illegible]

* ملك عبد الله محمد المهدي *

هو ابو عبد الله محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور وقد مر نسبه [illegible]

له بالخلافة بمكة في سنة ثمان وخمسين ومائة

كان المهدي شهماً فطناً كريماً سديداً على أهل الالحاد والزندقة لا يأخذه في إهلاكهم لومة لائم وكانت أيامه شبيهة بأيام أبيه في الفتوق والحوادث والخوارج وكان يجلس في كل وقت لرد المظالم

روي عنه أنه كان إذا جلس للمظالم قال أدخلوا على القضاة فلو لم يكن ردي للمظالم إلا للحياء منهم لكفى

وحدث عنه أنه خرج متنزهاً ومعه رجل من خواصه يسمى عمرو فانقطعا في الصيد عن العسكر فجاع المهدي فقال هل من شيء يؤكل فقال له عمرو أرى كوخاً فقصدوه فإذا فيه نبطي وعنده مبقلة فسلموا عليه فرد السلام فقالوا هل من طعام فقال عندي ربثاء وهو نوع من الصحناء وعندي خبز شعير فقال المهدي إن كان عندك زيت فقد كملت ضيافته قال نعم وكراث فأتاهما بذلك فأكلا حتى شبعا فقال المهدي لعمرو قل في هذا شعراً فقال

(خفيف)

إن من يطعم الربيثاء بالزيـ ـت وخبز الشعير بالكراث

لحقيق بصفعة أو بثنتيـ ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدي بئسما قلت إنما كان ينبغي أن تقول

لحقيق ببدرة او بثنتيـ ـن لحسن الصنيع أو بثلاث

قال ووافاهم العسكر والخزائن والخدم فأمر للنبطي بثلاث بدر وانصرف * وفي أيامه ظهر المقنع بخراسان

* شرح كيفية الحال في ذلك *

كان هذا المقنع رجلاً أعور قصيراً من أهل مرو وكان قد عمل وجهاً

من ذهب وركبه على وجهه لئلا يرى وجهه وادعى الالهية وكان يقول ان الله خلق آدم فتحول في صورته ثم في صورة نوح وهكذا هلمّ جرّا الى أبي مسلم الخراساني وسمى نفسه هاشما وكان يقول بالتناسخ وبايعه خلق من ضلال الناس فكانوا يسجدون الى ناحيته أين كانوا من البلاد وكانوا يقولون في الحرب يا هاشم أعنا واجتمع اليه خلق كثير

فأرسل المهدي اليه جيشاً فاقتصم منهم قلعته هناك وطاولوه فضجر وضجر أصحابه فطلب أكثرهم الامان وبقي معه نفر يسير وهو في القلعة محاصر فأضرم ناراً عظيمة وأحرق جميع ما بالقلعة من دواب وثياب ومتاع ثم جمع نساءه وأولاده وقال لاصحابه من أحب منكم الارتفاع معي الى السماء فليلق نفسه في هذه النار ثم القى فيها نفسه وأولاده ونساءه خوفاً ان يظفر بحرمه وحرمه فلما احترقوا فتحت أبواب القلعة فدخلها عسكر المهديّ فوجدوها خالية خاوية

ولما ولى المهدى الخلافة جدد الكلام في خلع عيسى بن موسى والبيعة لولديه موسى الهادي وهرون الرشيد وقد تقدم شرح كيفية خلعه في ايام المنصور وانه قدم المهدى عليه فلما ولى المهدى أراد لبنيه ما أراد المنصور له فطلب من عيسى بن موسى ان يخلع نفسه فأبى فأرهبه وارعبه حتى أجاب واشهد عليه بالخلع وبايع لولديه الهادي والرشيد

وكان المهدى ينظر في الدقائق من الامور وكذلك كان أبوه فتقدم المهدى حين ولى برد نسب آل زياد بن أبيه الى عبيد الثقفيّ واسقاطهم من دواوين قريش ويرد نسب آل أبي بكرة الى ولاء رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وكتب الكتب بذلك فاعتمد ما رسم به ثم بعد ذلك ارتشى العمال

من بنى زياد وأعادوهم الى ديوان قريش وغزا المهدى الروم عدة دفعات وكانت له العلبة ومات المهدى بماسبذان واختلف في سبب موته

فقيل انه طرد ظبياً في بعض متصيداته فدخل الظبى الى باب خربة فدخل فرس المهدى خلفه فدقه باب الخربة فقطع ظهره فمات من ساعته * وقيل ان بعض حواريه جعلت سماً في بعض الطعام لجارية أخرى فأكل المهدى منه وهو لا يعلم فمات وذلك في سنة تسع وستين ومائة * وقال أبو العتاهية يصف جواريه وقد برزن بعد موته وعليهن المسوح (رمل)

رحن في الوشي وأقبلـــــن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهـــــر له يوم نطوح
لست بالباقي ولو عمـــرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح ان كنت لا بد نوح

شرح حال الوزارة في أيامه

في أيامه ظهرت أبهة الوزارة بسبب كفاءة وزيره ابى عبد الله معاوية ابن يسار فانه جمع له حاصل المملكة ورتب الديوان وقرر القواعد وكان كاتب الدنيا وأوحد الناس حذقاً وعلما وخبرة

وهذا شرح طرف من حاله

وزارة أبي عبد الله معاوية بن يسار للمهدى هو مولى الأشعريين كان كاتب المهدى ونائبه قبل الخلافة فلما افضت الخلافة اليه وكان قد عزم على ان يستوزره لكنه آثر به ابنه المهدى فكان غالباً على امور المهدى لا يعصى له قولا وكان المنصور لا يزال يوصيه فيه ويأمره بامتثال ما يشير به فلما مات المنصور وجلس المهدى على سرير الخلافة فوض اليه تدبير المملكة وسلم اليه

الدواوين وكان مقدماً في صناعته فاخترع اموراً منها أنه نقل الخراج الى المقاسمة وكان السلطان يأخذ عن الغلات خراجاً مقرراً ولا تقاسم فلما ولي ابو عبيد الله الوزارة قرر أمر المقاسمة وجعل الخراج على النخل والشجر وسمر الحال في ذلك الى يومنا وصنف كتاباً في الخراج ذكر فيه احكامه الشرعية ودقائقه وقواعده وهو اول من صنف كتاباً في الخراج وتبعه الناس بعد ذلك فصنفوا كتب الخراج وكان شديد الكبر والتجبر

روي أن الربيع لما قدم من مكة بعد موت المنصور وأخذ البيعة للمهدي حضر من ساعته ووصوله الى باب أبي عبيد الله فقال له ابنه الفضل يا أبي نبدأ به قبل أمير المؤمنين وقبل منزلنا قال نعم هو صاحب الرجل والغالب على أمره قال فوصل الربيع الى باب أبي عبيد الله الوزير فوقف ساعة حتى خرج الحاجب ثم دخل فاستأذن له فأذن له فلما دخل عليه لم يقم له ثم سأله عن مسيره وحاله فأخبره وشرع الربيع يحدثه بما جرى في مكة من موت المنصور وجهاده في أخذ البيعة للمهدي فسكته وقال قد بلغني الخبر فلا حاجة لي إعادته فاغتاظ الربيع ثم قام فخرج وقال لابنه الفضل على كذا وكذا ان لم أبذل مالي وجاهي في مكروهه وإزالة نعمته ومضى الربيع الى المهدي فاستخدمه واختص به كما كان مع ابيه فشرع في افساد حال أبي عبيد الله الوزير بكل وجه فلم يتمكن له ذلك فخلا ببعض أعدائه وقال له قد ترى مافعل معك ابو عبيد الله وكان قد اساء اليه وما فعل معي أيضاً فهل عندك تدبير في أمره قال الرجل لا والله ما عندي حيلة تعد عليه فانه أعف الناس فرجاً ويداً ولساناً ومذهبه مذهب مستقيم وحذقه في صناعته ما عليه مزيد وعمله وكفاءته كما علمت ولكن ابنه رديء الطريقة مذموم السيرة والقول فيه ...

اليه فان مهيأ حمله من جهة امه فمضى ذلك فصل الربيع بن عميه ولاحله
وجه الحيلة ملبسه فسعى بابنه الى المهدي أنواعا من السعايات فاراد برميه
بعض حرم المهدي وبارة برميه بالزندقة وكان المهدي شديداً على أهل
الالحاد والزندقة لا يزال يطلع عليهم ويفتك بهم فلما رسخ في ذهن المهدي
زندقة ابن الوزير استدعى به فسأله عن شيء من القرآن العزيز فلم يعرف
فقال لابيه وكان حاضراً ألم تخبرني أن ابنك يحفظ القرآن قال بلى يا أمير
المؤمنين ولكن فارقني مد مدة فنسيه فقال له قم فتقرب الى الله بدمه فقام
ابو عبد الله فعثر ووقع وارتعد فقال العباس بن محمد عم المهدي يا أمير المؤمنين
إن رأيت أن تعفي الشيخ من قتل ولده وتولى ذلك غيره فأمر المهدي بعض
من كان حاضراً بقتله فضرب عنقه واستمر ابوه على حاله من الخدمة الا أنه
ظهر عليه الانكسار وتبرم قلبه وتغير نفساً قلب المهدي منه فدخل بعض
الايام على المهدي ليعرض عليه كتباً قد وردت من بعض الاطراف فقعد
المهدي باخلاء المجلس فخرج كل من به الا الربيع فلم يعرض ابو عبد الله
شيئاً من تلك الكتب وطلب ان يخرج الربيع فقال له المهدي يا ربيع اخرج
فتنحى الربيع قليلا فقال المهدي ألم آمرك بالخروج قال يا امير المؤمنين
كيف أخرج وأنت وحدك وليس معك سلاح وعندك رجل من أهل
الشأم اسمه معاوية وقد قتلت بالامس ولده وأوغرت صدره فكيف أدعك
معه على هذه الحال وأخرج فقعت هذا المعنى في نفس المهدي الا انه قال
يا ربيع اني اثق بأبي عبد الله في كل حال وقال لابي عبد الله الوزير اعرض
ما تريد فليس دون الربيع سر ثم قال بعد ذلك المهدي للربيع اني استحي من
ابي عبد الله بسبب قتل ولده فاحجبه عني لتحتجب عنه واقطع بداره واصحاب

أمره وتهيأ للربيع ما اراده من ازالة نعمته ومات ابو عبيد الله معاوية بن يسار في سنة سبعين ومائة

« وزارة ابي عبد الله يعقوب بن داود للمهدي »

هو من الموالي قال الصولي كان داود ابوه واخوته كتابا لنصر بن سيار امير خراسان وكان يعقوب بن داود يتشيع وكان في ابتداء امره مائلا الى بني عبد الله بن الحسن بن الحسن وجرت له خطوب في ذلك ثم إن المهدي خاف من بني الحسن أن يحدثوا أمراً لا يتداركه فطلب رجلا يعرف له أنس بني الحسن ليستعين به على أمرهم فدله الربيع على يعقوب بن داود لصداقة كانت بين الربيع وبينه وليستعينا على ازالة دولة ابي عبيد الله معاوية الوزير فاستحضره المهدي وخاطبه فرأى أكمل الناس عقلا وأفضلهم سيرة فشغف به واستخلصه لنفسه ثم استوزره وفوض الامور اليه

وقيل ان السبب في وزارته غير هذا وهو أن يعقوب بن داود ضمن للربيع مائة الف دينار إن حصلت له الوزارة فجعل الربيع يثني عليه في الخلوات عند المهدي فطلب المهدي أن يراه فلما حضر بين يديه رأى أكمل الناس خلقا ونطقا ثم قال له يا أمير المؤمنين هاهنا أمور لا ينتهي الى علمك فإن ولّيتني فرضتها عليك بذلك جهدي في نصيحتك فقرّبه وأدناه فصار يعرض عليه من المصالح والمهمات والنصائح الجليلة ما لم يكن يعرض عليه من قبل فاستحضره وكتب كتابا بأنه أخوه في الله تعالى واستوزره وفوّض اليه الامور كلها وسلم اليه الدواوين وقدمه على جميع الناس حتى قال بشار يهجوه (بسيط)

بني أمية هبوا طال نومكم ... ان الخليفة يعقوب بن داوود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خلافة الله بين الناي والعود

ودلك لان المهدي اشتغل باللهو واللعب وسماع الاغاني وفوض الامور الى يعقوب بن داود وكان اصحاب المهدي يشربون عنده النبيذ وقيل ما كان هو يشرب معهم فنهاه يعقوب بن داود عن ذلك ووعظه وقال أبعد الصلوات في المسجد تفعل هذا فلم يلتفت اليه وفي ذلك يقول الشاعر للمهدي

(طويل)

فدع عنك يعقوب بن داود جانبا	واقبل على صهباء طيبة النشر

ثم ان السعاة ما زالوا يسعون بيعقوب بن داود الى المهدي حتى نكبه وجعله في المطبق وهو حبس التخليد فلم يزل على ذلك مدة أيام المهدي ومدة أيام الهادي حتى أخرجه الرشيد

شرح السبب في القبض عليه ونكبته ما جرى

حدّث يعقوب بن داود قال استدعاني المهدي يوما فدخلت عليه وهو في مجلس في وسط بستان ورؤوس الشجر مع أرض ذلك المجلس وقد امتلأت رؤوس الشجر ... ... على بعض ذلك المجلس فرش مورده وبين يديه جارية ... ما رأيت أحسن منها فقال لي يا يعقوب كيف ترى هذا المجلس فقلت في غاية الحسن فهنأ الله امير المؤمنين قال هو لك وجميع ما فيه ومائة الف درهم وهذه الجارية ليتم سرورك فدعوت له قال ولي اليك حاجة أريد أن تضمن لي قضاءها وقلت يا أمير المؤمنين انا عبدك الطائع لجميع ما أمر به فدفع الي رجلا علويا وقال أحب ان تكفيني أمره فاني خائف أن يخرج عليّ قال فقلت السمع والطاعة قال تحلف لي فحلفت له بالله ان افعل ما يريد ثم نقل جميع ما كان في المجلس الى منزلي والجارية أيضا فمن شدة سروري بالجارية جعلتها في موضع قريب من مجلسي ليس بيني وبينها سوى ستر رقيق

قال وادخلت العلوى الىّ وخاطبته فرأيته أتم الناس عقلا فقال لى يا يعقوب
تلقى الله بدمى وانا ابن علىّ بن ابى طالب وابن فاطمه رضى الله عنها وليس لى
اليك ذنب قال فقلت لا والله خذ هذا المال واخرج بنفسك قال والجاريه تسمع
كل ذلك فأرسلت الى المهدى دسيساً أعلمه بالقصه فأرسل المهدى وشحن
الدروب بالرجال حتى حصل العلوى وحمله فى بيت قرب من مجلسه ثم استدعانى
فحضرت فقال يا يعقوب ما فعلت بالعلوى قلت قد أراح الله منه امير المؤمنين
قال مات قلت نعم قال بالله قلت اى والله قال فضع يدك على رأسى واحلف
به قال يعقوب فوضعت يدى على رأسه وحلفت به فقال لبعض خدمه اخرج
الينا من فى هذا البيت قال فأخرج العلوى فلما رأيته امتنع الكلام على
وتحيرت فى أمرى فقال المهدى يا يعقوب قد حل لى دمك احملوه الى المطبق
قال يعقوب فدليت بحبل فى بئر مظلمه لا أرى فيها الضوء وكان أتى فى كل
يوم ما أقوت به فمكثت مده لا أدرى كم هى وذهب بصرى فى بعض الايام
دلى لى حبل وقيل صعد قد جاء الفرج فصعدت وقد طال شعرى وأظافرى
فأدخلت الحمام وأصلحوا شأنى والبسونى ثيابا ثم قادونى الى مجلس وقيل لى
سلم على امير المؤمنين فقلت السلام عليك يا امير المؤمنين فقيل لى على اى امراء
المسلمين سلمت قلت على امير المؤمنين المهدى فسمعت قائلا من صدر المجلس
يقول رحم الله المهدى ثم قيل لى سلم على امير المؤمنين فقلت السلام عليك
يا امير المؤمنين فقيل لى على اى امراء المؤمنين سلمت فقلت على امير المؤمنين
الهادى فسمعت قائلا يقول من صدر المجلس رحم الله الهادى ثم قيل لى سلم
فسلمت فقيل لى على من سلمت قلت على امير المؤمنين هارون الرشيد فقال
وعليك السلام يا يعقوب ورحمه الله وبركاته أعزز علىّ بما نالك فحلف المهدى

في حل ودعوت له بالرشد وشكرته على خلاصي ثم قال ما تريد يا يعقوب فقلت
يا أمير المؤمنين ما بقي في مستمتع ولا بلاغ وأريد أجاوره بمكة فأمر لي بما
يصلحني ثم توجه يعقوب الى مكة وجاور بها مدة طالت أيامه حتى مات هناك
سنة ست وثمانين ومائة

وزارة الفيض بن أبي صالح للمهدي

هو من أهل نيسابور وكانوا نصارى فأسلموا على يد بني العباس فنشأ وترقى
الفيض في الدولة العباسية بأدب وورع وكان سخياً مفضالاً متحرماً في ماله
جواداً عزيز النفس كبير الهمة كثير الكبر والتيه حتى قال فيه بعض الشعراء

(طويل)

أبا جعفر خشاك سائل نائلا ... فأحوجني من دون نائلك البشر

فما ترتجى بالله عند مثلك حماية ... ترجى بها من سيب نائلك القطر

فلو كنت تعطينا المنى وزيادة ... لنغص إمنك التيه والكبر

قالوا كان يحيى بن خالد بن برمك يستعظم جد كرمه وجوده قال
لو رأيت الفيض لصغر عندك أمري وفي الفيض يقول أبو الأسود الحماني
الشاعر يمدحه (طويل)

ولائمة لامتك يا فيض في الندى ... فقلت لها أن يقدح اللوم في البحر

أرادت لتثني الفيض عن سنن الندى ... ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر

مواقع جود الفيض في كل بلدة ... مواقع ماء المزن في البلد القفر

كأن وفود الفيض لما تحملوا ... إلى الفيض وافوا عنده ليلة القدر

قالوا كان الفيض بن أبي صالح متوجهاً في بعض الأيام الى بعض
أغراضه فصادفه صديق له فسأله الفيض الى أين تذهب فقال إن وكيل

السيده أم جعفر رشيده قد حبس فلانا على نفسه ضمان مبلغها مائة ألف دينار
وفلان نعني المحبوس صديقي وصديقك أيضاً وأنا متوجه الى الوكيل المذكور
لأشفع فيه فهل لك أن تصل جناحي وتساعدني على هذه المكرمه فقال
الفتى إي والله ثم مضى معه لخصه عند وكيل أم جعفر رشيده وسفعا في
الرجل المحبوس فقال الوكيل الامر في هذا اليه وما أستطيع ان أفرج عنه الا
بقولها ولكني أخاطبها وأحسن لها الافراج عنه ثم كتب اليها شيئاً فخرج
جواب به لا بد من استيفاء هذا المال منه ولا سبيل الى قبول شفاعته في
هذا الباب فاعتذر الوكيل اليهما وأراهما الخط فقال الرجل للفتى قم حتى نمضي
فقد فعلنا ما يجب علينا فقال الفتى لا والله ما فعلنا ما يجب علينا فكأننا
ما جئنا الا لنؤكد حبس صاحبنا قال الرجل فما نصنع قال الفتى
حيث قد تعذر علينا خلاصه فنحن هذه الجهة نؤدي عنه هذا المال من خاصتنا
ونخرجه أنت تضمنه وأنا نصفه فأجاب الرجل الى ذلك فقالا للوكيل كم لك
عليه قال مائة ألف دينار فلا هي علينا وهذا خطنا بها فادفع الينا صاحبنا قال
هذا أيضاً لا أقدر ان أفعله حتى أعلمها بالحال قالا فاعلمها فكتب اليها الوكيل
بخبرهما ثم قال الفتى وتصوره الحال فخرج الخادم وقال لا يكون الفتى
أكرم منا قد وهبناه المائة الالف فادفع اليهم صاحبهم فأخذاه وخرجا
وكان الفتى قد وصف للمهدي لما مر به على يعقوب بن داود فلما قبض عليه
احضر الفتى واستوزره وفوض الامور اليه ومات المهدي وهو وزيره
فلما ولي الهادي لم يستوزره وبقي الفتى الى اول أيام الرشيد ثم مات وذلك
في سنة ثلاث وسبعين ومائة فانقضت أيام المهدي ووزرائه
ثم ملك بعده ابنه موسى الهادي .

وبع له بالخلافه فى سنة سبع وستين ومائه

كان الهادى مسقطاً عوراً كرما سرما ابداً سديدالبطش جرىءالقلب مجمع الحس د إقدام وعزم وحزم حدث عبد الله بن مالك وكان سولى سرطه المهدى قال كان المهدى يأمرني بضرب ندماء الهادى ومغنيه وحبسهم صيانة له عنهم فكنت افعل ما أمرني به المهدى وكان الهادى يرسل لى فى التخفيف عنهم فلا افعل فلما مات المهدى وولى الهادى أيقنت بالتلف فاستحضرني يوماً فدخلت عليه وهو جالس على كرسى والسيف والنطع بين يديه فسلمت فقال لا سلم الله عليك أتذكر يوم بعثت اليك فى أمر الحرانى وضربه فلم تقبل قولى وكذلك فلان وفلان وعدد ندماءه فلم تلتفت الى قولى قلت نعم أفأذن فى ذكر الحجة قال نعم قلت ناشدتك الله لو أنك قلدتني ما قلدنى المهدى وأمرتني بما أمرنى وبعث الىّ بعض بنيك بما يخالف أمرك فاتبعت قوله وتركت قولك أكان يسرك ذلك قال لا قلت فكذلك انا لك وكذلك كنت لأبيك فاستدناني فقبلت يده ثم امر لى بالخلع وقال وليتك ما كنت تتولاه فامض رشيداً فمضيت مفكراً فى امرى وأمره وقلت حدث يشرب والقوم الذين عصيته فى أمرهم هم ندماؤه ووزراؤه وكتابه وكأنى بهم حين يغلب الشراب عليه يلومون على رأيه ويحسنون له هلاكى قال فانى لجالس وعندى بنية لى والكانون بين يدى وقدامى رقاق وكامخ وأنا اسطره بالكامخ وأسخنه بالنار وآكل واطعم الصغيرة واذ بوقع حوافر الخيل فظننت ان الدنيا قد زلزلت فقلت هذا ما كنت اخافه واذا الباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا والهادى فى وسطهم على دابته فلما رأيته وثبت فقبلت يده ورجله وحافر فرسه فقال لى يا عبد الله انى فكرت فى امرك

فهل ربما سبق الى دهنك اني اذا سرت وحولي اعداؤك ارالوا حسن
رأيي فيك فعلمت ذلك فصرت الى منزلك لاؤنسك واعلمك ان ما كان
عندي من الحقد عليك قد زال جميعه وتاب واطعمني مما كسب لأكل لتعلم
اني قد حرمت بطعامك فزول خوفك فادنيت اليه من ذلك الرقاق
والكامخ فأكل ثم قال هاتو ما حملناه لعبد الله فدخل اربع مائة بغل موقرة
دراهم وغيرها فقال هذه لك فاستعن بها على امرك وحفظ هذه البغال
عندك لعلي احتاج اليها لبعض سفاري ثم انصرف

ومن كلامه ما قاله لابراهيم بن مسلم بن قتيبة وقد مات له ولد فجاء
الهادي يعزيه وكان عنده بمنزلة عظيمة فقال له يا ابراهيم سرك وهو
عدو وفتنة وحزنك وهو صلوة ورحمة فقال يا ابراهيم يا امير المؤمنين ما بقي
في جزء فيه حزن الا وقد امتلأ عزاء، في ايامه خرج صاحب فخ وهو
حسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام

شرح كيفية الوقعة بفخ

كان حسين بن علي من رجال بني هاشم وساداتهم وفضلائهم وكان قد
عزم على الخروج فتبعه جماعة من أعيان اهل بيته ثم وقع من عامل
المدينة بعض آل علي عليه السلام فثار آل أبي طالب بسبب ذلك
وجمع اليه ناس كثيرون فقصدوا دار الامارة فحصن منهم عامل
فكسروا السجون واخرجوا من ... وبويع حسين بن علي عليه السلام ثم
جهز ... فأرسل اليهم محمد بن سليمان وقالوا سليمان بن المنصور في
عسكر فالتقوا بموضع يقال له فخ بين مكة والمدينة فاقتتلوا قتالا شديدا
فقتل حسين بن علي رضي الله عنه وحمل رأسه الى موسى الهادي فلما وضع

الرأس بين يديه قال لمن أحضره كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من
الطواغيت إن أقل ما أجزيكم به حرمانكم فلم يعطهم شيئا وكان الحسن بن
عليّ رضي الله عنه صاحب فخ سخيا كريماً قدم على المهدي فأعطاه اربعين
ألف دينار ففرقها في الناس ببغداد والكوفة وخرج من الكوفة لا يملك ما
يلبسه الا فروا ما تحته قميص رضي الله عنه وسلم عليه

وبطل مدة الهادي فمات بأمه خيزران أمرت جواريها فغمته
فجلسن على وجهه حتى مات وسبب ذلك قد اختلف فيه فقيل ان الخيزران
كانت مبسطة في دولة المهدي تأمر وتنهى وتشفع وتبرم وتنقض والمواكب
تروح وتغدو الى بابها فلما ولي الهادي وكان شديد الغيرة كره ذلك وقال لها
ما هذه المواكب التي تبلغني انها تغدو وتروح الى بابك أما لك مغزل يشغلك
أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك والله ولا أنا بني من قرابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني انه وقف ببابك أحد من قوادي وخاصتي
لأضربن عنقه ولأقبضن ماله ثم قال لأصحابه أيما خير أنا وأمي أم أنتم
وأمهاتكم قالوا بل أنت وأمك قال فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه
فيقال فعلت أم فلان وصنعت أم فلان قالوا لا نحب ذلك قال فما بالكم تأتون
أمي فتحدثون بحديثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها ثم بعث لها طعاما مسموما
فلم تأكل منه ثم قتلته

وقيل بل السبب أن الهادي عزم على خلع أخيه هرون الرشيد والبيعة
لابنه جعفر فخافت الخيزران على هرون وكانت تحبه فقتلت الهادي فاتفقت
ومات الهادي في سنة سبعين ومائة والليلة التي مات فيها هي ليلة مات فيها
خليفة وخلع خليفة وولد خليفة وقد كانوا يتحدثون أنه سيكون ليلة كذلك

فالخليفة الذى مات فيها هو الهادى والذى جلس فيها على سرير الخلافة هو الرشيد والذى ولد فيها هو المأمون

* شرح حال الوزارة فى أيامه

لما بويع بالخلافة استوزر الربيع بن يونس وقد سبق شرح طرف من سيرته ونسبه * ثم استوزر بعده ابراهيم بن ذكوان الحرانىّ

* وزارة ابراهيم بن ذكوان الحرانىّ للهادى

كان ابراهيم قد اتصل بالهادى فى أيام حداثته كان يدخل اليه مع معلم كان يعلم الهادى فخف ابرهيم على قلب الهادى وألفه وصار لا يصبر عنه ثم سعى به الى المهدى فكرهه لانه صحبه ونهاه عنه فما انتهى فهدّده بالقتل والهادى لا يباعده فاستدت به السعايات الى المهدى فارسل الى الهادى أن أرسل الىّ ابراهيم الحرانىّ والا خلعتك من الخلافة فارسله اليه صحبة بعض خدمه مرفها فوصل اليه والمهدى يريد الركوب الى الصيد فلما رآه قال يا ابراهيم والله لأقتلنك والله لأقتلنك والله لأقتلنك ثم قال احفظوه حتى أعود من الصيد فاقبل على الدعاء والتضرع فقضى أن المهدى أكل الطعام المسموم كما قدم شرحه فمات من ساعته وخلص الحرانىّ وجلس الهادى على سرير الخلافة ثم بعد ذلك بمديدة استوزر الحرانىّ ولم تطل الايام حتى مات الهادى * انقضت أيام الهادى ووزرائه

* ثم ملك بعده اخوه هارون الرشيد

(خلافة هارون الرشيد * بويع بالخلافة فى سنة سبعين ومائة)

كان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم كان يحج سنة ويغزو سنة كذلك مدة خلافته الا سنين قليلة * قالوا وكان يصلى

فى كل يوم مائه ركعة وحج ماشـياً وم يحج حلفه ماشـياً عمره وكان اذا حج حج معـه مائه من الفقهاء وأبناؤهم واذا لم يحج أحج ثلاثمائه رجـل بالنفقه السابغه والكسوه الطاهره وكان يشبه فى أفعاله بالمنصور إلا فى بذل المـال فانه لم ير خليفه أسمح منه بالمـال وكان لا يضيع عنده احسـان محسن ولا يؤخر وكان يحب الشعر والشعراء ويميل الى أهل الادب والفقه ويكره المراء فى الدين وكان يحب المديح لا سيما من شاعر فصيح ويجزل العطاء عليه

قال الاصمعى صنع الرشيد طعاما وزخرف مجالسه وأحضر ابا العتاهيه وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال ابو العتاهيه

(كامل)

عش ما بدا لك سالما ‍ ‍ ‍ ‍ فى ظل شاهقه القصور

فقال الرشيد أحسنت ثم ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيـت لدى الرواح أو البكور

فقال حسن ثم ماذا فقال

فاذا النفـوس تقعقعت ‍ ‍ ‍ ‍ فى ظل حشرجه الصدور

فهناك تعـلم موقنا ‍ ‍ ‍ ‍ ما كنت الا فى غرور

فبكى الرشيد فقال الفضـل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته فقال الرشيد دعه فانه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا منه* وكان الرشيد متواضعا للعلماء * قال ابو معاويه الضرير وكان من علماء الناس أكلت مع الرشيد يوما فصب على يدى المـاء رجل فقال لى يا أبا معاويه أتدرى من صب المـاء على يدك فقلت لا يا أمير المؤمنين قال انا فقلت يا أمير المؤمنين انت تفعل هذا اجلالا للعلم قال نعم * فى أيامه خرج يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن

• شرح كيفية الحال في خروج يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن
ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام •

كان يحيى بن عبد الله قد خاف مما جرى على أخويه النفس الزكية
وابراهيم فسار بأخرى حتى الى الديلم فاعتقدوا فيه استحقاق الامامة وبايعوه
وجمع اليه الناس من الامصار وقويت شوكته فاغتم الرشيد لذلك وندب
اليه الفضل بن يحيى في خمسين الفا وولاه جرجان وطبرستان والري وسير
ذلك فوجه يحيى بالجنود فلطف بيحيى بن عبد الله وحذره وخوفه ورغبه
فمال يحيى الى الصلح وطلب أمانا بخط الرشيد وأن يشهد عليه فيه القضاة
والفقهاء وجلة بني هاشم فأجابه الرشيد الى ذلك وسر به وكتب له أمانا بليغاً
بخطه وشهد عليه فيه القضاة والفقهاء ومشايخ بني هاشم وسير الأمان مع
هدايا وتحف فقدم يحيى مع الفضل فلقيه الرشيد في أول الأمر بكل ما أحب
ثم حبسه عنده واستفتى الفقهاء في نقض الأمان فمنهم من أفتى بصحته فحاجه
ومنهم من أفتى ببطلانه فأبطله ثم قتله بعد ظهور آية له عظيمة

• شرح الآية التي ظهرت في قصة يحيى بن عبد الله

حضر رجل من آل الزبير بن العوام عند الرشيد وسعى بيحيى وقال إنه
بعد الامان فعل وصنع ودعا الناس الى نفسه فأحضره الرشيد من محبسه
وجمع بينه وبين الزبيري وسأله عن ذلك فأنكر مواقفة الزبيري فقال له يحيى
ان كنت صادقا فاحلف فقال الزبيري والله الطالب الغالب وأراد أن يتم اليمين
فقال له يحيى دع هذه اليمين فان الله تعالى اذا مجده العبد لم يعجل عقوبته
ولكن احلف له يمين البراءة وهي يمين عظيمة صورتها أن تقول عن نفسه
بريء من حول الله وقوته ودخل في حول نفسه وقوتها ان كان كذا وكذا

فلما سمع الرشيد هذه الشمس ارتاع لها وقال ماهذه الشمس العربية وامسع من الحلف بها فقال له الرشيد ما معنى امساعك ان كنت صادقا فما تقول فيما حولك من هذه الشمس لحلف بها فما خرج من المجلس حتى ضرب برجله ومات

وقيل ما مضى النهار حتى مات فحملوه الى القبر وحفروا فيه وأرادوا أن يطموا القبر بالتراب فكانوا كلما حفروا القبر ذهب التراب ولا يطم القبر فعلموا أنها آية سماوية فسقفوا القبر وراحوا . وفي ذلك أشار أبو فراس ابن حمدان في قصيدته بقوله (بسيط)

باءاهدا في صبا به ما كثر ما عدل الرشيد بيحيى كيف بنكثه

ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال والتهم

ومع طول مدة الآية العظيمة قيل يحيى في حبس حتى مات

وكانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقارا ورونقا وخيرا وسعة رقعة مملكة حتى الرشيد معظم الدنيا وكان قد ملك صاحب مصر ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد وكان يصل كل واحد منهم جزيل صلة ويرفعه إلى أعلى درجة وكان فاضلا شاعرا راوية للاخبار والآثار والاشعار صحيح الذوق والتمييز مهيبا عند الخاصة والعامة

قبض على موسى بن جعفر عليهما السلام وحبسه في قبة الى بغداد وحبسه بدار السندي بن شاهك ثم قتل واظهر أنه مات حتف أنفه

ذكر كيفية الحال في ذلك

كان بعض حساد موسى بن جعفر من اقاربه قد سعى به الى الرشيد

وقال له ان الناس يحملون الى موسى خمس أموالهم ويعتقدون إمامته وانه على عزم الخروج عليك وكثر في القول فوقع ذلك عند الرشيد موقع أهمه وأقلقه ثم أعطى الواشي مالا أحاله به على البلاد فلم يستمتع به وما وصل المال من البلاد الا وقد مرض مرضة شديدة ومات فيها

وأما الرشيد فانه حج في تلك السنة فلما ورد المدينة قبض على موسى بن جعفر عليهما السلام وحمله في قبة الى بغداد فحبسه عند السندي بن شاهك وكان الرشيد بالرقة فأمر بقتله فقتل قتلا خفيا ثم ادخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه اظهارا أنه مات حتف أنفه صلوات الله عليه وسلامه

ومات الرشيد بطوس وكان خرج الى خراسان لمحاربة رافع بن الليث بن نصر بن سيار وكان قد رفع قد خرج وخلع الطاعة وتغلب على سمرقند وفصل كاملا مملكها وقويت شوكته فخرج الرشيد بنفسه اليه فمات بطوس في سنة ثلاث وتسعين ومائة

شرح حال الوزارة في ايامه

لما بويع بالخلافة استوزر كاتبه فضل الخلافة يحيى بن خالد بن برمك وضربت دولة بني برمك مد ميدها

شرح أحوال الدولة البرمكية وذكر مبدإها ومآلها

كانوا قديماً على دين المجوس ثم أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامهم وقد ذكرنا وزارة جدهم خالد بن برمك في أيام المنصور ونذكر هاهنا وزارة الباقين ونفصل الخوض في ذلك فهذه كلمات نعرف منها شذرة من أحوال هذه الدولة

اعلم أن هذه الدولة كانت غرة في جبهة الدهر. وتاجاً على مفرق

العصر . صرب بمكارمها الامثال . وسدت اليها الرحال . وسطع بها الآمال . وبدلت لها البا أفلاذ أكبادها . ومحنها أوفر سعادها . فكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهره . والبحور زخره . والسيول دافعه والغيوث ماطره . أسواق الآداب عندهم نافقه . ومراتب ذوي الحرمات عندهم عاليه . والدنيا في أيامهم عامره . وأبهه المملكه ظاهره . وهم ملجأ اللهف ومعتصم الطريد ولهم يقول ابو نواس (طويل)

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغاد

ـ ذكر وزارة يحيى بن خالد للرشيد ـ

لما جلس الرشيد على سرير المملكه استوزر يحيى بن خالد بن برمك وكان كاتبه ونائبه ووزيره قبل الخلافه فرفض يحيى بن خالد أعباء دولته أتم نهوض وسد الثغور وتدارك الخلل وجبى الاموال وعمر الاطراف وأظهر رونق الخلافه وتصدى لمهمات المملكه وكان كاتباً بليغاً لبيباً أديباً ساسياً صائب الاراء حسن التدبير ضابطاً لما تحت يده قوياً على الامور جواداً ساري الريح كرماً وجوداً ممدحاً بكل لسان حليماً عفيفاً وقوراً مهيباً وله يقول القائل

لا يرى مصالحنا كف يحيى انه ان عملت صرت مالي

لو تمس البخيل راحة يحيى لسخت نفسه ببذل النوال

ومن آراء يحيى السديده ما قاله للهادي وقد عزم على أن يخلع أخاه هارون من الخلافه ويبايع لابنه جعفر بن الهادي وكان يحيى كاتب الرشيد وهو يرجى أن يولى هارون الخلافه فيصير هو وزير الدوله فلما الهادي يحيى ووهب له عشرين ألف دينار وحادثه في خلع هارون أخيه والمبايعه لجعفر ابنه فقال له يحيى يا أمير المؤمنين ان فعلت حملت الناس على نكث

لأ مان ونقض العهود وتجرأ الناس على مثل ذلك ولو تركت أخاك هارون
على ولاية العهد ثم بايعت لجعفر بعده كان ذلك أوكد في بيعته فترك الهادي
مدة ثم علت عليه حب لولده فأحضر يحيى مرة ثانية وفاوضه في ذلك فقال
له يحيى يا أمير المؤمنين لو حدث بك حادث الموت وقد خلعت أخاك
وبايعت لابنك جعفر وهو صغير دون البلوغ فترى كانت خلافته تصح
وكان مشايخ بني هاشم يرضون بذلك ويسلمون الخلافة اليه قال لا قال يحيى
فدع هذا الامر حتى يأتيه عفو ولو لم يكن المهدى بايع لهارون لوجب أن
ايع ب له لئلا تخرج الخلافة من بني يتك فصوب الهادي رأيه وكان
ـ ـد بعد ذلك يرى هذه من أعظم أيادي يحيى بن خالد عنده

٠ ٠ ـــ مكارمه قيل إن الرشيد لما نكب البرامكة واستأصل شأفتهم
حرم على الشعراء أن يرثوهم وأمر بالمؤاخذة على ذلك فاجتاز بعض حرس
بعض الخرابات فرأى شابا واقفا وفي يده رقعة فيها شعر يتضمن رثا
البرامكة وهو ينشده ويبكي فأخذه الحرس فأتى به الى الرشيد وقص عليه
الصورة فاستحضره الرشيد وسأله عن ذلك فاعترف به فقال له الرشيد أما
سمعت تحريمي الرثاء لأفعلن بك ولأصنعن فقال يا أمير المؤمنين إن
أذنت لي في حكاية حالي حكيتها ثم بعد ذلك أنت ورأيك قال قل قال إني
كنت من صغار كتاب يحيى بن خالد فقال لي يوما يا
ـ ... ... لا تحتاج
فقلت ... ... في ذلك فلت فلان كان لابد ... ... مدة حتى أصلح شأني ومنه
... بعد ذلك ... قال ... قال كثير قلت
قال ... ... في صلاح المنزل وتهيئة أسباب لا عوض

الاسباب أعلمت الوزير بذلك فقال نحن غداً عندك فتعبت وتهيأت في الطعام والشراب وما يحتاج اليه فحضر الوزير في غد ومعه ثمانية جعفر والفضل وعدة يسيرة من خواص أتباعه فنزل عن دابته ونزل ولداه جعفر والفضل وقال يا فلان أنا جائع فعجل لي شيء فقال لي الفضل انه الوزير يحب الفراريج المشوية فعجل منها ما حضر فدخلت وأحضرت منها شيئاً فأكل الوزير ومن معه . ثم قام يمشي في الدار وقال يا فلان فرجنا في دارك فقلت يا مولانا هذه هي داري ليس لي غيرها قال بلى لك غيرها قلت والله ما أملك سواها فقال هاتوا بناء فلما حضر قال له افتح في هذا الحائط باباً فمضى ليفتح فقلت يا مولانا كيف يجوز ان نفتح باباً الى بيوت الجيران والله أوصى بحفظ الجار قال لا بأس في ذلك ثم فتح الباب فقام الوزير وابناؤه فدخلوا فيه وأنا معهم فخرجوا منه الى بستان حسن كثير الاشجار والماء يتدفق فيه وبه من المقاصير والمساكن ما يروق كل ناظر وفيه من الآلات والفرش والخدم والجواري كل جميل بديع فقال هذا المنزل وجميع ما فيه لك فقبلت يده ودعوت له وتحققت القصة فاذا هو من يوم حادثني في معنى الدعوة قد أرسل واشترى الاملاك المجاورة لي وعمرها داراً حسنة ونقل اليها من كل شيء وانا لا أعلم . وكنت أرى العمارة فأحسبها لبعض الجيران . فقال لابنه جعفر يا بني هذا منزل وعيال فالمادة من أين تكون له قال جعفر قد أعطيته الضيعة الفلانية بما فيها وسأكتب له بذلك كتاباً . فالتفت الى ابنه الفضل وقال له يا بني فمن الآن الى أن يدخل دخل هذه الضيعة ما الذي ينفق فقال الفضل عليّ عشرة آلاف دينار أحملها اليه فقال فعجلا له ما قلتما فكتب لي جعفر بالضيعة وحمل الفضل الى المال فأثريت وارتفعت حالي وكسبت بعد ذلك

معه مالا طائلا أما أملت فيه الى اليوم فوالله يا أمير المؤمنين ما أجد فرصة أتمكن فيها من الثناء عليهم والدعاء لهم الا انتهزتها مكافأة لهم على إحسانهم ولن أقدر على مكافأته فان كنت قائلي على ذلك فافعل ما بدا لك فرق الرشيد لذلك وأطلقه وأذن لجميع الناس في رثائهم

قيل ان هرون الرشيد حج ومعه يحيى بن خالد بن برمك ومعه ولداه الفضل وجعفر فلما وصلوا الى مدينة الرسول صلوات الله عليه جلس الرشيد ومعه يحيى فأعطيا الناس وجلس الامين ومعه الفضل بن يحيى فأعطيا الناس وجلس المأمون ومعه جعفر فأعطيا الناس فأعطوا في تلك السنة ثلاث أعطيات ضرب بكثرتها الامثال وكانوا يسمونه عام الأعطيات الثلاث وأثرى الناس بسبب ذلك وفي ذلك يقول الشاعر (طويل)

أتانا بنو الآمال من آل برمك	فيا طيب أخبار ويا حسن منظر
لهم رحلة في كل عام الى العدا	وأخرى الى البيت العتيق المستر
اذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت	بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد ويجلو لنا الدجى	بمكة ما يجلو ثلاثة أقمر
فما خلقت الا لجود أكفهم	وأقدامهم الا لأعواد منبر
اذا راض يحيى الامر ذلت صعابه	وناهيك من راع له ومدبر

كان يحيى يقول ما خاطبني أحد الا هبته حتى يتكلم فاذا تكلم كان بين اثنين إما ان يزيد هيبته أو تضمحل * وكان يقول المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الاحرار * كان يحيى اذا ركب يعد صررا في كل صرة مائتا درهم يدفعها الى المتعرضين له

* سيرة ولد الفضل بن يحيى *

كان الفضل من كرام الدنيا وأجواد اهل عصره وكان قد أرضعته أمّ هرون الرشيد وأرضعت أمه الرشيد وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة

(طويل)

كفى لك فخراً أن أكرم حرة　　غذتك بثدي والخليفة واحد

لقد زنت يحيى في المشاهد كلها　　كما زان يحيى خالداً في المشاهد

وولاه الرشيد خراسان فخرج اليه أبو الهول الشاعر مادحا معتذراً من شعر كان هجاه به فأنشده

(طويل)

سرى نحوه من غضبة الفضل عارض　　له لجب فيها البوارق والرعد

وكيف ينام الليل ملقى فراشه　　على مدرج يعتاده الأسد الورد

ومالي الى الفضل بن يحيى بن خالد　　من الجرم ما يخشى على مثله الحقد

فجد بالرضى لا أشتفي منك عبره　　ورأيك فيما كنت عودتني بعد

فقال له الفضل لا أجمع عليك بين رضاي واحساني فهما معروفان فان أردتهما معاً والا فدعهما معاً ثم وصله ورضي عنه

حدث اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كنت قد ربيت جارية حسنة الوجه فثقفتها وعلمتها حتى برعت ثم أهديتها الى الفضل بن يحيى فقال لي يا اسحق ان رسول صاحب مصر قد ورد الى يسألني حاجة أقضيها عليه فدع هذه الجارية عندك فاني سأطلبها وأعلمه أني أريدها فانه سوف يحضر اليك ويساومك فيها فلا تنقصها من خمسين الف دينار قال اسحق فمضيت بالجارية الى منزلي فجاء الي رسول صاحب مصر وسألني عن الجارية فأخرجتها اليه فبذل فيها عشرة آلاف دينار فامتنعت فصعد الى عشرين الف دينار فامتنعت فصعد الى ثلاثين الفاً فما ملكت نفسي حتى قلت له بعتك

وسلمت الجارية اليه وقبضت منه المال ثم اني أتيت من الغد الى الفضل بن يحيى فقال لي يا اسحق بكم بعت الجارية قلت بثلاثين الف دينار قال ألم أقل لك لا تأخذ منه أقل من خمسين الفاً قلت فداك أبي وأمي والله ما ملكت نفسي منذ سمعت لفظة ثلاثين الفاً فتبسم. ثم قال ان رسول صاحب الروم قد سألني أيضاً حاجة وسأفرح عليه هذه الجارية وأدله عليك فخذ جاريتك وانصرف الى منزلك فاذا ساومك فيها فلا تأخذ منه أقل من خمسين الف دينار فأخذت الجارية وانصرفت الى منزلي فأتاني رسول صاحب الروم وساومني في الجارية فطلبت خمسين الفاً فقال هذا كثير ولكن تأخذ مني ثلاثين الفاً فوالله ما ملكت نفسي منذ سمعت لفظة ثلاثين الفاً حتى قلت له قد بعتك فقبضت المال منه وسلمت الجارية اليه. ومضيت من الغد الى الفضل بن يحيى. فقال ما صنعت وبكم بعت الجارية يا إسحاق قلت بثلاثين الفاً قال سبحان الله ما أوصيتك أن لا تأخذ منها أقل من خمسين الفاً قلت جعلت فداك والله إني لما سمعت قوله ثلاثين الفاً ما تمالكت نفسي. ثم انه تبسم وقال خذ جاريتك وامض الى منزلك. فهي غداً يجيء اليك رسول صاحب خراسان فتمسك ولا تأخذ منه أقل من خمسين الفاً. قال اسحاق فأخذت الجارية ومضيت الى منزلي فجاءني رسول صاحب خراسان وساومني فيها. فطلبت خمسين الفاً فقال لي هذا كثير ولكن أخذ بثلاثين الفاً فقويت نفسي واستحت فقصد معي الى أربعين الف دينار فكاد عقلي يذهب من الفرح ولم أتمالك أن قلت له بعتك فاحضر المال وأقبضنيه وسلمت الجارية اليه ومضيت من الغد الى الفضل فقال لي يا اسحاق بكم بعت الجارية قلت بأربعين الفاً ووالله لما سمعتها منه كاد عقلي يذهب وقد حصل عندي جعلت فداك مائة الف دينار ولم يبق لي أمل. فأحسن الله

حراءك . فأمر بالجارية فأخرجت الىّ . وقال يا اسحاق خذ جاريتك وانصرف قال اسحاق فملت هذه الجارية والله أعظم الناس بركة فأعتقتها وتزوجتها وولدت لي أولادي

قال إبراهيم محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس حضر يوما عند الفضل بن يحيى ومعه سفط فيه جوهر وقال له ان حاصلي قد قصر عما حاجتي اليه وقد علاني دين مبلغه ألف ألف درهم واني أستحي أن أعلم أحداً بذلك وآنف أن أسأل أحداً من التجار أن يقرضني ذلك وإن كان معي رهن بالقيمة وبين أيديك الله تجار تعاملونك وأنا أسألك أن تقرض لي من تجدهم هذا المبلغ وتعطيه هذا الرهن فقال له الفضل السمع والطاعة ولكن نجح هذه الحاجة أن تقيم عندي هذا اليوم فأقام عنده . ثم ان الفضل أخذ السفط منه وهو مختوم بختمه وارسل معه الف الف درهم وبعد الدراهم والسفط الى منزله وأخذ خط وكيله بقبضه . وأقام محمد في دار الفضل الى آخر النهار ثم انصرف الى داره فوجد السفط ومعه الف الف درهم بذلك سر وراً عظيما فلما كان من الغد بكر الى الفضل ليشكره على ذلك فوجده قد بكر الى دار الرشيد فمضى محمد الى دار الرشيد فلما علم الفضل به خرج من باب آخر ومضى الى داره فمضى محمد اليه فلما علم به خرج من باب آخر ومضى الى منزله فمضى محمد اليه واجتمع به وشكره على فعله وقال له اني بكرت اليك لأشكرك على جميل فعالك فقال له الفضل اني فكرت في امرك فرأيت أن هذه الالف الف التي حملتها أمس اليك تقضي بها دينك ثم تحتاج فتقترض فقد فلبل تعلوك ثانيا فبكرت اليوم الى امير المؤمنين وعرضت عليه حالك وأخذت لك مائة الف

الف درهم أخرى . ولما حضرت الى امير المؤمنين خرجت اما ساب آخر وكذلك فعلت لما حضرت الى باب ابي لاني ما كنت أوثر أن ألقاك حتى يحمل المال الى منزلك وقد حمل . فقال له محمد أي شيء أجازيك على هـذا الاحسان ماعنـدي شيء أجازيك به الا اني الزم بالايمان المؤكده وبالطلاق والعتاق و الحج أني ما أقف على باب غـيرك ولا أسأل سواك . قالوا وحلف محمد أيمانا مؤكده وكتب بها خطه وأشهد بها سلبه أنه لايقف بباب غير الفضـل بن يحيى . فلما ذهبت دوله البرامكه وولى الفضل بن الربيع الوزاره عدمه حاج محمد فقالوا له لو ركبت الى الفضل بن الربيع فلم يفعل والتزم بالبيت فلم يركب الى احد ولم يقف على باب احد حتى مات

- سيره جعفر بن يحيى البرمكي

كان جعفر بن يحيى فصيحاً لسناً ذكياً فطناً كريماً حليماً وكان الرشيد يأنس به أكثر من أنسه بأخيه الفضل لسهولة أخلاق جعفر وشراسة أخلاق الفضل . قال الرشيد يوماً ليحيى يا أبي ما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفرا بذلك فقال يحيى لان الفضل يخلفني قال فضم الى جعفر أعمالا كأعمال الفضل فقال يحيى ان خدمتك وملازمتك يشغلانه عن ذلك فجعل اليه أمر دار الرشيد فسمي بالوزير الصغير ايضا

قال الرشيد يوما ليحيى قد أحببت أن تنقل ديوان الخاتم من الفضل الى جعفر وقد استحييت من مكاتبته في هذا المعنى فاكتب أنت اليه فكتب يحيى الى الفضـل قد أمر امير المؤمنين أعلى الله أمره أن تحول الخاتم من يمينك الى شمالك فأجابه الفضل قد سمعت لما أمر به أمير المؤمنين في أخي وما انسلبت عني نعمة صارت اليه ولا غربت عني رتبة طلعت عليه . فقال جعفر لله

در أحى ماأكس ىفسه وأط ر دلائل الفصل عليه وأقوى منه العقل عنده وأوسع فى البلاغه درعه

قيل ان جعفر بن يحى البرمكى جلس يوما للشرب وأحب الخلوه فأحضر ندماءه الذين يأنس بهم وجلس معهم وقد هيأ المجلس ولبسوا ثياب المصبغه وكانوا اذا جلسوا فى مجلس الشراب واللهو لبسوا الثياب الحمر والصفر والخضر . ثم ان جعفر بن يحى تقدم الى الحاجب أن لا يأذن لاحد من خلق الله تعالى سوى رجل من الندماء كان قد تأخر عنهم اسمه عبد الملك بن صالح ثم جلسوا يشربون ودارت الكاسات وخفقت العيدان . وكان رجل من أقارب الخليفة يقال له عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس وكان شديد الوقار والدين والحشمه وكان الرشيد قد التمس منه أن ينادمه و يشرب معه وبذل له على ذلك أموالا جليله فلم يفعل . فاتفق أن هذا عبد الملك بن صالح حضر الى باب جعفر بن يحى ليخاطبه فى حوائج له فظن الحاجب أنه هو عبد الملك بن صالح الذى تقدم جعفر بن يحى بالاذن له وأن لا يدخل غيره فأذن الحاجب له فدخل عبد الملك بن صالح العباسى على جعفر بن يحى . فلما رآه جعفر كاد عقله يذهب من الحياء وفطن أن القضيه قد شبهت على الحاجب لطرئ اشتباه الاسم وفطن عبدالملك بن صالح أيضا للقصه وظهر له الخجل فى وجه جعفر بن يحى . فانبسط عبد الملك وقال لا بأس عليكم أحضروا لنا من هذه الثياب المصبغه شيأ فاحضر له قميص مصبوغ فلبسه وجلس ينبسط مع جعفر بن يحى ويمازحه . وقال اسقونا من شرابكم فسقوه رطلا وقال ارفقوا بنا فليس لنا عاده بهذا ثم انبسط معهم ومازحهم وما زال حتى انبسط جعفر ابن يحى وزال انقباضه وحياؤه . ففرح جعفر بذلك فرحا شديدا وقال له ما

حاجتك. قال حيث أسلحتك الله في ثلاث حوائج أريد أن تخاطب الخليفة فيها .أولها أن عليّ دينًا مبلغه ألف ألف درهم أريد قضاءه . وثانيها اريد ولاية لا ينصرف بها قدره . وثالثها أريد أن يزوج ولدي بابنة الخليفة فانها بنت عمه وهو كفؤها. فقال له جعفر بن يحيى قد قضى الله هذه الحوائج الثلاث . أما المال ففي هذه الساعة يحمل الى منزلك . وأما الولاية فقد وليتك مصر . وأما الزواج فقد زوجته فلانة ابنة مولانا امير المؤمنين على صداق مبلغه كذا وكذا فانصرف في أمان الله. فراح عبد الملك الى منزله فرأى المال قد سبقه ولما كان من الغد حضر جعفر عند الرشيد وعرفه ما جرى وأنه قد ولاه مصر وزوجه ابنته فعجب الرشيد من ذلك وأمضى العقد والولاية فما خرج جعفر من دار الرشيد حتى كتب له التقليد بمصر وأحضر القضاة والشهود وعقد العقد

وقيل ان جعفر بن يحيى كان بينه وبين صاحب مصر عداوة ووحشة وكان كل منهما متحاشيًا للآخر . فزوّر بعض الناس كتابًا عن لسان جعفر بن يحيى الى صاحب مصر مضمونه ان حامل هذا الكتاب من أخص أصحابنا وقد آثر التفرج في الديار المصرية فأريد أن تحسن لانعطاف اليه والقيام في الوصية . ثم أخذ الكتاب ومضى الى مصر وعرضه على صاحبها . فلما وقف عليه تعجب منه وفرح به إلا أنه حصل عنده ارتياب وشك في الكتاب فأكرم الرجل و نزله في دار حسنة وأقام له ما يحتاج اليه وأخذ الكتاب منه وأرسله الى وكيله ببغداد وقال له قد وصل شخص من أصحاب الوزير بهذا الكتاب وقد ارتبت به فأريد ان تفحص لي عن حقيقة الحال في ذلك وهل هذا خط الوزير أم لا وأرسل كتاب الوزير صحبة مكتوبه الى وكيله . فجاء

الوكيل الى وكيل الوزير وحدثه بالقصة وأراه الكتاب فأخذه وكيل
الوزير ودخل الى الوزير وعرفه الحال. فلما وقف جعفر بن يحيى على الكتاب
علم أنه مزور عليه وكان عنده جماعة من ندمائه ونوابه فرمى الكتاب عليهم
وقال لهم أهذا خطى فتأملوه وانكروه كلهم وقالوا هذا مزوّر على الوزير
فعرفهم صورة الحال وان الذى زور هذا الكتاب موجود بمصر عند صاحبها
وانه ينتظر عود الجواب بخصوص حاله وقال لهم ما ترون وكيف ينبغى أن نفعل
فى هذا . فقال بعضهم ينبغى أن ينال هذا الرجل حتى يحسم هذه المادة ولا
يرجع احد يجرى على مثل هذا العمل . وقال آخر ينبغى أن تقطع يمينه التى زور
بها هذا الخط . وقال آخر ينبغى ان يوجع ضربا ويطلق حال سبيله. وكان أحسنهم
مخصرا من قال ينبغى أن تكون عقوبته على هذا العمل حرمانه وان يترك
صاحب مصر بحاله لحرمة مكمنه من العقوبة به فقد قطع هذه المسافة البعيدة
من بغداد الى مصر ثم يرجع خائباً. فلما فرغوا من حديثهم قال جعفر سبحان الله
أليس فيكم رجل رشيد قد علمتم ما كان بينى وبين صاحب مصر من العداوة
والمحاسبة وأن كل واحد منا كانت تمنعه عزة النفس أن يفتح باب الصلح فقد
قيض الله لنا رجلا فتح بيننا باب المصالحة والمكاتبة وأزال بيننا ثلاث العداوة
فكيف تكون جزاؤه ما ذكرتم من الاساءة ثم أخذ القلم وكتب على ظاهر
الكتاب الى صاحب مصر سبحان الله كيف حصل لك الشك فى خطى
هذا خط يدى والرجل من أعز أصحابى وأريد أن تحسن اليه وتسعده الى
سرعة فانى مشتاق اليه محتاج الى حضوره فلما وصل الكتاب وفى ظاهره
خط الوزير الى صاحب مصر كاد يطير من الفرح وأحسن الى الرجل غاية
الاحسان وواصله بمال كثير وتحف جملة ثم ان الرجل رجع الى بغداد وهو

أحسن الناس حالا لحصر الى مجلس جعفر بن يحيى . فلما دخل سلم عليه ووقع بقبل الارض وبكى فقال له جعفر من أنت يا أخى قال يا مولانا انا عبدك وصنيعك المزوّر الكذاب المتجرّى فعرفه جعفر وبش به وأجلسه بين يديه وسأله عن حاله وقال له كم وصل اليك منه فقال مائة الف دينار فاستعملها جعفر وقال لا رمنا حتى تضاعفها لك فلازمه مدة فكسب معه مثلها .

وما زالت دولة البرامكة فى علو وارتفاع وتزايد حتى انحرفت عنهم الدنيا

ب أماره تدل على انحراف دولتهم

حدث بختيشوع الطبيب قال دخلت يوماً على الرشيد وهو جالس فى قصر الخلد بمدينة السلام وكانت البرامكة يسكنون بحذائه من الجانب الآخر وبينهم وبينه عرض دجلة قال فنظر الرشيد فرأى كثرة الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد فقال جزى الله يحيى خيراً تصدى للامور وأراحنى من الكد ووفر أوقاتى على اللذة ثم دخلت اليه بعد أوقات قد سُنع بغير عليهم فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرة فقال استبد يحيى بالامور دونى فالخلافة على الحقيقة له وليس لى منها الا اسمها قال فعلمت انه سينكبهم ثم نكبهم عقيب ذلك

سبب السبب فى نكبة البرامكة وكيفيتها

اختلف أصحاب السير والتواريخ فى السبب فى ذلك فقيل ان الرشيد ما كان يصبر عن أخته عباسة ولا عن جعفر بن يحيى فقال له أزوّجكها حتى يحل لك النظر اليها ثم لا تقربها فكانا يجتمعان وهما ساهران ثم يقوم الرشيد عنهما ويخلوان فأصابها جعفر فحملت منه وولدت ولداً وكتمت الامر فى ذلك حتى علم الرشيد فكان ذلك سبب نكبة البرامكة

وقيل كان سبب ذلك ان الرشيد كلف جعفر بن يحيى قتل رجل من آل أبي طالب فجرح جعفر من ذلك وأطلق الطالبيّ وسعى الى الرشيد بجعفر فقال له ما فعل الطالبيّ قال هو في الحبس قال الرشيد بحياتي فقطن جعفر فقال لا وحياتك ولكن أطلقته لاني علمت أنه ليس عنده مكروه فقال له الرشيد نعم ما فعلت فلما قام جعفر قال الرشيد قتلني الله ان لم أقتلك ثم نكبهم

وقيل ان أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع ما زالوا يسعون بهم الى الرشيد ويذكرون له استبدادهم بالملك واحتجابهم للاموال حتى أوغروا صدره فأوقع بهم

وقيل ان جعفراً والفضل ابنى يحيى بن خالد ضربا من الادلال ما لا تحمله نفوس الملوك فنكبهم لذلك

وقيل ان يحيى بن خالد رئى وهو بمكة يطوف حول البيت ويقول اللهمّ ب ب ر ر ب سا ي نعمك عندى وسلبى أهلي ومالي وولدى فاسلبنى الا الفضل ولدى ثم ولى فلما مشى قليلا عاد وقال يا رب انه سمج عليّ ان تسلبنى عليك اللهم والفضل فنكبهم الرشيد بعد قليل

شرح مقتل جعفر بن يحيى والقبض على أهله *

كان الرشيد قد حج فلما عاد من الحج سار من الحيرة الى الأنبار في السفن وحمل يشرب نبيذه ويلهو أخرى ويحف الرشيد وهداياه بأسه وعنده بختيشوع الطبيب وأبو زكار الأعمى نديمه فلما أظل المساء دعا الرشيد مسرورا الخادم وكان مبغضاً لجعفر وقال اذهب فجئني برأس جعفر ولا تراجعني فوافاه مسرور بغير اذن وهجم عليه وأبو زكار نديمه

(وافر)

فلا سعد فكل فتى سيأتي	عليه الموت يطرق أو يغادي

فلما دخل مسرور قال له جعفر بن يحيى ابعد سرورى بمجيئك وسؤى بدخولك علىّ بغير اذن فقال الذى جئت له أعظم أجب أمير المؤمنين الى ما يريد بك فوقع على رجليه فقبلهما وقال له عاود أمير المؤمنين فان الشراب قد حمله على ذلك وقال دعنى أدخل دارى فأوصى فقال الدخول لا سبيل اليه وأما الوصية فأوص بما بدا لك فأوصى ثم حمله الى منزل الرشيد وعدل به الى قبة وضرب عنقه وأتى برأسه الى بين يدى الرشيد وبدنه فى نطع ووجه الرشيد فقبض على أبيه واخوته وأهله وأصحابه وحشمه بالرقة واستأصل شأفتهم

ومن طريف ما وقع فى ذلك ما رواه العمرانى المؤرخ . قال حدثنى فلان قال دخلت الديوان فنظرت فى بعض تذاكر الثواب فرأيت فيها أربع مائة الف دينار ثمن خلعة لجعفر بن يحيى الوزير ثم دخلت بعد أيام فرأيت تحت ذلك عشرة قراريط ثمن نفط وبوارىّ لاحراق جثة جعفر بن يحيى فعجبت من ذلك

ثم استوزر الرشيد بعد البرامكة الفضل بن الربيع وكان حاجبه

وزارة أبى العباس الفضل بن الربيع *

قد مضى ذكر أبيه وأما الفضل فكان حاجباً للمنصور والمهدى والهادى والرشيد فلما نكب الرشيد البرامكة استوزره بعدهم

كان الفضل بن الربيع شهماً خبيراً بأحوال الملوك وآدابهم ولما ولىّ الوزارة تهوّس بالادب وجمع اليه أهل العلم فحصل منه ما أراد فى مدة يسيره وكان أبو نواس من شعرائه المنقطعين اليه فمن شعره فى آل الربيع

(كامل)

عباس عباس اذا اصطرم اوعى والفصل فصل والربيع ربيع

وما زال الفصل بن الربيع على وزارته الى ان مات الرشيد بطوس . فجمع الفضل العسكر وما فيه ورجع الى بغداد . وسنورد باقى سيرته فى أيام الامين * بعضب أيام الرشيد

ثم ملك بعده ابنه الامين محمد بن رشيد

أمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور وليس فى خلفاء بنى العباس من أمه وأبوه هاشميان سوى هذا . كان الأمين كثير اللهو و اللعب منقطعا الى ذلك مستقلا به عن تدبير مملكته . قال ابن الاثير المؤرخ الجزرى لم نجد للامين سيئا من سيرته نستحسنه فنذكره . وقال غيره كان الامين فصيحا بليغا كريما . وفيه يقول بعض الشعراء يمدحه ويعرض بهجو المأمون أخيه (رمل)

لم تلده أمة تعرف فى السوق التجارا

لا ولا حد ولا خان ولا فى الحرب جارا

عرض بالمأمون لان الرشيد كان قد حده فى جارية وجد معها الظمه أو فى خمر

كان الرشيد قد بايع للامين بولاية العهد وللمأمون بعده وكتب الكتب بذلك وأشهد فيها الشهود وأرسل نسخها الى الامصار فعلقت نسخة منها في البيت على الكعبة وأكد ذلك بكل ما أمكنه السبيل . فلما مات بطوس كان المأمون فى خراسان ومعه جماعة من أكابر القواد ووزيره الفضل بن سهل وكان الامين ببغداد . وكان الفضل بن الربيع وزير الرشيد مع الرشيد بطوس . فلما مات الرشيد جمع الفضل جميع مال العسكر . وكان الرشيد قد أوصى به

للمأمون . وتوجه الفضل الى بغداد فاستوزره الامين ثم اشتغل باللهو واللعب ومعاشرة المجان. فأشار الفضل بن سهل وزير المأمون على المأمون باظهار الورع والدين وحسن السيرة فأظهر المأمون حسن السيرة واستمال القواد واهل خراسان. وكان كلما اعتمد الامين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة سديدة ثم نشأت العداوة بينهما وحسن الفضل بن الربيع وغيره له أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد ويبايع لابنه موسى فخلعه وبايع لابنه موسى وسماه الناطق بالحق وبسبب ذلك كانت الفتنة ببغداد بين الامين والمأمون وكان في آخرها قتل الأمين

* سبب الفتنة بين الأمين والمأمون *

كان الفضل بن الربيع وزير الأمين قد خاف المأمون لما فعله عند موت الرشيد بطوس من حمله جميع ما كان في عسكره الى الأمين بعد أن كان الرشيد قد أشهد به للمأمون فخاف الفضل بن الربيع من المأمون أنه ان ولي الخلافة كافاه على فعله . فحسن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى واتفق مع الفضل جماعة على ذلك . فمال الامين الى أقوالهم . ثم انه استشار عقلاء أصحابه فنهوه عن ذلك وحذروه عاقبة البغي ونكث العهود والمواثيق وقالوا له لا تجرئ القواد على النكث للايمان وعلى الخلع فتخلعوك فلم يلتفت اليهم ومال الى رأي الفضل بن الربيع وشرع في خدع المأمون باستدعائه الى بغداد فلم ينخدع وكتب نعتذر . وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما حتى زين للمأمون وعزم على الاجابة الى خلع نفسه ومبايعة موسى بن الامين . فلامه وزيره الفضل بن سهل وشجعه على الامتناع وضمن له الخلافة وقال هي في عهدي . فامتنع المأمون ونهض الفضل بن سهل بأمر المأمون واستمال له الناس وضبط له الثغور والامور

.واشتدت العداوة بين الاخوين الامين والمأمون وقطعت الدروب بينهما من بغداد الى خراسان وفتشت الكتب وصعب الامر. وقطع الامين خطبة المأمون ببغداد وقبض على وكلائه. وكذلك فعل المأمون بخراسان وبقي السر بينهما . وكان بعد ما عند المأمون من السخط والضغط عند الامين من الاهمال والتفريط والغفول. فما يحكي من تفريط الامين وجهله أنه كان قد أرسل الى حرب أخيه رجلا من أصحاب ابيه يقال له علي بن عيسى بن ماهان وأرسل معه خمسين الفاً فيقال انه ما رؤى قبل ذلك ببغداد عسكر أكثف منه وحمل معه السلاح الكثير والاموال الوافرة وخرج معه مشيعاً مودعاً. وكان أول بعث بعثه الى أخيه . فمضى علي بن عيسى بن ماهان في ذلك العسكر الكثيف .وكان شجاعاً من شيوخ الدولة جليلا مهيباً فالتقى بطاهر بن الحسين طاهر الري وعسكر طاهر حدود أربعة الف فارس فاقتتلوا قتالا شديداً كانت الغلبة فيه لطاهر وقتل علي بن عيسى وجيء برأسه الى طاهر فكتب طاهر الى المأمون كتاباً نسخته . أما بعد فهذا كتابي الى امير المؤمنين أطال الله بقاءه ورأس علي بن عيسى بين يدي وخاتمه في يدي وجنده تحت أمري والسلام

وأرسل الكتاب على البريد فوصل الى المأمون في ثلاثة أيام وبينهما مسيرة مائتين وخمسين فرسخاً . ثم ان نعي علي بن عيسى ورد الى الامين وهو يصطاد السمك فقال للذي أخبره بذلك دعني فان كوثراً قد صطاد سمكتين وانا الى الآن ما اصطدت شيئاً .وكان كوثر خادماً خصيا له وكان يحبه. ولقد كانت أم زبيدة أسدّ رأيا منه فان علي بن عيسى لما أرسله الامين الى خراسان بالجيش حضر الى باب زبيدة لتودعه . فقالت له يا علي ان امير المؤمنين وان كان ولدي واليه انتهت شفقتي فاني على عبد الله بني المأمون منعطفة مشفقة

لما يحدث عليه من مكروه وأذى . وإنما ولدى ملك ناقص أخاه فى سلطانه فاعرف لعبد الله حق ولادته وحوبه ولا تجبهه بالكلام فانك لست نظيراً له . ولا تقسره اقتسار العبيد . ولا توهنه بقيد وغل . ولا تمنع منه جارية أو خادماً . ولا تعنف عليه فى السير . ولا تساوه فى المسير . ولا تركب قبله . وخذ بركابه اذا ركب . وان شتمك فاحتمل منه ثم دفع اليه عبداً من فضة وقال ذا صار اليك فصده بهذا الصيد . وقال لها سأفعل ما أمرت به . وكان الناس يحرمون نصره على بن عيسى تعظيماً له واستكثروه واستصغاراً لمن يلقيه من جند المأمون . فقدر الله خلاف ما خرج به . وكان من الامر ما كان

وكان تلك الايام أيام فتن وحروب فما جرى من ذلك ان الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان كان أحد الامراء فنقم على الامين وخلعه وخاصمه وبايع للمأمون وتبعه ناس من العسكر فاجتمع ناس آخرون من العسكر وقالوا ان كان الحسين بن علىّ بن عيسى يريد أن يأخذ وجهاً عند المأمون بما فعل فلنأخذنّ نحن وجهاً عند خليفتنا الامين بفكه وخلاصه وخلاسه على السرير فاقتتل الفريقان فغلب أصحاب الامين فدخلوا عليه محبسه وأخرجوه وأجلسوه على سرير الخلافة وقاتلوا حسيناً وغلبوا عليه وأحضروه أسيراً الى الامين . فعاتبه فاعتذر اليه وعفا عنه . ثم خلع عليه وولاه العسكر وأمره بمحاربة المأمون . فخرج وهرب . فأرسل الامين الجند خلفه فلحقوه وقتلوه وحملوا رأسه الى الامين . فما زال السـ ـمى والاختلاف يزيد حتى أرسل المأمون هرثمة وطاهر بن الحسين وهما من أعيان أمرائه بعسكر كثيف لمحاصرة بغداد ومحاربة الامين . فحاصرا بغداد مدة وقاتلا بعساكرهما قتالاً شديداً وجرت بين المسلمين وقائع كثيرة كان فى آخرها الغلبة لعسكر المأمون وقتل

الامين وحمل رأسه الى أخيه المأمون بخراسان وذلك في سنة ثمان وتسعين ومائة

وأما حال الوزارة في أيامه فانه لم يستوزر غير الفضل بن الربيع وزير أبيه وقد سبق شرح طرف من سيرته عند ذكر وزرائه للرشيد انقضت أيام الامين

ثم ملك بعده أخوه عبد الله المأمون

بويع له البيعة العامة ببغداد في سنة ثمان وتسعين ومائة، كان المأمون من أفاضل خلفائهم وعلمائهم وحكمائهم وحلمائهم وكان فطناً شديداً كريما حدث عنه أنه لما كان بدمشق أضاق إضاقة شديدة وقل المال عنده فشكى ذلك الى أخيه المعتصم. وكان له عنده أعمال فقال المعتصم يا أمير المؤمنين كأنك بالمال وقد وافاك بعد اسبوع فوصل في تلك الايام من الاعمال التي كان المعتصم يتولاها ثلاثون الف الف الف درهم الاف مكروه ثلاث مرات. فقال ليحيى بن أكثم اخرج بنا لننظر الى هذا المال فخرج وخرج الناس . وكان قد زين حمل وزخرف فنظر المأمون منه الى شيء حسن كثير فاستعظم الناس ذلك وسبشروا به. فقال المأمون إن نصرفنا الى منازلنا بهذا المال وينصرف الناس خائبين لؤم فأمر كاتبه أن يوقع لفلان ألف الف ولفلان مثلها ولآخر بأكثر منها حتى فرّق أربعة وعشرين الف الف الف درهم والالف مكروه ثلاث مرات ورجله في الركاب. ثم حول الباقي على عارض الجيش برسم مصالح الجند وعلم أن المأمون كان من عظماء الخلفاء ومن فضلاء الرجال وله اخبار عادات كثيرة في مملكته

منها أنه هو أول من فحص منهم عن علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها الى العربية وشهرها وحل إقليدس ونظر في علوم الاوائل وتكلم في

الطب وقرّب اهل الحكمه

ومن اختراعاته مقاسمه أهل السواد بالخمس. وكان المقاسمه المعهوده النصف

ومن اختراعاته إلزام الناس أن يقولوا بخلق القرآن. وفى أيامه نشأت هذه المقاله ونوظر فيها أحمد بن حنبل وغيره. ولما مات المأمون أوصى أخاه المعتصم بها. فلما ولى المعتصم تكلم فيها وضرب أحمد بن حنبل وسنورد خبر ذلك فى موضعه

ومن اختراعاته نقل الدوله من بنى العباس الى بنى على عليه السلام وتغيير الناس السواد بلباس الخضره وقالوا هو لباس أهل الجنه

** شرح الحال فى ذلك **

كان المأمون قد فكر فى حال الخلافه بعده وأراد أن يجعلها فى رجل يصلح لها لتبرأ ذمته كذا زعم. فذكر أنه اعتبر أحوال أعيان البيتين البيت العباسى والبيت العلوى فلم ير فيهما أصلح ولا أفضل ولا أورع ولا أدين من علىّ بن موسى الرضى عليهما السلام فعهد اليه وكتب بذلك كتابا بخطه وألزم الرضى عليه السلام بذلك فامتنع ثم أجاب ووضع خطه فى ظاهر كتاب المأمون بما معناه : انى قد أجبت امتثالا للأمر وان كان الجفر و الجامعه يدلان على ضد ذلك وشهد عليهما بذلك الشهود

وكان الفضل بن سهل وزير المأمون هو القائم بهذا الامر والمحسن له فبايع الناس لعلى بن موسى من بعد المأمون وسمى الرضى من آل محمد صلوات الله عليه

وأمر المأمون الناس بخلع لباس السواد ولبس الخضره وكان هذا فى

خراسان فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المأمون من نقل الخلافة عن البيت العباسي الى البيت العلوي وتغيير لباس آبائه وأجداده بلباس الخضرة أنكروا ذلك وخلعوا المأمون من الخلافة عصياً من فعله وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي . وكان فاضلا شاعراً فصيحاً أديباً مغنياً حاذقاً واليه أشار ابو فراس بن حمدان في قصيدته بقوله (بسيط)

منكم علية أم منهم وكان لكم شيخ المغنين ابراهيم أم لهم

وكانت تلك الايام ايام فتن ووقائع وحروب فلما بلغ المأمون ذلك قام وقصد فقتل الفضل بن سهل ومات بعده عليّ بن موسى من أكل عنب . فعدل ان المأمون رأى انكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة الى بني عليّ وانهم نسبوا ذلك الى الفضل بن سهل ورأى الفتنة قائمة دسّ جماعة على الفضل ابن سهل فقتلوه في الحمام ثم اخذهم وقدمهم لضرب اعناقهم فقالوا له انت أمرتنا بذلك ثم تقتلنا فقال لهم انا اقتلكم باقراركم . واما ما ادعيتموه عليّ من أني أمرتكم بذلك فدعوى ليس لها بينة . ثم ضرب أعناقهم وحمل رؤوسهم الى الحسن بن سهل وكتب يعزيه ويوليه مكانه وانضمّ الى ذلك أمور أخرى سنذكرها عند ذكر وزارة الفضل ثم دسّ الى عليّ بن موسى الرضى عليه السلام سمّاً في عنب وكان يحب العنب فأكل منه واستكثر فمات من ساعته . ثم كتب الى بني العباس ببغداد يقول لهم ان الذي أنكرتموه من أمر عليّ بن موسى قد زال وان الرجل مات فأجابوه أغلظ جواب . وكان الفضل بن سهل قد استولى على المأمون ومن أمثاله كثرة بنائه في أمره واجتهاده في أخذ الخلافة له فكان قد قطع الاخبار عنه ومتى علم ان أحداً قد دخل عليه أو أعلمه بخبر سعى في مكروهه وعاقبه . فامتنع الناس من كلام المأمون فانطوت الاخبار

عنه . فلما ثارت الفتنة ببغداد وخلع المأمون وبويع ابراهيم بن المهدي وأنكر العباسيون على المأمون فعله كتم الفضل بن سهل ذلك عن المأمون مدة . فدخل عليه عليّ بن موسى الرضى عليهما السلام وقال له يا أمير المؤمنين ان الناس ببغداد قد أنكروا عليك ما نقموا بولاية العهد وتدبير لناس السواد وقد خلعوك وبايعوا عمك ابراهيم بن المهدي وأحضر اليه جماعة من القواد ليخبروه بذلك . فلما سألهم المأمون أمسكوا وقالوا نخاف من الفضل فان كتب تؤمنا من شره أخبرناك فآمنهم وكتب لهم خطه فأخبروه بصورة الحال وعرفوه خيانة الفضل وتمميه الأمور عليه وستره الاخبار عنه وقالوا له الرأي أن تسير بنفسك الى بغداد وتستدرك أمرك والا خرجت الخلافة من يدك . فكان بعدهذا مقتل الفضل وموت الرضى على ما تقدم شرحه

ثم جد المأمون في المسير الى بغداد فوصلها وقد هرب ابراهيم بن المهدي والفضل بن الربيع . فلما دخل البلد لقاه العباسيون وكلموه في ترك لباس الخضرة والعود الى السواد واجتمعت به زينب بنت سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس . وكانت في طبقة المنصور . وكان بنو العباس يعظمونها . والبها تنسب الزينبيون فقالت له يا أمير المؤمنين ما الذي دعاك الى نقل الخلافة من بيتك الى بيت عليّ . فقال يا عمة اني رأيت عليا حين ولي الخلافة أحسن الى بني العباس . فولى عبدالله البصرة . وعبيد الله اليمن . وقثم سمرقند . ومارأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضى الامر اليهم كافوه على فعله في ولده فأحببت أن أكافئه على إحسانه . فقالت له يا أمير المؤمنين انك على بر بني عليّ والامر فيك أقدر منك على برهم والامر فيهم ثم سألته تغيير لباس الخضرة فأجابها الى ذلك وأمر الناس بتغييره والعود الى لباس السواد . ثم ان

المأمون عفا عن عمه ابراهيم بن المهدي بعد وجده وأحسن اليه فصار من
ندمائه وكذلك فعل مع الفضل بن الربيع . وكان حليما كان يقول لو عرف
الناس حبي للعفو لتقربوا الي بالذنوب

وفي أيامه خرج محمد بن جعفر الصادق عليهما السلام بمكة ودعي بالخلافة
وسموه أمير المؤمنين . وكان بعض أهله قد حسن له ذلك حتى رأى أنه
للخلافة ... بين الفرق وخروج خوارج وكان محمد بن جعفر
شيخا من شيوخ آل أبي طالب يقرأ عليه العلم . وكان ... عنه عليه السلام
لما خرج شكت ... مدة . وكان الغالب على أمره ابنه وبعض بني عمه .
... المأمون اليهم عسكرا فكانت الغلبة له فسير به الى المأمون
وعفا عنه

وفي أيامه خرج ... بعض أهل ال...
فقاتله الحسن بن سهل فكانت الغلبة للحسن ...
صفا الملك بعد ذلك للمأمون وسكنت الفتن وقام المأمون بأعباء الخلافة وتدبير
المملكة قيام حزماء الملوك وفضلائهم وفي آخرها خرج الى الثغر بطرسوس
فمات به . وذلك في سنة ثماني عشرة ومائتين . يقول بعض الشعراء

(خفيف)

ما رأينا النجوم أغنت عن المأ　　　مون في ظل ملكه المحروس
خلفوه بعرصتي طرسوس　　　مثلما خلفوا أباه بطوس

شرح حال الوزارة في أيامه

أول وزرائه ذو الرياستين الفضل بن سهل . كان ... في ... . وفي مفرق
العصر ... . وكان مخصوصا بالدولة البرمكية وهو من صنائع البرامكة قالوا ...

الاول للمأمون مهم الفصل بن سهل

وزاره ذي الرئاستين الفصل بن سهل للمأمون *

سمي ذا الرئاستين لجمعه بين السيف والعلم . قالو كان الفصل بن سهل من أولاد ملوك الفرس المجوس وكان قهرماناً ليحيى بن خالد وكان ابوه سهل مجوسيا فاسلم في أيام الرشيد . قالو لما رأى الفصل بن سهل نجابة المأمون في صباه ونظر في طالعه وكان خبيراً بعلم النجوم فدله النجوم على أن يصير خليفة فلزم ناحيته وخدمه ودبر أموره حتى أفضت الخلافة اليه فاستوزره

كان الفصل سخياً كريماً يجاري البرامكة في جوده شديد العقوبة سهل الانعطاف حليما بليغاً عالما بآداب الملوك بصيراً بالحال حسن الحدس محصلا للاموال وكان يقال له الوزير الأمير

كان مسلم بن الوليد الشاعر نديما للفصل بن سهل قبل وزارته وكان قد أنشده قوله (سريع)

• قائل ليست له همة كلا ولكن ليس لي مال

لاجدة ينهض عزمي بها والناس سؤال وبخال

فاصبر على الدهر الى دولة يرفع فيها حالك الحال

فلما علت حال الفصل وولى الوزارة قصده مسلم بن الوليد . فلما رآه سر به وقال له هذه الدولة التي يرفع فيها حالك الحال وأمر له بثلاثين الف درهم وولاه بريد جرجان فاستفاد منه مالا طائلا * قالوا كانت همة ذي الرئاستين عالية جداً من قبل أن يعظم أمره قال له مؤدب المأمون يوما في أيام الرشيد ان المأمون لجميل لرأي فيك واني لا استبعد أن يحصل لك منه في جهته الف الف درهم فاغتاظ الفصل من ذلك وقال له ألك علي حقد أني اليك إساءة

فقال له المؤدب لا والله ما فعلت هذا الا محبة لك فقال أتقول لي إنك تحصل منه الف الف درهم والله ما صحبته لا كتسب منه مالا قل أو جل ولكن صحبته ليمضي حكم خاتمي هذا في الشرق والغرب . قال فوالله ما طالت المدة حتى بلغ ما أمل . وقبل الفضل بن سهل على الصورة الى تقدم بـ حياه . وذلك في سنة اسس ومائتين وفيه يقول الشاعر (متقارب)

لفضل بن سهل يد ‏ ‏ ‏ تقصر عنها المثل

فباطنها للندى ‏ ‏ ‏ وظاهرها للقبل

وبسطتها للغنى ‏ ‏ ‏ وسطوتها للاجل

وزاره أخيه الحسن بن سهل للمأمون ،

استوزره المأمون بعد أخيه الفضل . قال الله ولاماه حتى آلمصابه بقتل أخيه وتروح ابنته بوران واتخذ في أهله وأصحابه وعساكره وأمرته الى فم الصلح بواسطه . فقام الحسن بن سهل في بر لهم قياما عظيما وبذل من الاموال ونثر من الدرر ما تعرف حد الكثرة حتى انه عمل بطاطيخ من عنبر وجعل في وسط كل واحده منها رقعة بضيعة من ضياعه ونثرها فمن وقعت في يده بطيخة منها فتحها وتسلم الضيعة التى فيها . وكانت دعوة عظيمة تجاوز حد الحمل والكثرة حتى إن المأمون نسبه في ذلك الى السرف . وقالوا جملة ما أخرج على دعوة فم الصلح خمسون الف الف درهم

كان الحسن بن سهل قد فرش للمأمون حصيرا منسوجا من الذهب ونثر عليه الف لؤلؤة من كبار اللؤلؤ فلما رآه المأمون قال قاتل الله أبا نواس كأنه شاهد مجلسنا هذا حيث يقول (بسيط)

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ‏ ‏ ‏ حصباء در على أرض من الذهب

قالوا قدم رجل الى باب الحسن بن سهل يلتمس صلته وعارضه فاستعان عليه بديده فكتب اليه (بسيط)

المال والفعل مما يستعان به ... على المقام بأبواب السلاطين
وأنت تعلم انى مبهما عطل ... اذا أملني نابى الدهاقين
أما بذلك أبو بي على عدمي ... والوجه ابى رئيس في المجالس
والله يعلم ماللملك من رجل ... سواك يصلح للدنيا وللدين

فأمر له بعشرة آلاف درهم ووقع في رقعته (كامل)

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ... ولا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ... ونكون نحن كأننا لم نسئل

وكان الحسن بن سهل أعظم الناس منزلة عند المأمون . وكان المأمون شديد الحبه لمفاوضته فكان اذاحضر عنده طاوله في الحديث . وكلما أراد الانصراف منعه فانقطع زمان الحسن بذلك وثقلت عليه الملازمة فصار راجي من الحضور مجلس المأمون و يستخلف أحد كتابه كأحمد بن خالد وأحمد بن يوسف ونظرهما مع ترتيب له سوداء كان أصابها حزنه على أخيه فانقطع بداره لطب واحتجب عن الناس الا أنه اعلى الخلق مكانه واستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد فكان أحمد في كل وقت يقصد خدمة الحسن بن سهل واذ حضر الحسن دار المأمون كان أعلى الناس مكانه ولما انقطع الحسن بن سهل عن منزله هجاه بعض الشعراء بقوله (وافر)

تولت دولة الحسن بن سهل ... ولم أنل لها بنى من نداها
فلا تجزع على مافات منها ... وابكى الله سنى من بكاها

ومات الحسن بن سهل في سنة ست وثلاثين ومائتين في أيام المتوكل

• وزارة أحمد بن أبي خالد الأحول للمأمون •

هو من الموالي . كان أحمد جليل القدر من عقلاء الرجال . وكان كاتباً شديداً فصيحاً لبيباً بصيراً بالأمور . قال له المأمون ابن الحسن بن سهل قد لزم منزله واني أريد أن استوزرك فتنصل أحمد من الوزارة وقال يا أمير المؤمنين أعفني من التسمي بالوزارة وطالبني بالواجب فيها واجعل بيني وبين العامة منزلة يرجوني لها صديقي ويخافني لها عدوي فما بعد الغايات إلا الآفات فاستحسن المأمون جوابه وقال لا بد من ذلك واستوزره

كان المأمون لما ولى طاهر بن الحسين خراسان شاور فيه أحمد بن أبي خالد فصوب أحمد الرأي في تولية طاهر . فقال المأمون لأحمد إني أخاف أن يغدر ويخلع ويفارق الطاعة . فقال أحمد الدرك في ذلك علي يا مولاي المأمون . فلما كان بعد مدة أنكر المأمون عليه أموراً . وكتب إليه كتاباً يهدده فيه . فكتب طاهر جواباً أغلظ فيه للمأمون . ثم قطع اسمه من الخطبة على منبر فبلغ ذلك المأمون . فقال لأحمد بن أبي خالد أنت الذي أشرت بتولية طاهر وضمنت ما صدر منه وقد ترى ما صدر فيه من قطع خطبته وفراقه الطاعة فوالله لئن لم تلطف لهذا الأمر وتصلحه كما أفسدته والا ضربت عنقك . فقال أحمد يا أمير المؤمنين طب نفساً فبعد أيام يأتيك البريد بهلاكه . ثم ان أحمد بن أبي خالد أهدى لطاهر هدايا فيها كوامخ مسمومة . وكان طاهر يحب الكامخ فأكل منها فمات من ساعته . وقيل ان أحمد بن خالد لما ولى طاهر خراسان حسب هذا حسابه فوهبه خادماً وناوله سماً . وقال له ان قطع خطبة المأمون فاجعل له هذا السم في شيء مما يحب من المآكل . فلما قطع طاهر خطبة المأمون جعل الخادم له السم في كامخ فأكل منه فمات في ساعته

فووصل الخبر على البريد بموته الى المأمون بعد أيام فكان ذلك مما عظم به امر احمد بن ابى خالد . ومات احمد حتف انفه سنه عشره ومائتين

* وزاره احمد بن يوسف بن الصبيح للمأمون *

كان من الموالى . وكان كاتباً فاضلا اديباً شاعراً فطناً بصيراً بأدوات الملك وآداب السلاطين قالوا لما مات احمد بن ابى خالد استشار المأمون الحسن ابن سهل فيمن يوليه الوزاره فاشار عليه بأحمد بن يوسف وأبى عباد بن يحيى وقال هما أعرف الناس بطبع أمير المؤمنين . فقال له اختر لى احدهما فاختار له احمد بن يوسف ففوّض المأمون اليه وزارته * استشار المأمون احمد بن يوسف فى رجل فوصفه احمد بن يوسف وذكر محاسنه فقال له المأمون يا احمد لقد مدحته على سوء رأيك فيه ومعاداته لك فقال احمد لانى لك كما قال الشاعر (وافر)

كفى شكراً بما أسديت أنى	صدقتك فى الصديق وفى عدائى
وانى حين تندبنى لامر	تكون هواك أغلب من هوائى

وله أشعار حسنه منها (كامل)

قلبى يحبك يا منى	قلبى ويبغض من يحبك
لاكون فرداً فى هوا	ك فليت شعرى كيف قلبك

وأهدى يوم نوروز الى المأمون هديه قيمتها الف الف درهم وكتب معها (طويل)

على العبد حق فهو لابد فاعله	وان عظم المولى وجلت فواضله
ألم ترنا نهدى الى الله ماله	وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

فقال المأمون عاقل أهدى حسناً * وكان سبب موته أنه دخل يوماً الى

المأمون والمأمون سحر فأخرج المأمون لحرمه من تحته وقال احملوها تحت أحمد تكرمة له فعمل أعداؤه الى المأمون أنه قال ما هذا النحال بالمحور . هلاّ أمر لى بحور من أهب . فاغتاظ المأمون لذلك . وقال سبنى لى النحل وقد علم أن نفعى فى كل يوم سبعة آلاف دينار . وأما أن دب إكرامه ما كان تحت أبى ثم دخل عليه وهو سحر مرة أخرى فقال المأمون احملوا تحته فى محرمة قطع عنبر وصبوا عليه شيأ عمم النجار أن يخرج . ففعلوا ذلك به فصبر عليه حتى عليه الامر فصاح الموت الموت فكسعوا منه وقد عشى عليه فانصرف الى منزله فمكث فيه شهوراً عليلا من ضعف فى النفس حتى مات بهذه العلة ووقيل مات كمداً لنادرة بدرت منه فاطرحه المأمون لاجلها

* وزارة أبى عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازى للمأمون *

كان أبو عباد كاتباً حادقاً بالحساب سريع الحركات أهوج محمقاً . قالوا كان المأمون يستند اذا رآه مقبلا يقول دعبل فيه (كامل)

وكأنه من دير هرقل مفلت حرب يجر سلاسل الاقياد

فقيل للمأمون ان دعبلا الشاعر هجاك . فقال من أقدم على هجاء أبى عباد كيف لا يهجونى . ومعنى هذا الكلام من أقدم على هجاء أبى عباد مع هوجه وجنونه وحدته كيف لا يقدم على هجائى مع حلمى ومحبتى للصفح

وكان أبو عباد شديد الحدة سريع الغضب ربما غاظ من بعض من يكون بين يديه فرماه بدواته أو شتمه فأفحش . فدخل اليه العالىّ الشاعر وأنشده (كامل)

لما أتينا بالوزير وكاننا مستعصمين بجوده أعطانا

ثبت رحا ملك الامام بثابت وأفاض فينا العدل والاحسانا

يغرى له يود صلاته و باحه   ولناكتيس . مدآ وسنانا
من بعد ترك للناس عيشاً ممرعاً   متحرماً في جوده مغبونا

فلما حصل في قوله في جوده توقف وتعتع عليه وصار يكرر في جوده في جوده مرات حتى ضجر ثم اذ علت عليه سود فقال يا شيخ قل قرباناً أو ضعفانا وخلصنا فضحك جميع من كان بالمجلس وذهب غيظه هو أيضاً فضحك مع الناس وتمم الغالي قافيته بقوله مغبونا ثم صلته

وتوفي أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد وزير المأمون وهو آخر وزرائه وهو من خراسان كان مجوسياً ثم أسلم واتصل بالخلفاء فسموه أول من سمي به وكان قد مات أبوه وهو صغير فأسلمته أمه في بعض كتاب العجم فكان يزداد يجود ويقرأ كتبه من أدب الفرس ثم وجب على فلانه بعده بن ره خط صاحب ديوان بنوه فطه وخلف جميع كتاب مه من جعفر وكان سوى حد محمد خا فاحتاج صاحب الديوان الى خط حسنه فلم يكن عنده الا كاتب مولى هو عملا قسمه وسمع فلما كتب مصحفاً ثم لبسه بالناس وجاءت مثاله بقرى سويد فسمع حسنه فقال له خطك أحسن منه ثم قال صاحب الديوان فصحح سويد حسنه فما هو بعد أن نسخه حسنه خط مليح وخط صحيح وشبه صاحب الديوان قبل فيه حسنه فدفعها اليه فوجدها مقروءاً منها على ثم قاعده وحسن وجه فقال يا صبي من عمل هذه الحسنة قال أنا قال فحسن الكتابة قال نعم فأمر به وسلمه الى كاتب منهاج انه فصول أعماله وما يجب أن يحفظ به فعرفه وسهل بن الخطاب حتى حصل أمور لا حاجة وارتفع قدره أدباً ومجداً وعلماً بكل شيء فاستوزره المأمون وفوض اليه جميع الأمور

وكان محمد شاعراً فصيحاً فى سعره (وفر)

لقد قبت عطلها فوت | وحاب فى الهوى من لا يحور
وزعم أنى أهوى سواها | فكيف وما يحطها العيون
أنا من حبها فى القلب مى | مكان الروح مستتر كمن
وما من يدعى انى خؤن | وهد فى هواها لا يكون
حدى عهدى على عنى وطرفى | وحسبك صامتاً انى أمين

ومات المأمون وهو ورزه ، انعصب أنام المأمون ووزرائه

** ثم ملك بعده أخوه المعتصم أبو اسحاق محمد **

بويع يوم وفاة المأمون وقد تقدم ذكر السنة ، كان المعتصم سديد الرأى شديد المنة يحمل الف رطل ويمشى بها خطوات .وكان موصوفا بالشجاعة وسمى المثمن من أحد ست وجاً . هوالثامن من ولد العباس .. الثامن من الخلفاء . وولى الخلافة وعمره ثمانى سنة وكانت خلافته ثمانى سنين .وعاش ثمانية أشهر . . توفى وله ثمان وارثعون سنة .وولد ثمانية اولاد وهو الشهر الثامن .وخلف ثمانية ذكور .وثمانى بنات . وعشر ثمانى حروب . وخلف ثمانية الف الف درهم كانت أيام المعتصم أيام فتوح وحروب هو الذى فتح عمورية

* شرح الحال فى ذلك *

كان السبب فى غزو المعتصم عمورية أن ملك الروم خرج الى بلاد المسلمين فنهب حصناً من حصونهم قال له زبطره وقتل من به من الرجال وسبى الذرية والنساء . فقال إنه كان فى جملة السبى امرأة هاشمية فسمعت وهى تقول وامعتصماه . فبلغ المعتصم مافعله ملك الروم بالمسلمين فاستعظمه

وكر عله وىلمه ماىالب الهاشمه وهال وهوى محلسه لىك لىك وىهص من ساعىه وصاح ى قصره الرحىل الرحىل ىم ركب داىه وسمط حلفه شكالا وسكة حدىد وحمسه وىها زاده ىم ىرز وأمر العسا كر ىالىعىر ونحهر تحهراً لم ىحهر ىمثله حلىفه . فلما احىمعت عسا كره وىرع من ىحهىره وعرم على المسىر أحصر القصاه والشهود فأشهدهم انه قد وقف املا كه وأمواله على ثلاثه أثلاث . ثلث لله ىعالى . وثلث لولده وأقارىه . وثلث لمواليه ثم سار فظفر ىىعص اهل الروم فسأله عن احصن مدىهم وأعظمها وأعزها عندهم فقال له الرومى إن عموريه هى عىن ىلادهم فوحه المعتصم اليها وجمع عسا كره عليها وحاصرها ثم فىحها ودخل اليها وقىل فيها وفى ىلادهم وسىى وأسر وىالع فى دلك حىى هدم عموريه وعفى آثارها وأخذ ىاباً من أىوابها وهو ىاب حدىد عظيم الحجم فاحضره الى ىغداد وهو الآن على أحد أىواب دار الخلافه ىسمى ىاب العامه * وكان قد صحىه ابو ىمام الطائى فمدحه ىقصىده الىائىه الى أولها

(ىسىط)

السىف اصدق اىىاء من الكىب ... فى حده الحد ىىن الحد واللعب

وفيها ىقول للمعتصم

خلىفه الله حازى الله سعىك عن ... حرثومه الدىن والاسلام والحسب

ىصرت ىالراحه الكبرى فلم ىرها ... ىىال الا على جسر من التعب

ومن حملىها ماىشىر ىه الى مىالغه المعتصم فى قىالهم واستئصاله اىاهم

لم ىطلع الشمس منهم ىوم ذاك على ... ىان ىأهل ولم ىغرب على عزب

ومن حملىها مادل على شده ما كان عنده من الحقد عليهم وهو قوله

ما رىع مىه معموراً ىطىف ىه ... غىلان أىهى رىى من رىعك الخرب

ولا الخدود وان ادمس من حجل   أشهى الى ناطرى من حدك الترب
وكانت وقعة عمورية فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين * والمعتصم هو الذى بنى سر من رأى

* شرح السبب فى بناء سامرا وكيفية الحال فى ذلك *

كانت بغداد دار الملك وبها سرير الخلافة من بعد المنصور إلا أن هارون الرشيد أحب الرقة والشأم فأقام بها ومع ذلك فكانت الرقة له كالمنزه وقصوره وحرائمه ونساؤه وأولاده ببغداد بقصر الخلد ومن ولى بعده من الخلفاء كان سرير ملكهم ببغداد

فلما كانت أيام المعتصم خاف من بها من العسكر ولم يثق بهم فقال اطلبوا الى موضعاً أخرج اليه وأبنى فيه مدينة وأعسكر به فان رابنى من عساكر بغداد حادث كنت بنجوة وكنت قادراً على أن آتيهم فى البر وفى الماء فوقع اختياره على سامرّا فبناها وخرج اليها

وقيل إن المعتصم استكثر من المماليك فضاقت بهم بغداد وأذى بهم الناس وزاحموهم فى دورهم وتعرضوا بالنساء فكان فى كل يوم ربما قتل منهم جماعة . فركب المعتصم يوماً فلقيه رجل شيخ فقال للمعتصم يا أبا اسحاق فأراد الجند ضربه فمنعهم المعتصم وقال له مالك يا شيخ فقال لا جزاك الله خيراً عن الجوار جاورتنا مدة فرأيناك شر جار جئتنا بهؤلاء العلوج من مماليك الأتراك فأسكنتهم بيننا فأيتمت بهم صبياننا وأرملت نساءنا والله لنقاتلنك بسهام السحر يعنى الدعاء . والمعتصم يسمع ذلك فدخل منزله ولم ير راكباً إلا فى يوم مثل ذلك اليوم فركب وصلى بالناس العيد وسار الى موضع سامرّا فبناها وكان ذلك فى سنة احدى وعشرين ومائتين

ولما مرض المعتصم مرضه الى مات فيها نزل فى سفينة ومعه زنام الزامر وكان أوحد وقته فحمل يحار على قصوره وساتينه نشاطئ دجلة ويقول لزنام ازمر (سريع)

يا منزلا لم تبل أطلاله حاشى لأطلالك أن تبلى
لم أبك أطلالك لكننى بكيت عيشى فيك إذ ولى
والعيش أحلى ما بكاه الفتى لا بد للمحزون أن يبلى

ولما احتضر جعل يقول ذهبت الحيل ليست حيلة ثم مات وذلك فى سنة سبع وعشرين ومائتين

شرح حال الوزارة فى أيامه

أول وزرائه كاتبه قبل الخلافة الفضل بن مروان . كان من البردان وكان عامياً لا علم عنده ولا معرفة وكان ردىء السيرة جهولا بالأمور وفيه يقول بعض شعراء عصره (طويل)

تفرعنت يا فضل بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم أبادهم التقييد والأسر والقتل

الثلاثة هم الفضل بن يحيى بن خالد والفضل بن سهل والفضل بن الربيع . وكان الفضل بن مروان قد تمكن من المعتصم وحسده الناس على مرتبته عنده ثم نكبه وأخذ جميع أمواله وعفا عن نفسه فبقى مدة يتنقل فى الخدمات حتى مات فى أيام المستعين

وزارة أحمد بن عمار بن شادى للمعتصم

ثم وزر له أحمد بن عمار . كان رجلا موسراً من أهل المذار فانتقل الى البصرة واشترى بها أملاكا وكثر ماله . وكان طحانا ثم أصعد الى بغداد واتسع

ىها حاله فقالو كان يخرج فى الصدقه كل يوم مائه د ار وكاں الفصل ں
مرو ں قد وصفه بالأمانه عند المعتصم فلما نكب الفصل ـ تبع نظر المعتصم
على عمر أحمد ں عمار فاسـووزره ٠كان جاهلا بآدب بور ره وفيه يقول
بعض سعر ء عصره (نعم)

سبحان ربى لخالق لبارى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ صـ ب ورو ىا ں عمار
٠كتب صحاناً على بعله ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ عـىر دكان ولا در
كمرب بالمقدر ىں م ىكں ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ مد حرب ى د كل مقد ر

فمكث مده ى و ره المعتصم حى ورد كتاب من بعض العمال ىا كر
فيه خصب الناحيه ٠كه ه الكلاء فسال المعتصم حمد ں عمار س الكلاء
فلم ىا ر ما يقول فدعا محمد ں عبد الملك ىاب وكان أحد خوصه و ساعه
فسأله عن الكلاء فقال أول لىاب سمى نقلا فاذ طاب قلىلا و و لكلا
فاد ىىس وجف فهو حشىس فقال لمعتصم لأحمد ں عمار نظر ىب ى
لدوو ں وهد نعرض على لكتب ىه سور ه وه ف ں عما ص فاحة

٭ ور ره محمد ں عبد الملك ب للمعتصم ٭

كان أبوه ىاجر ى ىام للمامون موسـ ولسا محمد ىمادب ىمر ٠ه ٠
وكان د كياً فىه ع ى كل سيء حى ص ر ىاد ه ٠فىه ىا ٠دكا ٢ ابه
وسعر و د ا ٠ح ه بآدب لرياسه وهو ىد ما لـحى كاب ا ٠
فاسـ و ره على ما عند حه مرص اء و ه ٠صا ٠كں ں عند ه
من صر ىه وكان جبار متكبر فعا امص الا اب حسن حاب ٠ ىعصا ں
لخلق ومات المعتصم وهو وزيره وكان لمعه فد مر لا ٠ه لو ى ىاب
وأحاله ىه على ں لـ ىاب فىمه و سار على المعتصم ىب لا ىعصه سياً فمل

المعتصم قوله ورجع فيما كان أمر به للواثق من ذلك فكتب بخطه كتاباً وحلف فيه بالحج والعتق والصدقة أنه إن ولي الخلافة ليقتلن ابن الزيات شر قتله

فلما مات المعتصم وجلس الواثق على سرير الخلافة ذكر حديث ابن الزيات فأراد أن يعاجله فخاف أن لا يجد مثله . فقال للحاجب أدخل اليّ عشرة من الكتاب فلما دخلوا عليه اختبرهم فما كان فيهم من أرضاه . فقال للحاجب أدخل من الملك محتاج اليه محمد بن الزيات فأدخله فوقف بين يديه خائفاً فقال لخادم أحضر اليّ المكتوب الفلاني فأحضر له الكتاب الذي كان كتبه وحلف فيه ليقتلنّ ابن الزيات فدفعه الى ابن الزيات وقال اقرأه . فلما قرأه قال يا أمير المؤمنين انا عبد ان عاقبته فأنت حاكم فيه وان كفرت عن يمينك واستبقيته كان أشبه بك فقال الواثق والله ما أبقيتك الا خوفاً من خلو الدولة من مثلك وسأكفر عن يميني فاني أجد عن المال عوضاً ولا أجد عن مثلك عوضاً . ثم كفر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض الأمور اليه

.وكان ابن الزيات شاعراً مجيداً فمن شعره رثى المعتصم ويمدح الواثق

(منسرح)

قد قلت اذ غيبوك واصطفقت   عليك أيد بالماء والطين
اذهب فنعم المعين أنت على   الدنيا ونعم المعين للدين
لا يجبر الله أمة فقدت   مثلك الا بمثل هارون

ثم ان محمد بن عبد الملك الزيات مكث في وزارة الواثق مدة خلافته لم يستوزر غيره حتى مات الواثق وولي أخوه المتوكل فقبض عليه وقتله قيل ان ابن الزيات عمل تنوراً من حديد ومساميره الى داخل ليعذب

به من يريد عدابه فكان هو أول من حعل فيه ، ومل له دوما كسب بدنى الناس * انقضت أيام المعتصم ووزرائه

* ثم ملك بعده ابنه هارون الواثق بويع سنه سبع وعشرين ومائتين *

كان الواثق من أفاضل خلفائهم . وكان فاضلا لبيباً فطناً فصيحاً شاعراً وكان شبيهه بالمأمون فى حركاته وسكناته . ولما ولى الخلافه أحسن الى بنى عمه الطالبيين وبرهم . ولم يقع فى أيامه من الفتوح الكبار والحوادث المشهوره ما يؤثر . ومات الواثق فى سنه ثلاث وثلاثين ومائتين

* شرح حال وزرائه فى أيامه *

لم يستوزر الواثق سوى محمد بن عبد الملك الزيات وزيرأبيه . وقد سبق طرف من حاله ومات الواثق وهو وزيره ، انقضت أيام الواثق

* ثم ملك بعده أخوه جعفر المتوكل *

كان المتوكل شديد الانحراف عن آل علىّ عليه السلام . وفعل من حرث قبر الحسين عليه السلام ما فعل . وأبى الله الا أن يتم نوره . وقال من يعتذر له إنه كان كأخيه وكالمأمون فى الميل الى بنى علىّ عليه السلام وانما كان حوله جماعه منحرفون عن أهل البيت عليهم السلام فكانوا دائماً يحملونه على الوقيعه فيهم * والاول أصح ولا ريب أنه كان شديد الانحراف عن هذه الطائفة ولذلك قتله ابنه غيره وحميه

* شرح قتله على سبيل الاختصار *

كانت بينه وبين ابنه المنتصر منافسه وكان كل منهما يكره الآخر ويؤذيه فاتفق المنتصر مع جماعه من الامراء على قتله وقتل الفتح بن خاقان . وكان أكثر أمرائه وأفاضلهم قد هجموا عليه وهو سكران فخبطوه بالسيوف فقتلوه

وقتلوا الفتح معه. وأشاعوا أن الفتح قتله فقتلناه به. وجلس ابنه على السرير بعده. وذلك في سنة سبع وأربعين ومأتين

* شرح حال الوزارة في أيامه *

لما بويع بالخلافة اسوزر محمد بن عبد الملك الزيات أياماً ثم نكبه وقبض عليه وقتله كما تقدم شرحه * ثم استكتب رجلا من كتابه يقال له أبو الوزير من غير أن يسميه بالوزارة فكتب له مدة يسيرة ثم نكبه وأخذ منه مأتي الف دينار واستوزر الجرجرائي

* وزارة أبي جعفر محمد بن الفضل الجرجرائي للمتوكل *

كان شيخاً ظريفاً حسن الأدب عالماً بالغناء مشهوراً به خف على قلب المتوكل فاستوزره مدة يسيرة ثم كثرت السعايات به فعزله المتوكل وقال قد ضجرت من المشايخ أريد حدثاً استوزره فأشير عليه بعبيد الله بن يحيى بن خاقان

* وزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان *

كان جيد الحس جيد الخط وله معرفة بالحساب والاستيفاء الا أنه كان مخلطاً. وكان محدوداً فكانت سعادته تغطي عيوبه. وكان كريماً حسن الأخلاق. وكان كرمه أيضاً يستر كثيراً من عيوبه. وكان فيه تعفف به قيل ان صاحب مصر حمل اليه مأتي الف دينار وثلاثين سفطا من الثياب المصرية. فلما أحضرت بين يديه قال لوكيل صاحب مصر لا والله لا أقبلها ولا أثقل عليه بذلك. ثم فتح الاسفاط وأخذ منها منديلا لطيفاً وضعه تحت خده وأمر بالمال فحمل الى خزانة الديوان وصحح بها وأخذ به روزاً لصاحب مصر

وكانت سيرة عبيد الله هذه والجد يخدمه. فلما جرت القصة عند قتل المتوكل خاف عبيد الله فاجتمع الجند على بابه وقالوا له أنت أحسنت الينا في

حال ور رلك و فل ا تحب لك علينا ب تحفظ لك وتحرسك في مال هذه لفسه ولا رمو بانه وحفظوه • ان لموكل هو و ره مصب م لموكل وورثه

* ثم ملك بعده ابنه محمد المنصور بويع بن صحه لله لى سال نوه ا

كان المنصور ... فاتكا سفاكا للدم لما ولي ياه تحدث الناس أنه لا يطول له الامر ... بالملك بعده * فاول لما ولي المنصور باه وبويع به بالخلافة جلس على بساط ... الناس ... بعد ... انه تحسه ناعار به وصر لها المنصور وسحبها وقال لى ... ها فاحجمو وقالوا لا نعرف فاستحضر رجلا تحيا ... فاحجم ... فقال له المنصور قل وما عليك ... فلبس الذي ... على هذ البساط مكتوب ما سرونه ... بالملك بعده ... المنصور من ذلك ونهض من مجلسه مغضبا فلم ... وملك في سنه ... وما ...

* ... حال ... في ايامه *

لما بويع بالخلافة ... جعفر ... حصب

* ورره جعفر بن حصب المنصور *

كان جعفر ... في صناعته مطبوعا عليه بعقله • كانت فيه مروءة ... وصبر في ... له رجال من ... ح عليه حتى صاحبه وصعط رجله بالركاب فاخذ جعفر • خرج ... من الكاب ... بان صدره فقال فيه بعض السعر

(كامل)

قل للخليفة يا ابن عم محمد اشكل وزيرك انه ركال
قد نال من أعراضنا بلسانه ولرجله عند الصدور مجال

ومات المنتصر واحمد بن الخصيب وزيره ، انقضت أيام المنتصر

* ثم ملك بعده المستعين هو احمد بن محمد بن المعتصم *

لما مات المنتصر اجتمع الامراء واكابر المماليك وقالوا متى وليتا أحداً من ولد المتوكل طالبنا بدمه وأهلكنا فأجمعوا على مبايعة المستعين وقالوا هو ابن بن مولانا المعتصم فاذا بايعناه لم يخرج الخلافة من ولد المعتصم فبايعوه في سنة ثمان وأربعين ومائتين وكانت تلك أيام فتن وحروب وخروج خوارج فمن خرج فيها فتيل شاهي ابو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام

* شرح الحال في ذلك *

كان يحيى بن عمر قتيل شاهي قدم من خراسان في أيام المتوكل وهو في ضائقة وعليه دين فكلم بعض أكابر أصحاب المتوكل في ذلك فأغلظ له وحبسه بسامرا. ثم كفله أهله فأطلق وانحدر الى بغداد فأقام بها مدة على حال عسر مرضية من الفقر .وكان رضي الله عنه دينا خيرا عمالا حسن السيرة فرجع الى سامرا مرة ثانية وكلم بعض أمراء المتوكل في حاله فأغلظ له وقال لاي حال نعطي مثلك فرجع الى بغداد وانحدر منها الى الكوفة ودعا الناس الى الرضى من آل محمد فتبعه ناس من أهل الكوفة من ذوي البصائر في التشيع وناس من الاعراب ووثب في الكوفة وأخذ ما في بيت المال ففرقه على أصحابه وأخرج من في السجون وطرد عن الكوفة عاملها وكثرت جموعه

فارسل اليه "مبر يعد د وهو محمد بن عبد الله بن طاهر عسكراً فالتقو بساهي وهي قرية قريبة من الكوفة فكان الغلبة عسكر بن طاهر . يكسف العار ويحيى بن عمر فسل لحمل رأسه الى محمد بن عبد الله بن طاهر بعد د فجلس محمد بن عبد الله بن طاهر للهناء بذلك فدخل عليه الناس فو حا يهنئونه وفي جملتهم رجل من ولد جعفر بن ابي طالب عليهم السلام فقال له ايها الامير انك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياً لعزي به فأطرق محمد بن عبد الله ساعة ثم نهض وصرف الناس وقال السعراء فيمن رثاه بن الرومي بقصيدته التي أولها (طويل)

امامك فانظر اي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم وعوج

منها

سلام وريحان وروح ورحمة عليك وممدود من الظل سجسج
ولا برح القاع الذي انت جاره يرف عليه الاقحوان المفلج

وهي قصيدة ساغرة ساوت [illegible] اها بحرها وكانت وقعة ساهي في سنة خمسين ومائتين وخرج [illegible] الصا [illegible] فكانت الغلبة في جميع تلك الحروب له

ن المستعين كان مستضعفاً في رأيه وعقله [illegible] وكانت [illegible] كـ [illegible] الفتن ودولته [illegible] لاضطراب وكثر فيه [illegible] خصال لم وده لا أنه كان كريماً وهوبا وخلع في سنة [illegible] وخمسين و ستين ثم قتل بعد ذلك

[illegible] حال وزرائه في ايامه

لما ولي المستعين فوض الى محمد بن الخصيب على وزيره [illegible]

بعده أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد

* وزارة أبي صالح محمد بن يزداد

كان عنده أدب وفضل وكانت توقيعاته وتجويزاته من حسن التوقيعات ولا نحوه

ومن توقيعاته في رجل ليس عليك بأس ما لم يكن منك بأس

قالوا ولما تولى أبو صالح بن يزداد الوزارة للمستعين ضبط ضبط الأموال فصعب ذلك على أمراء الدولة وكان قد ضيق عليهم فتهددوه بالقتل فهرب ثم حلف لأخوته . ستكتب المستعين بالوزارة محمد بن الفضل الجرجرائي وشجاع بن القاسم لكن ... لم يتم أحد منهما بالوزارة ... طال ذلك لأنها وكانت ذات فتن وحروب وخلاف كثيرة ... فقصب بالمستعين ووزرته

* ثم ملك بعده المعتز بالله هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل *

بويع بالخلافة سنة ست وخمسين ومائتين عند خلع المستعين وكان المعتز ... أن يستحسن حسن الصورة ... وعقله بأس لا أن الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في ... كالأسير إن شاؤوا أبقوه وإن شاؤوا خلعوه وإن شاؤوا قتلوه

لما جلس المعتز على سرير الخلافة قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم انظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته قالوا له فكم تقول إنه يعيش وكم يملك قال مهما أراد الأتراك فلم يبق في المجلس إلا من ضحك

وفي أيام المعتز ظهر يعقوب بن الليث الصفار واستولى على فارس وجمع

جوعا كثيره ولم تقدر المعبر على معاومه م ں الا ر ك ثاروا بالمعبر وطلبو
منه مالا فاعتذر اليهم وقال ليس في الخزائن شئ فاتهمو على خلعه وقتله
فحضروا الى بابه وأرسلو اليه وقالو له اخرج الينا فاعتذر بأنه شرب دواء
فهجموا عليه وضربوه بالدبابيس وجرحوا قميصه وأقاموه في الشمس فكان
يرفع رجلا ويضع أخرى لشده الحر وكان يعصم لطمه وهو يبكي سده ثم
حملوه في بيت وسدو بابه حتى مات بعد ان أشهدوا عليه انه خلع نفسه وذلك
في سنه خمس وخمسين ومائتين

• شرح حال الوزراء في أيامه

أول وزرائه ابو الفضل جعفر بن محمود الاسكافي

• وزاره الاسكافي للمعتز

لم يكن له علم ولا أدب ولكنه كان سهل الملوق بالمواهب والعطايا
وكان المعتز يكرهه وكانوا ينسبونه الى التشيع ومال اليه بعض الاتراك وكرهه
البعض الآخر وتارت بسببه فتنه فعزله المعتز

• وزاره ابي موسى عيسى بن فرخان شاه للمعتز •

كان كريماً فطرعنه انه كان قبل الوزاره ولي بعض البلاد وبن فعزل عنه
وله به مستحقات مبلغها ألف دينار فلطف بالذي يولى بعده حتى كتب له وحاله
بذلك على بعض النواب فلما حصل المال كتب ذلك النائب الى عيسى بن
فرخان شاه يعلمه أن المال قد حصل ويستأذنه في حمله اليه وكان صديقاً له
وكتب اليه ان فلانا الشاعر لازمني مده وما حصل له مني شيء فادفع
هذا المال اليه فدفع المال الى الشاعر فأخذه وانصرف وخرب سنته أيضاً
فتنة من الاتراك فعزله المعتز

* وزارة ابي جعفر احمد بن اسرائيل الانباري للمعتز *

كان أحد الكتاب الحذاق الاذكياء. قالوا كان يحفظ وجوه المال جميعها دخلا وخرجا على ذهنه وقالوا انه ضاعت مرة جريدة من الديوان فأوردها من خاطره فلما وجدت الجريدة كانت كما قال من غير زيادة ولا نقصه. ثم ان الاتراك وثبوا على احمد بن اسرائيل فأخذوه وضربوه واستصفوا أمواله وشفع فيه المعتز وأمه الى مقدم الاتراك وهو صالح بن وصيف فلم يلتفت اليهما وحبسه وضربه بعد ذلك في أيام المهدي حتى مات

ولما فعل صالح بن وصيف بأحمد بن اسرائيل ما فعل استحضر جعفر ابن محمود الاسكافي واستوزره للمعتز بالله وقد سبق ذكره ولما تولى الوزارة في المرة الثانية قال بعض الشعراء (منسرح)

باعس لا تولى بسعد وعلي الفلك بالمواعد
وسطري قد رأيت ما ساقه الله ابي جعفر بن محمود
اعصب أيام المعتز ووزرائه

* ثم ملك بعده المهتدي بالله هو أبو عبد الله محمد بن الواثق *

كان المهتدي من أحسن الخلفاء مذهباً وأجملهم طريقة وسيرة وأظهرهم ورعا وأكثرهم عبادة. كان يشبه بعمر بن عبد العزيز ويقول اني أستحي أن يكون في بني أمية مثله ولا يكون مثله في بني العباس. وكان يجلس للمظالم فيحكم حكما يرتضيه الناس. وكان يقلل في مأكوله وملبوسه

حدث بعض الهاشميين قال كنت عند المهتدي في بعض ليالي رمضان فقمت لأنصرف فأمرني بالجلوس فجلست حتى صلى المهتدي بنا المغرب. ثم أمر باحضار الطعام فأحضر طبق خلاف وعليه رغفان وفي إناء ملح وفي إناء

حل فأكل وأكلت أكلا معصراً طناً ى انه حصر طعام أحود من دلك
فلما رأى أكلى كدلك قال أما كنت صائماً فلت لى قال أفلست تريد الصوم
غداً قلت وكيف لا وهو شهر رمضان فقال كل وسوف عساك فلس
هاهنا غير ما ترى فعجبت وقلت له دلك ىاأمير المؤمنين وقد أسبغ الله عليك
نعمه ووسع رزقه فقال ان الامر كما تقول والحمد لله ولكنى كرهت أن تكون
فى بنى أمية مثل عمر بن العزيز وأن لا تكون فى بنى العباس مثله

وكان المهدى قد طرح الملاهى وحرم الغناء والنبيذ ومنع أصحابه
من الظلم والعدى

فى أيام المهدى خرج صاحب الزنج وستورد خبره فى أيام المعتمد
ان شاء الله تعالى

كان المهدى قتل بعض الموالى وبعث عليه الاتراك وهاجوا وأخذوه
أسيراً وعذبوه ليخلع نفسه فلم يفعل فخلعوه ثم ومات. ودلك فى سنة ست
وخمسين ومائتين

شرح حال الوزارة فى أيامه

لما بويع بالخلافة أمر جعفر بن محمود الاسكافى على وزارته ثم عزله
واستوزر سليمان بن وهب

وزارة سليمان بن وهب بن سعيد للمهدى

هو من قرية من أعمال واسط وكانت لهم ديانة وكانوا نصارى ثم أسلموا
وخدموا فى الدواوين حتى آلت بهم الحال الى ما آلت

كان أبو أيوب سليمان بن وهب أحد كتاب الدنيا ورؤسائها فضلا وأدبا
وكتابة فى الدرج والدستور وأحد عقلاء العالم ودوى الرأى منهم

حدث سه عبد لله قال حدثي ي قال كان منذ سعادي ي كتب
. ناصي س ندي محمد س يزداد و ير المأمون وكنا جماعه من الصبيان س
يديه د رح في الليل لى د ره باب و حـد سا في د ر المأمون بالنوبه لهم
عساه نعرص في الليل قال فكان لله نوبي فخرج خادم وقال هاهنا حد من
بو ب محمد س يزداد فقال حجاب له نعم ها هو د فادخلني لى المأمون فقال
ي عمل سحه في المعنى الفلاني ووسع س سطورها و صه ها لأصلح منها
بد صلاحه قال فخرجت سه بعا وكتب الكتاب نه سحه وسحسه
خص به لبه فلما ي قال كتبت النسخه ملت بل كتبت لكتاب
فقال بص به قلت نعم ر دني بعره ي كالمتعجب مني فلما قر ه سب
لاستحسان على وحه و عرر ه ي قال ا حس ما كتبت ناصي
. كن رند ب ندمه هد النصر وتوحر ه بد لسعر وحط ط بها نعلمه
فاحدت الكتاب وحرجت وحلست باحيه ثم محوت السطرين وعملت
ا رد وحه بالكتاب وكان قد ص ي طله و كتب عنه د فلما قر ه .
عرف موصع لمحو فاستحسنه وقال ناصي لا دري . ي سي . عجب
من حوده محوك م من سه عه فهمك . من حسن حطك . من سه عتك
بارك لله فيك فصلب يده وحرجت وكان ذلك و ل علو مبرلي وصار
المأمون لا يجري معي إلا قال هاتو سلمان بن وهب ولما حرت له هذه
القصه كتب اليه بعض الشعر (بسيط)

بوك كلمك السأو النصد كما فد ا كلمه وهب نوحسن
فلست محمد ب ذ ك عاسه ولست نقدرمسوها فلاسن

قاه كان سلمان بن وهب سعسق بر هيم بن مموب فكان بر هيم بن

ممون سعسق معمه سسه ا حلاس فاحمعو كله على ب فسكر
ر هم فأ كب سلمان ں وهب ىلمه و ه سده و حلاص عر الله فلما صح
ر هم عرفه حلاص و ممل به سلمان و قاب له ع ىصوفلى اسو ب
صع لك مىل هد فاىصع هم ں لمىں و صب ىلىه وكىب سلمان
ں وهب الله (محب)

ملى الىدں اس ر ں عىسه ه حلاص
ىں ىمك سه فاىه ى حلاص
هحرى ى ه سى ه و عاص
و دلك ىاسا لهم علك حه ص
و ساعد ه وساه سى دىا حرص
و لك فامس مىى ں حروح مصاص

حدب حمد ں لمدر قال كاں حس و ى أىا وسالمان ں وهب
و حمد ں سه ں معا ں ىالامه ں معى ىا سلمان ں وهب ىوما فد ب
ں لماء كاں فالا ىعو ى و ب و ى عد سرفاسعاب حمد ں ل
وقال له و الله لا ىر ں حى سعك ى ؤىا وحاف سد حوف ں سع هد
حدب عا قال ں لمد معددب و ں داب ىوم لاں ىوما فلما كاں ىوم
لاں قال ى أحمد ں سه ىال ں مصد و امول وصحه الماء وكاں فد
حص البارح وحسب و حں لا ىعلم فقال له سلمان ں وهب ل ؤىا صدق
وكدب فلما كاں العساء لآحره صرق الباب علىىا صرفا شدىدا وىاىح
صىح السباره السا ه مات و ىو فاحرحو ں سىه فصحك حمد ں
ں وقال فوموا فقد ىحمص ل ؤىا وحاء الفرح مماں لمان ں وهب

كيف يقدر أن يمشي مساه ومارلنا بعيده ولكن سعب فحصر دواب ركبها ما ماط أحمد بن اسرائيل ومويت السوداءعليه . وكان شكس الاخلاق وقال له وبحك يا سليمان ستطير مجئ ويرسلك حتى يتولى حلقه آخر فقال له في الحبس جماعة من الكتاب فمعول سيركون على حالهم حتى يطرق أمورهم فلبث في الحبوس زياده على هذا ويكون سبب ذلك توجهك رآكاً الى مبرلك ما فاعل يا صانع فضحكنا وخرجنا . ساه في اللسان وأجمع رأينا على ان نسير عند امض أصحابنا حتى يحقق الاخبار فوالله امد رأينا في طريقنا رجلين يقول أحدهما للآخر ان هذا الخليفة الجديد قد عرف أحوال المحبسين من الكتاب وأصحاب الجرائم فقال لا يخرج من احد حتى أنظر في حاله فخصصنا لي ن . من الله تعالى في أسرع وقت وله الحمد . من شعره

(منسرح)

نوائب الدهر أدبتني وانما يوعظ الادب
قد ذقت حلواً وذقت مراً كذاك عيش الفتى ضروب
ما مرّ بؤس ولا نعيم الا ولي منهما نصيب

وكان بنو وهب من رؤساء الناس وحذاقهم وفضلائهم وكرمائهم . وكانت دولتهم ناضرة وايامهم مسرفة والادب في زمانهم قائم المواسم . والكرم واضح المعالم . وخلع المهتدى وهو وزيره * انقضت أيام المهدى بالله ووزرائه

* ثم ملك بعده المعتمد على الله هو أبو العباس أحمد بن المتوكل *

(بويع سنة ست وخمسين ومائتين)

كان المعتمد مستضعفاً وكان اخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على اموره . وكانت دوله المعتمدوله عجيبة الوضع . كان هو وأخوه الموفق طلحة

كالشريكين في الخلافة . للمعتمد لخطبة والسكة والتسمي بامره المؤمنين . ولأجنه طلحة الأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء . وكان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته * وفي تلك الايام كانت وقائع صاحب الزنج

* شرح حال صاحب الزنج ونسبه وما آل امره اليه *

ظهر في تلك الايام رجل يقال له علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . فأما نسبه فلبس عند النسابين بصحيح وهم يعدونه من الادعياء . واما حاله فانه كان رجلا فاضلا فصيحاً لبيباً لبقاً . استمال قلوب العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها فاجتمع اليه منهم خلق كثيرون وناس آخرون من غيرهم وعظم شأنه وقويت شوكته . وكان في مبدإ حاله فقيراً لا يملك سوى ثلاثة سياف حتى انه أهدى له فرس فلم يكن له لجام ولا سرج فركبه بهما فركبه بحبل فانتصب له حرب وغروات بعد فيها فأبرى نسبها وعظم حاله وهيبته وانبث عسكره السودان في البلاد العراقية والجزيرة وهجر وبهذ الى الموفق طلحة بعساكر كثيرة فالتقيا بين البصرة وواسط . دامت الحرب بينهما سنين كثيرة وسوء مدة بين هنالك وأقام كل من الفريقين برابط الفريق الآخر . وفي آخر الامر كانت الغلبة للعباسيين العمانيين فأخذ فتلا وأسراً وقتل صاحب الزنج وانهبت مدينته . وكان قد بناها وسماها المختارة وحمل رأسه الى بغداد . وكان يوماً مشهوداً . وقتل بسبب الفتن في تلك الوقائع كان الى الف وخمس مائة الف انسان . ومات المعتمد سنة تسع وسبعين ومأتين

* شرح حال الوزارة في ايامه *

قد تقدم أن أخاه الموفق كان هو المستولى على الخلافة فكان نعزل الوزراء وتوليهم

* وزارة أبي الحسن عبد الله بن يحيى بن خاقان للمعتمد

لما ولى الخلافة المعتمد عقب الاّراء على عبد الله بن يحيى بن خاقان فأحضر واستوزر على كره منه وتقدم منه وتقص وتصل. وكان عبدالله حبيراً أحوال الرعايا والاعمال ضابطاً للاموال وقد تقدم ذكره في خلافة المتوكل

* وزارة حسن بن مخلد للمعتمد *

وزر له لما مات عبد الله بن يحيى استوزر المعتمد الحسن بن مخلد. وكان كاتباً لاخيه الموفق فاجتمعت له وزارة المعتمد وكتابة الموفق . كان الحسن بن مخلد من دهاقين وقال ان أباه كان مغبر ا لحرج من سه ماحرج. وكان الحسن أحد كتاب الدنيا. قالوا كان له ذهن صغير معه بديه فيه أصول أموال الممالك ومحمولا بها نوع حها فلا بقى كل لسانه حتى تقرأه ويحوى مافيه حسب تو ئل في العد على ي شيء كان منه أجاب من حاطره من توقف ولا مراجعة دستور قال الحسن بن مخلد . كنت مرة واقفاً بين يدي الموفق بن المتوكل فرأسه لمس توته بيده فقال لي ياحسن قد أعجبني هذا الثوب كم عندنا في الخزائن منه فأخرجت في الحال من حفظي دستوراً فيه جملة مافي الخزائن من الامتعة والاثواب فعده فوجدت فيها من جنس ذلك الثوب سته الف ثوب فقال لي ياحسن نحن نحرر ا كتب الى البلاد في تحصيل ثلاثين الف ثوب من جنسه وحملها في اسرع مدة

ثم عزله المعتمد واستوزر سليمان بن وهب وقد تقدم وصف طرف من حاله. وسنرعى من تلك الايام دولة بني وهب نبع

« ور ره ابى الصقر اسماعيل بن بلبل »

اسووره الموفق لاحمه المعتمد. وكان أبو الصقر كريماً مطعاما متحملا . لم من الوزاره ملعاً عظيما . وجمع له السيف والقلم مطر في أمر العساكر أيضا وسمي الوزير الشكور كان في سداد على طريقه عمر مرصه فلم مالمه ومدحه الشعراء كالبحتري و بن الرومي وعنه هما وهجوه . وكان أبو الصقر ينسب الى بني شيبان ورب سسه مرموعا الى شيبان بخص بعض النساب وقوم عمروه وقالوا هو دعي . . وكان بن الرومي مد مدحه بقصيده نونيه طويله أولها (بسيط)

حسبك له صاى سعدان وكـ اس ممن يوبان عاح ورمان
عصون بان عا بها الا هرفا كه مما الفو كه مما يحمل البان

مسمي الناس هده القصيده در المديح لكثره ما فيها من ذكر الا والكه
وكان الموضع الذي اع منه الا وكه سمي در المديح . . من جمله هده القصيده

قالوا بو الصقر من شيبان قلت لهم كلا امري ولكن منه شيبان
كم من أب قد علا بابن له شرفا كما علا برسول الله عدنان

فلما سمع أبو الصقر قوله قالوا بو الصقر من شيبان قلت لهم كلا
ظن أن بن الرومي قد هجاه بهذا ناصاً . به مرض أنه دعي وسنه على بن الصقر لامر فاستحكم منه و عرض منه . . نوصل بن الرومي الى اوامه ورده لحال فلم تعمل في ذلك قول قائل ومال له استحال الله فاصر الى البيت الثاني وحسن معناه فانه معنى مخترع مامدح حد مثله فلك من صنع وحرم بابن الرومي هجاه وحرمه فهجاه بن الرومي وأحسن في هجائه فمما هجاه به

قوله (خفيف)

عجب الناس من أبي الصقر اذو | لي بعد الاجارة الديوانا
ان للحظ كيمياء اذا ما | مس كلبا أصاره انسانا

وقوله (سريع)

مهلا أبا الصقر فكم طائر | خر صريعاً بعد تحليق
زوجت نعمى لم تكن كفؤها | فصانها الله بتطليق
لاقدس نعمى تسربلتها | كم حجة فيها لزنديق

ومن غريب قوله فيه (بسيط)

ما بال فرحة أبوه بلـــسان رجح | كي أبا الصقر يا اهل الدواوين
عروه من كسبه لست بلبوية | بدى أبا الصقر من كان ابن شاهين

وقبض عليه المعتمد وحبسه وعاقبه ثم قتله في محبسه واستصفى أمواله .

واعلم ان هؤلاء وزراء المعتمد كالحسن بن مخلد . وسليمان بن وهب . وأبي الصقر ابن بلبل تولوا الوزارة وعزلوا مراراً مرتين وثلاثة

﴿ وزارة أحمد بن صالح بن شيرزاد القطربلي للمعتمد ﴾

استوزره الموفق لأخيه المعتمد . وكان أحمد كاتباً بليغاً فاضلا عارفا عالما لم يبق مثله معرفة محدداً في النظم والنثر . ووصف احمد امرأة كاتبة . فقال كأن خطها حسن صورتها وكأن مدادها سواد شعرها وكأن قرطاسها أديم وجهها وكأن قلمها بعض أناملها . وكأن بيانها سحر مقلتها . وكأن سكينها غنج لحظها وكأن مقطها قلب عاشقها . ومكث احمد بن شيرزاد في وزارته نحواً من شهر ثم مرض ومات . وذلك في سنة ست وستين ومائتين

﴿ وزارة عبيد الله بن سليمان بن وهب للمعتمد ﴾

كان عبد الله بن سليمان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب . وكان بارعا في صناعته حاذقا ماهرا ! ! ما جليلا . . مات للمعتضد حاربة كان يحبها فجزع عليها فقال له عبد الله بن سليمان : مثلك يا أمير المؤمنين يهون المصائب عليه لا نك تجد من كل مفقود عوضا ولا تجد أحد منك عوضا . وكأن الشاعر عناك بقوله (بسيط)

يبكي علينا ولا نبكي على أحد ... احن أغلظ أكبادا من الابل

وفي عبد الله بن سليمان يقول الشاعر (بسيط)

دا أبو قاسم جادت يداه لنا ... لم يحمد الاجوادان البحر والمطر

وإن مضى رأيه أو حد عزمته ... تأخر الماضيان السيف والقدر

وإن أضاءت لنا أضواء غرته ... تضاءل النيران الشمس والقمر

من لم يكن حذراً من حد صولته ... لم يدر ما المرعجان الخوف والحذر

ينال بالظن ما يعيى العيان به ... والشاهدان عليه العين والاثر

ومات عبد الله في سنة ثمان وثمانين ومائتين ... أبا المعتضد ووزرائه

· · · ملك بعده المعتضد بن أخيه

هو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل بويع سنة سبع وسبعين ومائتين

كان المعتضد شهماً عاقلا فاضلا حمدت سيرته . ولي والدنيا خراب والثغور مهملة فقام قياماً مرضياً حتى عمرت مملكته وكثرت الاموال وضبطت الثغور وكان قوي السياسة شديداً على أهل الفساد حاسما لمواد أطماع عساكره عن أذى الرعية محسناً الى بني عمه من آل أبي طالب . وكانت أيامه أيام قوي

وحو رح كسر س مبهم عمرو س للت الصعار . كان قد عظم شأنه وجم أمره و سموى على أكثر بلاد العجم . وكان يقول لو شئت أن أعقد على نهر بلخ حسر ا من ذهب لفعلت . وكان مطبخه يحمل على سمائة جمل فآلت عاقبته الى الفقد و لا سرو لذل . فقام المعتضد في إصلاح المشعث من مملكته والعدل في رعيته حتى مات وفي الخزائن تسعة عشر الف الف دينار لالف مكرره مر تين . ومات سنة تسع وثمانين ومائتين

وزارة لوزرة في أيامه

فوزر عبد الله بن سليمان على وزارته . وقد مضى شيء من أخباره . فلما مات عبيد الله عزم المعتضد على أن يستأصل شأفة أولاده ويستصفي أموالهم فخص القسم بن عبد الله و سعى بدر المعتضدي فكتب خطا بألفي الف دينار فاستوزره المعتضد

وزارة القسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب

كان القسم بن عبيد الله من دهاة العالم ومن فضلاء الوزراء . وكان سمحا فاضلا لبيبا محصلا ومهيبا . شجاعا جبارا . وكان يطعن في دينه وهو الذي قتل ابن الرومي بالسم . وكان ابن الرومي منقطعا اليهم يمدحهم وكانوا يقصدون في حقه شيئا فاتفق ان هجاه . وكان هجاه . وفي بني وهب يقول ابن المعتز

(طويل)

لآل سليمان بن وهب صنائع لديّ ومعروف لديّ تقدما
هم علموا الأيام كيف سياسه هم علموا من بعد والدي الدما

وفي هجائهم يقول بعض الشعراء (بسيط)

دع بني وهب لما لديهم ولا بين من الذكر

فتص اه عده ه ب هقص ذكر به سعدمن دو
ه اب لمه صد هو ه ره صب ه لمه صده ه به
م ه اب عده به المكنى باه

هو ه محمد علي ب لمه صد به م ب سه سع ه ما س ه س
كان المكنى ه ب فاص ب د هو د ى لمسجد جامع با د ه
عـد د وفي باه المكى ر معه ه موه ه ب حو رح حرحو
هصعو ب على حج ه ماصلو ساقسه ه فلو ه يه ه مطاعه ه ه سـ ح
لمكر ب ه حو سه ه ها مع ه ه ه ال مص حما به
ه المكنى هو با ى ى اح ب ص ه سعد د وكات ه فاه لمكنى
سه خمس ه سعه ب ه س

ب ح حا ه ه دى باه ه

ا ب لمه صد كان المكي با ه ه فقاه و ر ب ب عبد الله
احد لمه امكنى عنه لمرصى ه كاب ه علمه د ب ه حه به باه ده
ه مصب لها المكنى وبعدد و فره على ه ه وعمه ها وحل م
لقسم في باه لمكى ه عصه اه فلما ذ كمه ه فاه ـ ر لي لمكنى باما ب
بن حسن فاسو ه

و ره له ب ب حسن

قال الصوى ه ب عجب ا ساهدب ه ب ملب با ا ه صا ب لامور
ى ب العاس ب حسن ب ه ب لا ما ه ل ب ه ب و القسم
بن عبد الله وقد حه ى د ه وقال ده لده ثم في حر لوه لمذكو
اب الله ثم وخلع المكنى على لعباس بن حسن و مو ره لها ولا ه ر

القسم بن عبد الله فصل بدء

كان العباس بن الحسن ذا دهاء ومكر وأدب وافر . وكان ضعيفاً في الحساب ولم يكن سيرته محموده . وكان متكفاً على لذاته ، الامور مهملة . وكان يقول لنوابه بالأعمال أنا أوقع لكم وأنتم افعلوا ما فيه المصلحة . ولم تزل الامور مضطربة في أيامه حتى وثب عليه الحسين بن حمدان وجماعة من الجند فقتلوه وذلك في أيام المقتدر فقصبت أيام المكتفي ووزرته

* ثم ملك بعده المقتدر بالله

هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بويع له بالخلافة في سنة خمس وتسعين ومائتين وعمره ثلاث عشرة سنة

وكان المقتدر سمحاً كريماً كثير الانفاق . وفرّق بيوت الخلافة من الجمل ما يتعذر ... والمماس وكسره الخلع والصلات . كان في داره احد عشر الف خادم خصي من الروم والسودان . كانت حرمه الجوهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسة . فمن جملتها الفص الياقوت الذي اشتراه الرشيد بثلاثمائة الف دينار والدرة اليتيمة التي كان وزنها ثلاثة مثاقيل الى غير ذلك من الجواهر النفيسة فرّقه جميعه وأتلفه في أيسر مدة في أيامه قتل الحلاج

(شرح الحال في ذلك)

كان الحلاج واسمه الحسين بن منصور ويكنى أبا المغيث . أصله مجوسي من أهل فارس ونشأ بواسط وقيل بتستر وخالط الصوفية وتلمذ لسهل التستري . ثم قدم بغداد ولقي أبا القسم الجنيد . وكان الحلاج مخلطاً يلبس الصوف والمسوح تارة . والثياب المصبغة تارة . والعمامة الكبيرة والدرّاعة تارة . والقباء وزيّ الجند تارة . وطاف بالبلاد ثم قدم في آخر الامر بغداد وبنى بها داراً

• حلف أر • الناس و عماد بهم و • ور • ممه خلص و سمل من مذهب
الى مذهب و سوى العامه محاربين كان • مدها منها • كان يحفر فى حس
هو رع الطرفات موضعا ونصع فيه فاقسه ماء ثم يحفر فى موضع آخر ونصع
فيه صعا ما ثم مر بالموضع ومعه أصحابه فتحاخون الى ما • و به
و يوصؤن به فبأى هو فى ذاك الموضع لدى • دح و وسس و • مكا
فحرح لما و • وب • يوصؤن ثم يعمل كذاك فى الموضع الآخر عند
حوء • فحرح الصعاء من ص لا ص يوم • دالك من كرامات لاولنا
والذاك كان جمع ناهو كه ناحره ونحصد ا ونحرحا فى عه وفيها مسعف
اس به • نكلم كلام اصوفيه وكان خلعه الا نحو ذكره من حلوب نحص
• له سعا ما (هزج)

حـ سى سه • سوب ى ى • • حه
سـعاى • مل ما س ب يعمل عه مه بالصحب
فلما شرب الكاس دعا ناجع والسحب
كذ • ى • ب ا ح مع اسس فى الصحب

وكه سعف الناس به وميلهم اليه حتى كانت امامه ـ سى سه له وكان
بقول لاصحابه • مو ى وسا ى • محمد وآدم علت • حهم الكم فلما ى
هذ ا ساد فيه عدم لقصد ى وررده حامد بن العباس باحصا دوما ربه
فاحص ٥ و ر وجمع له الفصاه و لا • • بوحد فاته فى أسماء وحسب فيله
فصر ب ألف سوط على ن موت ثما ب فقصعت يده و حلاه • حرق سه
و حرقت • وقال لاصحابه سد فمله لا يهولنكم هذا فانى نوب لكم مند
شهر • فالو و نسد فيل فيله (• مر)

صلب السمر كل أرض   هام ري نا ص مسعر
طب مصامي فاسمد بي   وله بي قصب لكتب حر

ودات في سنه تسع وثلاثمائة ودفن بمقبرة باب الحرب ... عند قبر
معروف الكرخي رضي الله عنه وقيل ان الامام ملك الفرمطة
الحجر الأسود وكان ... على
... بن يحيى بن حسين بن محمد بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن
علي بن حسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ... بن دولة الله ...
كان ... خلصه ... سنه ... انه وحده عليه
فكان ... علي ... وهو مسعود ... به
خرج ... كامه خلع ...
... الامام ...

خرجان لاوله اهلونه ... اعلي ... لاحصار
هذه ... كتاب تملك ... فكان ... ذها ...
... في سنه ...
... ملكها ... ان ... لاثمة
له ... في الموسوم ... وجه بقوله (حه ص)

ا معامي على ... ومصون فاصح ... حمي
... صار ...
حمل ... بلاد ... العلوي
... مولاه ... ي د صامي اله ... الفصل
... حمصا محما وعلي

اســـ دل ىدلك لحو ص   و و ى ىدلك لرسع رى

سـ ح سد ء هده الدولة

أول خلفائهم المهدى بالله وهو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن اسمعيل الثالث ابن أحمد بن سمعيل الثانى بن محمد بن سمعيل الاعرج بن جعفر الصادق عليهم السلام. وقد ر ى سـ ه على صوره اخرى وفيه خلاف كثير . والصحيح انهم علويون اسماعيليون ولا سبيل .. هذه الصورة التى أوردناها هاهنا هى المعول عليها . ا خطوط مساح النساس

وكان المهدى من خال ى ها ب ى عصر ه قبل انه ولد سعد د سنه ... وما ين وقيل ولد بسلميه ثم وصل الى مصر فى زى احار وأ... مرة بالمغرب ودعا الناس الى نفسه فمالوا اليه . فيه خلق كثيرون وملوه عليه بالخلافة وقويت شوكته وعظم حاله ثم ... الى ص الهه و ب ... مدينة سماها المهدية وسعى ... ومالك ... بلاد المغرب ... الى ... جميعها . ثم ملك الاسكندرية وجرى حرحها وخرج بعض الصعيد .. توفى سنه ... وعشرين و لا ... ثم ... الخلافة فيه و ... حتى ... الوبة الى العاصد آخر خلفائهم . وهو ... محمد ... الله بن الامير يوسف بن حافظ لدين الله

(... ...)

وفى العاصد ... سنة خمس وخمسين وخمس مائة . وهو صبى . فقام أمر دولته الامير ... حتى توجه اسد الدين سيركوه ثم صلاح الدين يوسف بن أيوب الى مصر ... من احداث حول الدولة لصغر احلة و خلاف آراء وزرائه . وسار صلاح الدين مع عمه اسد الدين سيركوه

كارها فلم يطل مده اسد الدين شيركوه فتاب فاستولى صلاح الدين على
المملكه و سوروه العاضد وخلع عليه خلع الوزاره فى سنه اربع وستين
وخمس مائه. ومكن صلاح الدين من الدوله وقدم عليه اهله فأقطعهم
لاقطاعات السنيه وأزال يدى أصحاب العاضد وتفرد بالحكم ومرض العاضد
و طاول مرضه. ثم مات فى سنه سبع وستين وخمس مائه واحتجم الناس
فمن يدعى له بالخلافه على المنابر

فلما كان يوم جمعه بعد رجل عجمى الى المنبر وخطب وذكر الخليفه
المستضئ فلم ينكر أحد عليه و تمر حال فى مصر بالخطبه للعباسيين و تقرضت
دوله الفاطميين منها و سمل صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر من غير
منازع وحبس من كان بحاف من اقارب العاضد ومص على حراثى و لاموال
.ومن جملتها حبل الياقوت ورنه سبعه عشر مثقالا. قال ابن الأثير المؤرخ أنا
رأيته ووزنته ومن جملتها سباب زمرّد طوله أربع أصابع فى عرض عقد
.ووجدوا طبلا بالقرب من موضع العاضد فظنوه عمل للعب فسخروا من
العاضد فضرب به إنسان فضرط ثم ضرب به آخر فخرى له كما جرى لصاحبه
فصار كل من ضرب به ضرط فألقاه أحدهم من يده فكسره واذا الطبل قد عمل
لاجل القوالنج فندموا على كسره. وكان ذلك فى أيام الخليفه المستضئ من بنى
العباس فوردت البشائر اليه بفتح مصر وباقامه الخطبه له بها فأمر بالسرور
ببغداد وهيأه الشعر. وأرسل المستضئ بعهد السلطنه الى صلاح الدين
بالتفويض والتحكم فيما حاز من قرى الملك من بنائه وبرع الملك ممن بناه.

ترجمنا الى جهة خلافه المقتدر *

وخلع المقتدر و بويع عبد الله بن المعتز فمكث يوماً واحداً فى الخلافه

ـه سـه ر المصدر علــه فاحده وقـله وه لعد ـــد الله ں لمــه ى لحلفا
مه لر اں لا ى وى ه ـــه هحر ں م له د و من مؤس لمطهر هه
لحوس ماوه دب ى حرب فمل و ا لمصد ههعم ر ه وحمل ں ں
ما ى مؤس المصو هٮكسب حسه ر مه على فارعه عرى ه ما ه حا
ه حل سوكى مر ى و ه ادبه ااى سا ا حر ه ولـ فـصاه ودلك
ى سه ں ه ىالا ساته

ه مرح حاں ه ه ں ماه

لما لمس لمصد على ســ حلافه ه لعا ں ں لحس ه ح ه
ا لكبوى على ه ه فلما ه لى لما ں ں حس ه حرب الف ه ں لمه د
ه س عبد الله ں لمه ه عر له د حد ں ر ب ه سو د

ه ه س لعرب

قال ـــو ں ه ه ں عس ں عماں دحسال فال ه سو مر ب ه ں
حل الا ں فصلا ه كر ا ه سالا ووها ه مر ه د ه كان هد بو حسں على س
امر ب ه ں حل الناس و عط ه كر حود ه كاں ما ه و ه ا ا ں
وكان لمصدر لما حرب له لفسه ه حلع و ه لع ں لمه ه ه ر لمصد
ساه و ه مرب لحلافه للمصدر سل ى ى حسں على س لعرب فاحه ه
ه سو ه ه حلع علــه فهض سكں الفسه حسں وص ودر ا وله ى
يوم و حد وقرر لمو عد ه سمان لناس و ه سب لماب لمسله لا و لأ مو
مسه فمه امعد ه حو ں د ه فد د ه ں دلك ه ه لعص سهر ه
لا وله الله ه دره (ه عا ب)

ودرب ى ساعه دوله عال مه لـ ى ر

وتولى ابن الفرات الوزارة ثلاث دفعات للمقتدر فالواكان ذا ولى ابن الفرات تزيد في الخبز والشمع والثلج والكاغد أكثره سعياله لذلك لانه ماكان يتبقى احد كائنا من كان في داره في الفصول الثلاثة لا الماء المملوح ولا كان احد يخرج من عنده بعد المغرب لا وبين يديه شمعة كبيرة بقية صغيرا كان أو كبيرا وكان في داره حجرة معروفة بحجرة الكاغد كل من دخل وحاج لى شيء من الكاغد أخذ حاجته منها

حدث عنه أنه قال مارأيت احداً ساتى من أرباب الحوائج الا كان همامي بالاحسان اليه أسد من همامه فال. وكان قبل الوزارة يحمل الخمسائة وخمسائة مجاد سكرتون يلتها فلما ولى الوزارة محض الفرسون للندماء والحلساء تلك مجاد فأنكر ذلك عليهم ومن باحصار مجاد وقال لا ترى انه يرتفع شأني بحط منه له صحافي. ولماحرب منه في المعبر وسور المقتدر ستون ألفا حبس بن الفرات حضرت لي بن الفرات رقاع من جماعة أرباب الدولة طوى ملاسة لي بن المعبر فحروجهم من لمقصد فأشار عليه بعض الخاص بان صحها وطالعها لتعرف بها العدو من الصديق فأمر بن الفرات باحصار الكانون وقد نار فلما احضر جعل تلك الرقاع فيه فتحصت من الناس ولم يقف على شيء منها فقال للحاضرين هذه رقاع أرباب الدولة فلو وقعنا عليها يغير ساسا لهم فسائر الناس قال ما فسائر أهلكنا رحال الدولة. وكان في ذلك أنم الوهن على المملكة ولن تركناهم كما هم تركناهم ما لهم متغيرة. وكذلك ساسا فلا تنقع ومازال ابن الفرات يتنقل في الوزارة الى المرة الثالثة فقبض عليه وقتل وذلك في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

ذكر وزارة الخاقاني

هو أبو علي محمد بن عبدالله بن يحيى بن خاقان . لما قبض المقتدر على ابن الفرات في المرة الاولى أحضره . وكان خائفاً من ابن الفرات فطلب قلبه وسوّره وخلع عليه خلع الوزارة

كان الخاقاني سيء السيرة والتدبير كثير التولية والعزل . فقيل انه ولى في يوم واحد سبعة عشر ناظراً للكوفة وأخذ من كل واحد رسوماً فانحدر واحد واحد حتى اجتمعوا ثم مهم في بعض الطريق فقالوا كيف نصنع فقال حدثهم : إن أردتم النصيحة فمضى أن يحدر إلى الكوفة آخرنا عهداً بالوزير وهو الذي . فلا به صحيحة لأنه ما بات بعده أحد فاجتمعوا على ذلك فوجه الرجل الذي جاء في لاحقه نحو الكوفة وعاد الباقون الى الوزير فصرفهم في عدة أعمال

وهجاه الشعراء . فمما قيل فيه (خفيف)

للدواوين مدة ولت عويل	وللمال الخراج سقم طويل
ساقي الخطوب حسن ألف	ملك رفعت وعقل ضئيل
ان سبيتم من الخيانة و الحو	فالإرتفاع حسبه قحيل

ومما قيل فيه (وفر)

وزير لاحيل من الرقاعة	يولي ثم يعزل بعد ساعة
ويدنو من عجل مسه مال	ويبعد من يوسل بالشفاعة
اذا أهل الرشا صاروا اليه	فأحظى القوم أوفرهم بضاعة

وقبض المقتدر عليه وحبسه واستوزر علي بن عيسى بن الجراح

* وزارة علي بن عيسى للمقتدر *

كان علي بن عيسى شيخاً من شيوخ الكتاب فاضلا ديناً ورعاً مبرهداً موزعاً . قال الصولي وما أعلم انه وزر لبني العباس وزير يشبه علي بن عيسى

في زهده وعفته وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه وكتابته وحسابه وصدقاته
ومبرته قالوا كان دخل علي بن عيسى من ضياعه في كل سنة سبعمائة
ألف دينار ينفق منها على الفقراء والضعفاء وينفقها على نفسه وعلى عياله
وأصحابه ونهض بالأمور وزارة وضبط لدواوين والأعمال وقرر القواعد
وكانت أيامه أحسن أيام وزارة فانه ما كان ما على بن عيسى شيء أكبر
من قولهم إنه كان يطول كثيراً في خطابه للأمور فربما يعطله عن الكتابات
ولما ولى وزارته قصد صدقاته ومبرته ووقف وقوفاً كثيرة من ضياع
السلطان وفرد لها ديواناً سماه ديوان البر وجعل حاصله لاصلاح الثغور
والحرمين الشريفين وكان يجلس للمظالم من العصر إلى العشاء وقصد
على من الطعام وأحسن الملبوس ... لو زهد المقتدر من أن كان ... و
حسن على بن الفرات باوان له ... هذه ومرة ذلك

* وزارة حامد بن العباس

كان حامد سوى دهاءًا أعمال السواد ... أعمال ...
وكان كريماً مفضالا محتملا حمل حاسبه رئيساً في نفسه عزيز المروءة فاشي
المال في سعة خرج المال فلكل الناس من يتبع الطاس واحد لا يتركه
كان يعطي على ذلك

حدث عنه أنه دخل مرة إلى دار المقتدر فطلب منه بعض خواص
الخليفة شيئاً يدوه فأخذ لدواته ووقع له بمائة كر فطلب له آخر من الخواص
أيضاً فحاج الى لدواته فوقع له بمائة كر وما زال يطلب منه واحد
واحد من خواص الخليفة وهو يوقع حتى فرق ألف كر في ساعة واحدة ولما
عرف المقتدر فله فهم حامد وقلة خبرته بأمور الوزارة أخرج الله على بن

عيسى بن الجراح من الجاسر وصمه ه ٠ حماله كا أب له فكان على بن عيسى لخبرته هو الاسال ٠ فكان ما معده معد ٠ كل ما عمله حل ٠ وكان بماله ر ره لحامد ٠ حصه بالعلي بن عيسى حتى قال بعض الشعراء (كامل)

قل لابن عيسى قوله ... بن ... بن مجاهد
... لو ... و ... سحره لحسه حامد
حملوه عندك ... اصلاح ... ها ...
فهما ... فقال له ... حداً ... و حد

وكان حامد لاس السود وعاس في دست له ... لي ...
خلس ... بدنه كالـ ... لباس ... سود ... ى له ورد لأنه ... له ... على جمعة فقال بعض الشعر (... ح)

يحب من كل ... س ... ش لاد
هد سود لا ورد ... لا سود

ثم عزل حامد و ... ل ... ى ... له الـ ... فصله ... ا

ورده في القسم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان
فطال أيامه ... تكن له ... و ... وسعر ... حلف لأمور طـ ... فـ ودر ٠ عزل ٠ ... ومائه

ورده أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الخصيب ...
كان صالح الأدب ... العقل مليح الخط ... ذكر ... لاحمار
والاسعار ٠ كان السبب في ولايته أنّ محمداً وهو ... أبا العباس المذكور كان
للاطف أصحاب المعتد ... الـ ... و ... هم وكانوا ... ونه ويعصمون له

دائماً وتصمو به عند المصدر فاتفق أن حصل فتق من الفتوق بعض الجهات
خهر المصدر حسناً وأرسله صحبه بعض أمرائه لى تلك الجهة. ثم كان المصدر
شديد التطلع ى أخبار هذا الحبس فأرسل بن الخصاب طيوراً صحبه بعض
نقابه مع الحبس. وقال لصاحبه سرح كل يوم طيوراً وعلمها لاخبار ساعة
فساعة فكانت ترد لاخبار على الطيور لى أحمد بن عبد الله بن الخصاب
فيعرضها على المصدر ساعة بعد ساعة حتى بن المصدر ... من أمر الحبس
شىء فتعجب المصدر من ذلك. وقال من أين بلغ أحمد بن الخصاب أخبار
هذا الحبس فعرف الصورة. وقيل له بن ... لى مثل هذا ولنس له
على بهذه القصة فكيف يكون حده ... صار ... فاستوزره

قاله وكان بو العباس أحمد بن عبد الله بن الخصاب عفيفاً متورعاً عن
مال السلطان ... محاسباً للجناية محافظاً على الامانة ثم ضعف أمره واخرمت
منه السيدة أم المصدر. وكان كاتبها قبل وزارته فعزل وقبضت أمواله. وذلك فى
سنة ربع عشرة وثلاثمائة

وزارة على بن على محمد بن على بن مقلة للمصدر

هو صاحب الخط الحسن المشهور الذى صار به يضرب الامثال. وهو
أول من ... هذا الخط ونقله من الوضع الكوفى الى هذا الوضع وسعه
بعده بن البواب. كان فى ابتداء أمره يخدم فى بعض ... فى كل شهر
ستة دنانير. ثم تعلق أبى الحسن بن الفرات الوزير وخص به. وكان
بن الفرات كالبحر سماحاً وجوداً فرفع من قدره وأعلى من شأنه فكنت ...
يديه يعرض عليه رقاعاً فى مهمات الناس فينتفع بسبب ذلك. وكان ابن الفرات
يأمره بالتحصيل من هذه الجهة إيثاراً لنفعه فما زال على ذلك حتى علت حاله

وكثر ماله . ولما ولي ابن الفرات الوزارة الثانية حكى بن مقلة في دولته وسعت حاله وعرض جاهه . ثم ان السلطان نزع منه ومن أبي الحسن على ابن الفرات فاستوحش كل منهما من صاحبه فكفر ابن مقلة إحسان ابن الفرات ودخل في جملة أعدائه والسعاة عليه حتى جرت النكبة على ابن الفرات فلما رجع ابن الفرات إلى الوزارة قبض عليه وصادره على مائة ألف دينار أداها بعينه روحه . وكانت ذات مال طائل وكان لابن مقلة يد طولى في الكتابة ولا سيما وكانت توقيعاته غير مدموعة في هاوله شعر منه

(سريع)

جرى الدهر على عادته	ثم أخر عقد المصارف
أصبت يومه ما رما	ثوالف شيء غير مألوف

حدث أبو عبد الله أحمد بن إسماعيل المعروف بريحي كاتب ابن الفرات قال لما نكب ابن مقلة وحبس دخلت اليه في محبسه ولا كاتبه ولا توجعت له على ما بيني وبينه من المودة والصداقة خوفا من ابن الفرات فلما طالت به المحنة كتب إلي رقعة فيها (طويل)

ترى حرمت كتب الأخلاء بينهم	أبن لي أم القرطاس أصبح غاليا
فما كان لو سائلتنا كيف حالنا	وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا
صديقك من راعاك في كل شدة	وكل تراه في الرخاء مراعيا
فهبك عدوي لا صديقي فإنني	رأيت الأعادي يرحمون الأعاديا

ومن شعره ما كتب به إلى ولده وقد مرض (كامل)

لما اتاك من علة وسلامة	ووفاك بين صارف الاهواء
ذكرت شكايتك وكأس في يدي	فمزجتها دمعي مكان الماء

ومن شعره (خفيف)

لست دله اذا عصى الدهـــــر ولا ساحما اد واباى

نا نار فى مرنى نفس الحا سد ماء جار مع الاحوان

سوورره المصدر وحلع عليه حلع لوراره ش سنه ست عسره و لا

و سعل أعماه لورره أمرا و نما وندل ه اما ملمه حمس ماته الف د ـ

م عرل وقبض عليه م نعد ه وما رال نطلب به الاحوال حتى سووررة

الرضى ه م حرت خطوب أوحبت ان الرضى حاسه ا ره وصيون علنا

وسعى به أعداؤه الى الرضى ه حوفوه من ما لمه فقطع يده لمنى و مكث فى

حبس مده مقطوع الند ه وكان وقع على ندة ه عول ا ا است ما كندا وكند

مصحفا وكند وكند حدنا من أحادث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ووقعت س سـ فى الارض ه مرنها تقطع كما تقطع أندى اللصوص

ومن سعره سمه الى قطع ندة (خفيف)

ه ملت احاه لـكن بوسـ ـت ـت أمانه فـ ـت ـتى

مأحـ ـما سعـعب حهدى حفظ أرو حهم قما حفظوتى

لنس عـد لمن لدة عيش ناحاتى نات منى ممائى

وفى ذلك يقول بعض السعراء (طويل)

لئن قطعوا حـدى ندنه محافة لآملامه لا للسـوف الصوارم

فما قطعوا رأيا اذ ه أحاله رأيت الردى من لها والعلاصم

ه لما قطع الراضى ند س مقله كتب بالسار ملما كان كتب باليمين ه

م سد على يده المقطوعه فلما وكتب بها فلم نفرق بين خطه قبل قطعها وبعده

ومن الاتفاقات العجيبه انه تولى الوزاره ثلاث دفعات وسافر ثلاث

د مات ودوں ملاٮ دعاٮ د ں ٧ ر حا مه ما فيل ا ه دلك مد قطع
مده عدنا ه مه ں مه سلمه مه ماس وسه مه مده وه مه طلسه
حه فٮ ه ه دمسه ١ ها

و ه ں مسه ماں ں حس ں مح لا ه د
ه لكں ه ڤ ه ں ه كں ه ں ده ٮ و ٮ ا ماں ا ماں
ماحد ه حٮ

ه ل مه دح ں م ه على مه ں د لله ه ر لمه صد و لمكنى
حٮ مه ه ں لمه مه حه ه كر ه كر ا حا حا ٮ له ده
١ اه فسں ه و ں سٮ لٮ مه ں ر ں ٮ ں مى كأں على ر ں
ا سوه مد حدها د ه حما ا على ر ه ه لا ١ ں ه د مى لى لو ه
ه كان كا قال وه كه سه مه ں ه ره

وكاں لمصد ٮ ا مرں ں مه ساسار على ں عا ں ں حرح ممں
مسو وه ماسه ر عليه ا سو ه قى مه ٮ اں ه ه لا ٮ مه مه ه ص
عليه ه سو كلود ں

ه ه ں مسه مما مد ں محمد لكلود ى لمه در
ه ص مه وه كں ما دوكه ٮ لمصاد ٮ ں مامه وسعٮ
حد عليه و موه و حموه هو ں سه مه خلف مه لا ا حل مد دلٮ ى
لو ره و مصع ١ ه ه لى مامه فكاٮ و مه مده ٮ ر ں

و ره حسں ں له مه ں مد مه ں سليماں ں ه هٮ لمصدر
كاں مال له مو لحا ه ں مه عرفٮ ساس ق ه ر ه هو ه ر
المصدر و موه ماسه ه ر لمصد ه لمكنى وحده مد لله و ر الم ه صد

وأبو جده سليمان بن وهب وزير المهدي وفي ذلك يقول الشاعر له

(رمل)

ما وزير بن وزير بن وزير بن وزير
نسقاً كالدر من تحت نظم في عقد النحور

لم يكن الحسن بن القسم بارعا في صناعته ولا مشكور سيرته في وزارته فطال له المدة حتى عجز واضطربت الاحوال عليه فمدحه عبد الله بن عبد الله

(خفيف)

بن طاهر بقوله

إن كنت بهذا الشعر في لا بن بنت يهدى له الاشعار
بمرأى أراك من أهل بيت ما على المرء أن يسوده عار

وهجاه جحظة بقوله

(وافر)

لقد كان الوزير أبا الجمال ومحسن البلاد الداسيالي
فمد عن البلاد فمن قليل نرى الانام في صور الليالي
فصب بيحه لدنيا وولت فآذيت كل شيء بارتحال

ولما ظهر للمقتدر عصيه وعجزه قبض عليه وصادره . ثم نفي الى أيام الراضي وأبعد عن العراق . فلما تولى ابن مقلة الوزارة تقدم بقتله وأرسل اليه من قطع رأسه وحمل رأسه الى دار الخلافة وبسط تحمل السفط في الخزانة . وكانت لهم عادة بمثل ذلك

حدث أنه لما وقعت الفتنة ببغداد في أيام المتقي أخرج من الخزانة سفط فيه يد مقطوعة ورأس مقطوع وعلى اليد رقعة ملصقة عليها مكتوب هذه اليد يد ابن علي بن مقلة وهذا الرأس رأس الحسن بن القسم وهذه اليد هي التي وقعت بقطع هذا الرأس فعجب الناس من ذلك

* وزارة فى الفضل جعفر بن الفرات *

فطال أيامه ولم تكن له سيرة في أموره وميل المقتدر وهو وزيره فاستبه فغضب أيام المقتدر ووزر ثم

* ثم ملك بعده أخوه القاهر *

هو أبو منصور محمد بن المعتضد بويع سنة عشرين وثلاثمائة

وكان شهما مقداما على سفك الدماء هوجا محبا لجمع الاموال رديء السياسة صادر جماعة من أبناء أولاد المقتدر وصادر أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس وعذبها بصنوف عظيمة من الضرب والاهانة وشتم وسحرج مهاماته والاهن القدسار ونصب عددها بأمها فقتله وما سحريا على ولدها ومما جرى عليها من العذاب

وفى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة خلع القاهر

وكان سبب ذلك أن وزيره ابن مقلة كان قد استتر خوفا منه فكان يفسد عليه قلوب الجند فحذروه منه وحسن لهم أن هجموا عليه وخلعوه وسملوه حتى سالت عيناه على خديه ثم حبس فى دار السلطنة ومكث فى الحبس مدة ثم أخرجته عند ملك الاخوة وكان مرة يحبس ومرة يفرج عنه فخرج يوما ووقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس وقصد بذلك التشنيع على المستكفي فرآه بعض الهاشميين فمنعه من ذلك وأعطاه خمس مائة درهم ولم يجر فى أيامه من حوادث المشهورة ما يؤثر

* شرح حال الوزارة فى أيامه *

استوزر ابن مقلة وزيرا حينه وهى الوزارة الثانية وقد تقدم شرح طرف من سيرته فلا حاجة إلى اعادته ثم استوزر محمد بن القسم بن عبد الله بن

سليمان بن وهب ولم تمكن من الوزارة ولا طالت أيامه . ثم قبض عليه ونكبه واسفى أن عرض له قولنج فمات بعد ذلك * فقصت أيام القاهر ووزرائه في ملك لايام بعث الدولة البويهية

*(شرح حال دولة آل بويه وابتدائها وانتهائها)

أما نسبهم فيرتفع من بويه الى واحد وجد من ملوك الفرس حتى يتصل بيهود بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكذلك الى آدم أبي البشر وانتسبوا من الديلم وانما سموا بالديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم

أما ابتداؤها فانها دولة بعث بما لم يكن في حساب الناس ولم يخطر بعضه ببال أحد فدوخت الامم وأذلت العالم واستولت على الخلافة . فعزلت الخلفاء وولتهم . واستوزرت الوزراء وصرفتهم . وسادت لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العرب . وأطاعهم رجال الدولة بالامتنان . هذا بعد الضعف والفقر والذل والمسكنة ومعاناة الحاجة والاضطهاد فإن جدهم أبا شجاع بويه وأباه وجده كانوا كآحاد الرعية الفقراء ببلاد الديلم . وكان بويه صياد السمك وقد كان يفتقر لدولة بعد تملكه البلاد يعترف بنعمة الله تعالى ويقول كنت أحطب الحطب على رأسي

فكان من مبدإ دولتهم ما حدث به شهريار بن رستم الديلمي . قال كان أبو شجاع بويه في مبدإ أمره صديقاً لي فدخلت عليه يوماً وقد ماتت زوجته أم أولاده الثلاثة الذين تملكوا البلاد وهم عماد الدولة أبو الحسن عليّ وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة أبو الحسين أحمد . وقد اشتد حزن أبي شجاع بويه على زوجته فعزيته وسكنت قلبه ونقلته الى منزلي وحضرت له طعاماً وجمعت اليه أولاده الثلاثة فبينا هم عندي اذ مر بالباب شخص يقول

المنجم المقدم مصنف المقامات كاتب لركن والطلسمات فاستدعاه أبو شجاع بويه وقال له قد رأيت البارحة رؤيا فسرها لي رأيت كأني أبول ويخرج من ذكري نار عظيم ثم استطالت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فأضاءت الدنيا بتلك النيران ... فقال المنجم هذا منام عظيم ولا أفسره لا بخلعة وفرس فقال له بويه والله ما أملك إلا الثياب التي على جسدي وإن أعطيتك إياها بقيت عريانا قال المنجم فعشرة دنانير فقال له بويه والله ما أملك دينارين فكيف عشرة ثم إنه أعطاه شيئا يسيرا فقال المنجم إنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب الخ فقال له بويه أما تستحي تسخر بنا أنا رجل فقير مسكين وأولادي هؤلاء فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكا فقال له المنجم فأخبرني عن وقت ولادة كل واحد من أولادك فأخبره بويه بذلك فجعل ينظر في أصطرلابه ... ثم قال المنجم ولد عماد الدولة أبي حسن علي فقال هذا والله لدي تلك البلاد ثم تلك هذه ... مدة فقبض على يد أخيه أبي علي حسن فاغتاظ منه أبو شجاع بويه وقال لأولاده صفعوه فقد أفرط في السخرية فصفعوه فضحك منه فقال المنجم لا بأس ... ذكرتم لي هذا حال عدو ولا تنكروا فأعطاه ... عشرة دراهم ونصف

وأما ركن أولاد أبي شجاع بويه فانهم دخلوا في ... الأجناد فتصاقوا إلى العساكر وما زالوا ينتقلون في خدمة ملوك العجم من واحد إلى واحد ومن حال إلى حال حتى رفع شأن عماد الدولة وتولى الكرج ولاه إياها

مرداويج . ثم نقل منها الى غيرها حتى تملك قطعة من أعمال فارس . ثم عرضت مملكته حتى كتب الى الراضي الخليفة يسأله أن يقاطعه على أعمال فارس في كل سنة بعد النفقات والاطلاقات بما يحمله الى دار الخلافة وهو ثماني مائة ألف ألف درهم على أن يبعث اليه بخلعة السلطنة والمنشور فبعث الراضي اليه بذلك على يد رسول وسلمه وأوصاه أن لا يسلم الخلعة والمنشور اليه حتى يقبض منه المال فلما وصل الرسول اليه غالطه وأخذ الخلعة منه فلبسها والمنشور فقرأه على رؤوس الاشهاد وهو يهدد نفسه بذلك ووعد الرسول بالمال ودافعه مدة . فمات الرسول عنده وعلت الحال بالخلافة فكسب المال واستبد بالأمر * وكان عماد الدولة أول ملوكهم ثم ملك منهم واحد بعد واحد حتى انقضت دولتهم

وأما مبادؤها ففي آخر أمرها ضعف حالها وما زال يتزايد ضعفها حتى انتهت نوبة الملك الى نصر الدولة بن جلال الدولة في ظاهر طغرل بك ووقع بينه وبين كالحار حروب أفضت الى هزيمته . فأسره . ومات في سنة احدى وأربعين وأربع مائة وعليه انقرض ملكهم

* ثم ملك بعد القاهر ابن أخيه الراضي بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدر بن المعتضد بويع في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

كان شاعراً فصيحاً لبيباً جم الفضائل أسخياء . منها أنه آخر خليفة دون له شعر . وآخر خليفة تفرد بتدبير الملك . وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة . وآخر خليفة جالس الندماء ووصل اليه العلماء . وآخر خليفة كانت مراتبه وجوائزه وخدمه وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين

وى أيامه سسه اسس وسسر ں وىلاىمائه عطه أمر مرد وح ىاصهاں
وهو رحل حرح سلاك الىو حى ٠ وقىل به ر ىد ں ىأحد ىعد دو سعل ىدوله
لى الفرس و سطل دوله العرب فورد حىر ى ىام ر صى ىأں علهاں مرد وح
اىفعوا علىه فصلوه

وى أىام لراصى ارىفع أمر ں حسں على ں ىو ىه

وى أىام لراصى صعف أمر حلافه العىاسىه ٠ فكاىت فارس ى ىد على
ں ىو ىه و ارں و صىهاں و لحىال ى ىد حىه حسں ں ىو ىه ٠ والموصل ودىار
ىكر ودىار رىىعه ومصر ى أىدى ى حمدں ٠ ومصر والسأم ى ىد محمد ں
طعح ٠ ىم ى ىدى الفاطمىں ٠ و لأىدلس ى ىد عىد ارحمں ں محمد الاموى
وحر ساں والىلاد الس قىه ى ىد ىصر ں حمد السامان وكاىت وفاه لراصى
ى سىه سع وسں ں ٠ ىلاىمائه

ىر حمه ىں ى ىامه

أول ورر ئه ىو على ں مقله ٠ وهى ور ره الىالىه ٠ں ورر ں ں مقله
ىدل مىها حمس مائه الف دىىار حى سىو ره ار صى ىم سعى لحىد وحرب
فىه وحىف حرله فعرله ار صى و سىو ر عىد ارحمں ں عىسى ں د ود ں
لحرح وقد مضى من أخىار ں مقله ماوه كفاىه

ور ره عىد لرحمں ں عىسى ں حرح

لما فىص ار صى على ںمقله حصر على ں عىسى ں حرح و ر ده
على الوزاره فأبى و مىع و ص ر العحر فاسىسار ه فىمں ىوليه فأشار أخىه عىد
الرحمں ں عىسى فأحصره وقلده لور ره ور كب والموكب ىں ىدىه ٠ ىم ىم
ىطل أىامه واحىلىب الأمور علىه فاسىعى من لور ره فقىص علىه ولم ىكں

له سيرة تؤثر

* وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي للراضي بالله *

لما قبض الراضي على عبد الرحمن بن عيسى استوزر أبا جعفر محمد بن
القاسم الكرخي وكان قد حدث في أيامه قحط فاحتاجوا فيه فضعفوا عن
قوته وتزايد أمر الخلافة وضاع حتى تمكن الكرخي الوزير من مساواة
الخليفة ونقصت هيبته من ذلك وقالوا هذا مؤذن بنقص الدولة فكان الأمر
كما قالوا عليه ، خلعت الأجواد وصفرت الأموال وزراؤه فاستتر قالوا لما أراد
الاستتار قلع زي ملابسه وجلس فيها وخرجت المرملة إلى امرأة مثله وهو
في وسطها وبات مستترة حتى ظفر وصودر ثم خلص

وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد للراضي بالله

لما عجز الكرخي عن النهوض بأعباء الوزارة استحضر الراضي
بالله سليمان بن الحسن بن مخلد واستوزره وخلع عليه خلع الوزارة ثم إنه عجز
عن تدبير الأمور وتعطلت أصحاب السيوف على المملكة فلما رأى الخليفة
الراضي عجز وزيره سليمان بن الحسن بن مخلد راسل أبا بكر بن رائق وهو كان
الأمير فاستماله وسلم إليه الأمور ثم ولاه الإمرة وكلفه تدبير المملكة
فانضم إليه جمهور العسكر وصار أميرا وجند الجند وحضر وبين يدي الخليفة
فاحتجب فوق الوزير واستبد بن رائق بالأمر بالأمور ووقف النظار
والعمال ورفعت المطالعات إليه وورد الحكم في جميع الأمور في نظره ولم يبق
للوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير ومن تلك الأيام ضعفت
الخلافة لسياسته وخرجت الأمور منها واستولى الأعاجم والأمراء وأرباب
السيوف على الدولة وخافوا الأمور وكلفوا الخليفة وقرروا له شيئاً يسيراً

و لمه فاصره ووهن من بومىد ثم لخلافه

* ورر ره ى الفتح الفضل بن جعفر بن لفرب للر صى بالله *

لما سـسوى مه لامر س وعلى لامور سـر على ر صى بالله

بان بولى لور ره للفصل بـ جعفر بـ لفر ب صاه به محدث به لاهو ب

فأحضـه لر صى وقلده وزر ه

حدث بو حسن بن نابت بـ سنان عن ى لحسن على بن هسام

قال لما قلد لفضل بن جعفر بن ر ب ه وه فصب بن عله وكاب

معرولا مسـه فعلب به فتح لك سـدنا بـ احرىن به هـد لو بر

و ـه بور به فقال ا ه وانى حاجـه ى لاحماع به فعلب شىء ن

كسب لـه رقعه مد عن حرلـه به سه تقوم مقام حضو لـ

فقال خاف ن كـ ى لـ سـدعى حضو ى و لسدى معـسه

(متقارب)

وقابله قد صعب لصو ب سكك هد له لحديد

فعلب لها لاعد لـ ـ ولا كان فوللب لا سديد

مسلى طاوعـه بعـ ه على ن برى حاصما مسه بد

كان رحلا مهو مسع صـدر هب لنفس بان لهمه على ق

لخدمات فعلب به لاحو ب عـ وـ فصد فوعرب حى دى

به سعه صدره فوه عسه وكبر همه ى جمع لعسا ر كوب لاحطا تم

نعلب على عمال حورسان لنصـ فاسو ره صى تم عرله وقلد لور ه

سليمان بن لحسن بن مخلد فقد مر ذكره فلا حاجـه ى عادته وهو حر

وزر ثه * نصب أيام لر صى بالله بن المقتدر وو ر ثه

* ثم ملك بعده أخوه المتقي لله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله *
بويع له سنة تسع وعشرين وثلاثمائة . ولم يكن له من السيرة ما يؤثر
واضطربت عليه الأمور . واستولى عليه رجل من أمراء الديلم يقال له توزون
فهرب المتقي ومعه ابنه وأهله إلى الموصل خوفاً على نفسه من حرب ببغداد
وجرت في تلك الأيام حروب ومحن . وفسد أمر الخلافة وأخذ ما كان بها
ثم إن توزون كتب إلى المتقي يستميله وحلف له أيماناً غليظة أنه لا يناله مكروه
من جهته فاغتر المتقي بذلك وانحدر من الموصل إلى بغداد ووصل إلى السندية
من نهر عيسى فخرج توزون إليه والناس كافة فلما رآه توزون قبل الأرض
وكان قد أوصى جماعة من أصحابه بأن يحتاطوا به فاحتاطوا به وأدخلوه
إلى خيمة ثم قبض عليه وسمل عينيه وخلعه وبايع المستكفي . ومات المتقي
في سنة خمسين وثلاثمائة

* شرح حال الوزارة في أيامه

هو سليمان بن حسن بن مخلد على ... به زمنه أيسر . ثم استوزر أبا
الخير حمد بن محمد بن ميمون . ولم يكن له سوى الاسم من الوزارة ولم يكن
له سيرة تؤثر . ثم جرت أمور أدت إلى القبض عليه وإلى عزله

• وزارة أبي عبد الله البريدي للمتقي •

قد سبق شرح حاله ووفود نفسه وجمعه للعساكر . ثم إنه في أيام المتقي
وصل بعد ذلك ومعه جموع كثيرة فأظهر المتقي السرور به ثم استوزره وهو
كاره لذلك . وجرت بينه وبين المتقي من سلاف أدت إلى أنه أزعجه وأفرغه
حمل خمسمائة ألف دينار . ووقعت حروب بين البريدي وأمراء العسكر فنهبوا
داره وانهزم إلى واسط . فكان وقوع اسم الوزارة عليه دون شهر

* ورره ٌى سحاق محمد س ر هيم لاسكافى المعروف بالفر رطى ابه ى *
م نصل ٌامه علىٮ ى له ره حدهد ٌ عس بوما وكاں سٮ و ره
ٌ به حص يوماً مجلس ٮه لامر ٮهو صاد فوما ٮ الكتاب وٮعسه بهه
ٮه يلصوں علىه لحلا الفر رطى ىعص صحاٮ ٮه لامر وقال له ں
سوررنى لامر يهب له أصعاف هٮد ٮحمع له لامول و ا حوحه
لى هد الصدع فاسو ره بو ٮ مد ٮٮهس ٮ ععد ٌامه ٮعس عاٮه ٮ سو
الكرحى فلم عال ٌامه ٌنصا ٮ ٮ فيها نحو حمسين يو ا
ورره الى بدى مره ثاسه

سوورره لمتى وكاسه بالاصعاد ى نعد د فاصعد ٮ و سٮ فاسه
ٮمكث ى ورره دٮن سر وه ســـٮ له ٌمر وحرٮ ٮ ــه وىں لمتى
حرٮ وكاٮ بلك لاىام ىام فتں ولما بوى ٌ يوعد لله ٮ بدى ٮ ره
هحاه ٌبه الفرح لاـه ى ٮعد ٮ كتاب لامى عصٮده وىله ٌٮها
(حه ٮ)

ىا ٮا سقصى ٮا ص ٮىدى هٮد ٮى ٮ ٮ ں له ىاى
(مٮ)

ىا بوى لحر سد ى ٮعوٮ ٮىلىى ٮحلىى المعمود
حس سا حس ىٮ حماس ا ىاى ى ىٮ ود
فىد حاه ا لاىام صعا ٮ عىاد ٮ ــه ٮىه ٮحد
حلىع مخلىع العىلى وله ٮ عصىده حل ٮـىده لمعقود
ورره ى العاس حمد ى ىسد لله لاٮ اى لممى
مكث ى لور ره ٮـىدٮد حمسى ىٮما ومكں ا علىٮ لا عرى

الامور ·وصعف أمر الوزاره والوزراء في ملك الايام صعفاً كثيراً

* وزاره أبي الحسن عليّ بن أبي عليّ محمد بن مقله للمتقي *

استوزره المتقي ولم تطل أيامه وخلع المتقي وهو وزيره انقضت أيام المتقي ووزارته

ثم ملك بعده أبو القسم عبد الله المستكفي بن المكتفي بن المعتضد *

بويع له سنه ثلاث وثلاثين وثلاثمائه ، وورد الخبر اليه بوصول معزّ الدوله بن بويه فخاف خوفاً شديداً و صطرب الناس وأهدى المستكفي الى معز الدوله ألطافاً وفاكهة ووصل معز الدوله الى حضره المستكفي فرد اليه إماره الامراء وأعطاه الطوق والسوار وآله السلطنه وعقد له لواء. وهو أول ملوك بني بويه في لحضره لخلفيه. وهو الذي لقبه معز الدوله ولقب أخاه الآخر عماد الدوله وأمر أن تضرب القابهم على الدنانير والدراهم. ونزل الديلم دور الناس ببغداد ولم يكن يعرف ذلك من قبل. ثم ان معز الدوله ركب يوما الى دار الخلافه وسلم على المستكفي وقبل الارض بين يديه وأمر المستكفي فطرح كرسيّ فجلس عليه معز الدوله ثم تقدم الى المستكفي رجلان من الديلم بمواطأه معز الدوله فمدا أيديهما نحوه فظن المستكفي انهما يريدان تقبيل يده فمد يده فجذباها وتكساه من السرير ووضعا عمامته في عنقه وسحباه فنهض معز الدوله وضربت البوقات والطبول واختلط الناس ودخل الديلم الى حرم الخليفه وحمل المستكفي الى دار معز الدوله فاعتقل بها وخلع من الخلافة ونهبت داره وسملت عيناه ولم يزل في دار السلطنه معتقلا حتى توفي سنة ثمان و اربعين وثلاثمائه

* شرح حالى الوزارة فى أيامه *

أول وزرائه السامرىّ ابو الفرج محمد بن علىّ . لم يكن له حكم ولا استبداد ولم تطل أيامه وقبض عليه وهجاه بعض الشعراء بقوله

(كامل)

الآن إن كفر المقدر رزقه	قالوا كرب خف عقاب النار
أأكون رحلى مركبى وحسدى	حتى على دلّ بذاك وعار
والسرّ من رقّ فى اصطبله	ما شاء نحو فاره محتار
كلت حمار بالخمول وكاتب	فطن يصبو به كراء حمار
أنا قد دهست فمرقونى ثم	هذا من الانصاف فى الاقدار

ثم اضطربت أحوال الخلافة فلم يبق لها رونق ولا وزارة وملك البويهيون وصارت الوزارة من جهتهم ولاعمال التهم ووفر للخلفاء شىء طفيف برسم إخراجاتهم فانقضت أيام المستكفى ووزرائه

ثم ملك بعده المطيع لله أبو القسم الفضل بن المقتدر

بويع سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وكان أمره ضعيفا فى ايامه رد الحجر الاسود الى مكانه وكانت القرامطة الخوارج قد أخذوه ثم ردوه فقالوا قد اخذناه بأمر ورددناه بأمر . وقوى الفالج على المطيع وثقل لسانه فدخل اليه سبكتكين حاجب معز الدولة فدعاه الى خلع نفسه ومبايعة ولده الطائع فخلع ذلك وشهد الامر لولده وخلع نفسه . ومات فى سنة اربع وستين وثلاثمائة

ثم ملك بعده ابنه عبد الكريم ابو بكر الطائع لامر الله

بويع له سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

كان الطائع شديد المنة . كان قد استفحل سده فى النسيان كبس حلى

وما حسر أحـد أن يدنو منه فخرج الطائع اليه فحمل الـكلس عليه فسب له حتى مكن يديه من فرسه ثم سـدني بحاراً وأمره فقطع فرسـه بالمسار فقطعه النجار وهما في يد الطائع

وفي أيامه فوت سوكة آل بويه ووصل عضد الدولة الى بغداد واتسع حكم البويهيين . ثم قبض البويهيون على الطائع في سـنة احـدى وثمانين وثلاثمائة وبويع بعده للقادر فصب أيام الطائع لله

ثم ملك بعده القادر ابو العباس احمد بن اسحاق بن المقتدر

وبويع له سنة احدى وثمانين وثلاثمائة

كان القادر من أفاضل خلفائهم حسن الطريقة والسيرة كثير ... ولد بن والمعروف والعبادة ... بني ... بهاء الدولة بن عضد الدولة على بلده في ... الف دينار وفي أيامه ترجع ... الدولة العباسية وبني ... وحدث ... في ... في الخلافة ... الي ... ثمانين وثلثمائة ... ربع مائة

ثم ملك بعده ابنه ابو جعفر عبد الله القائم بأمر الله

بويع في سنة ... وعشرين واربع مائة

كان القائم من أفاضل خلفائهم وصالحيهم . وطالت مدته في خلافته ... به ... الدولة ... فيها ، وفي أيامه عرضت دولة بني بويه وضربت دولة بني سلجوق

. شرح حال لدولة السلجوقية وبدايتها وانتهائها .

هـذه دولة فوت سوكتها وعظمت مملكتها وصـدت ... في الحصة الخليفة . واستولت على الخلافة . وخطب لها على المنابر . و... اسماء

ذكر ابتداء حالهم

هم قوم أصلهم من الترك الخزر وكانوا يخدمون مع ملوك الترك . ونشأ جدهم سلجوق وكان أمارات النجابة لائحة عليه . ودلائل السعادة ظاهرة على حركاته . فقربه ملك الترك وخصص به . اسمه سباشي . ومعناه في لغتهم قائد الجيش . فسمع سلجوق بعلو همته وسمال قلوب الرجال بكرمه وعقله وعادت لا كان اليه . فقالت زوجة ملك الترك قالت [illegible] ... ولا تعلماً ملك وإرأى عندي أن تقتله فقد كبر في الناس اليه فقال هذا سوف نصير ما أصنع في أمره ثم حس سلجوق شيئاً من ذلك العزم وصوله العسكر فجمع عسكره ومن يطيعه وحاله بهم وسار حلب من أطاعه وسار قائداً معصماً للعز ونفر بهم من بلاد الترك الى بلاد المسلمين . فلما دخلها أخبر الاسلام ليكون المسلمون عوناً له وليمكنوه من الترك والمساكن فنزل بالجند وقع في مروهن فارقه من أصناف الترك وكان لملك الترك إتاوة على تلك البلاد المتاخمة له فقطعها سلجوق وطرد نوابه ومات سلجوق وعمره مائة سنة . ثم نشأ أولاده في القوة والمنعة والدولة فاستولوا على كل موضع يصعدوه من بلاد العجم . وما زال مرهم حتى جى ملك طغرلبك وهو أول سلاطينهم طائفة من بلاد العجم . وما زال امره يقوى حتى غلب البساسيري على بغداد وبهاء وقطع من بها وأخرج الخليفة القائم بحسبه بقلعة الحديثة . وكانت منه البساسيري فتنة عظيمة . فحينئذ كتب القائم الى طغرلبك السلطان يدعوه الى بغداد لنصرة على البساسيري فسار طغرلبك قاصداً الى بغداد . فلما سمع البساسيري بذلك انتقض عليه امره وفارق بغداد ودخل طغرلبك الى بغداد وأعاد

رونق الدولة الخليفية وخطب له بالسلطنة على منابر بغداد . وكان ذلك أول سلطنتهم بالحضرة * وأما انتهاؤها فانها ما زالت أمورها تضعف حتى انقرضت بالكلية في أيام الناصر . وذلك في سنة تسعين وخمس مائة فسبحان الله * ومات القائم في سنة سبع وستين واربع مائة

* شرح حال الوزارة في أيامه *

وزر له فخر الدولة ابو نصر محمد بن محمد بن جهير

* وزارة ابن جهير *

كان فخر الدولة من عقلاء الرجال ودهاتهم كان في ابتداء أمره فقيراً مدقعاً وترامت به الاسباب . فمن مبادئها أنه كان جالساً بالكرخ يوماً فمر عليه غسال ثياب يغسل بالخرابات ومعه لصوص عبر قد استحالت ألوانها فاشترى منه ثلاثة دنانير وجلا بعضها فخرج أحدها ياقوتاً أحمر . وخرج الآخر فيروزجاً جيداً فصاغ الكل واحد منهما خاتماً من ذهب . ثم انه تقلبت به الامور حتى مضى في رسالة الى ملك الروم فبذل له الخاتمين فأعطاه عشرين الف دينار فكانت أصل غناه ونعمته ثم تنقل في الخدمات حتى اتصل بابن مروان صاحب ديار بكر فخدمه مدة وأرى عنده ثروة صحيحة فسمت همته الى وزارة الخليفة فأرسل سراً الى القائم وعرض عليه نفسه وبذل له ثلاثين الف دينار فأرسل القائم بعض خواصه في رسالة الى ابن مروان . وكان غرضه من إرسال ذلك الرسول أن يجتمع بفخر الدولة سراً ويقرّر معه ما أراد . ثم لما أراد الرسول الرجوع الى بغداد خرج فخر الدولة كأنه يودعه فانحدر معه الى بغداد . وكان قبل ذلك قد فرّق أمواله بالبلاد وأنفذ منها شيئاً الى بغداد

فلما وصل الرسول الى بغداد وصحبه فخر الدولة أرسل القائم اليه أصحابه يلقونه . ثم خلع عليه خلع الوزارة ونهض فخر الدولة بأمور الوزارة أحسن نهوض . وكانت الاطراف المتاخمة للعراق عاصية على الخليفة . وكان ملوكها أصدقاء فخر الدولة فكاتبهم وراسلهم واستمالهم فدخلوا في طاعة الخليفة . ثم عزل فخر الدولة عن الوزارة بسبب كدر جرى بينه وبين نظام الملك وزير السلطان . ثم أعيد فخر الدولة الى الوزارة ولما أعيد الى منصبه قال ابن الفضل الشاعر يمدحه (رجز)

قد رجع الحق الى نصابه وأنت من دون الورى أولى به
ما كنت الا السيف سلته يد ثم أعادته الى قرابه

ولما عاد الى الوزارة فرح الناس به فرحاً شديداً فقال ابن سعاء [؟] وزرآه لم يكن بملك غيره وتصدق بلحمه فأعطاه الوزير بغلا بآلته وأعطاه معه ستاً من الذهب

ولما مات القائم قام الوزير فخر الدولة بأخذ البيعة للمقتدي أحسن قيام وكانت مدة وزارته للخليفتين القائم والمقتدي خمس عشرة سنة وشهراً . ومات بعد ذلك في سنة ثلاث وثمانين وأربع مائة

* وزارة رئيس الرؤساء عليّ بن الحسن بن احمد بن محمد بن عمر بن المسلمة *

كان وزير القائم قبل ابن جهير . ومن أجله وقعت فتنة البساسيري . وكان قبل الوزارة أحد المعدلين ببغداد وممن له معرفة بالفقه وأنس بالعلم وروايته الحديث وحلّ أمره . وعظمت منزلته . ووقع بينه وبين البساسيري الى الحارث التركي . وكان أحد الامراء فاقتضى الحال أن البساسيري هرب ثم جمع الجموع وورد الى بغداد واستولى عليها . ثم ظفر بابن المسلمة رئيس

الرؤساء فثل به

فى حمله ما فعل به أنه حبسه ثم أخرجه مقيداً وعليه جبة صوف وطرطور من لبد أحمر وفى رقبته مخنقة فيها جلود مقطعة شبيهة بالتعاويذ وأركب جماراً وطيف به فى المحال ووراءه من يصفعه بجلد وينادى عليه ورئيس الرؤساء يقرأ (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) وشهره فى البلد

فلما اجتاز بالكرخ نثر عليه أهل الكرخ المداسات الخلق وبصقوا فى وجهه ووقف بإزاء دار الخلافة من الجانب الغربى . ثم أعيد وقد نصب له خشبة فى باب خراسان فأنزل عن الجمار وخيط عليه جلد ثور قد سلخ فى الحال وجعلت قرونه على رأسه وعلق بكلاب فى حلقه وشنق فى الخشبة حتى إلى أن مات من يومه * انقضت أيام القائم بأمر الله ووزرته

* ثم ملك بعده ابن ابنه المقتدى بأمر الله *

وهو أبو القسم عبد الله بن ذخيرة بن القائم * بويع فى سنة سبع وستين وأربع مائة

كان المقتدى بالله الهمة خيّراً بالأمور من أفاضل خلفائهم فمن له مع السلطان ملكشاه واقعة عجيبة . كان السلطان ملكشاه قد قصد بغداد فوصلها فى سنة خمس وثمانين وأربع مائة . وقد تغيّر نيته على المقتدى . فأرسل ملكشاه إلى المقتدى يقول له تخرج من بغداد وتسكن أى بلد شئت فانزعج المقتدى من ذلك وطلب منه أن يمهله شهراً . فقال ملكشاه ولا ساعة واحدة وتردّدت الرسل بينهما . ثم استقرت الحال بوساطة تاج الملك أبى الغنائم وزير ملكشاه أن تؤخره عشرة أيام . فقال ملكشاه نعم . وفى عيد الفطر

صلى السلطان وخرج إلى الصيد . ثم ومضى وقبض في نصف شوال وضبط
زوجته وبنته خاتون العسكر بعد موته . فسعى مع المقتدي وسبب لها
محمود في السلطنة . وعمره يومئذ ست سنين فخطب له وخلع المقتدي عليه
وخرج العسكر وخاتون وابنها محمود بن ملكشاه الى إصبهان وكفي الله
المقتدي شر ملكشاه . . توفي المقتدي فجأة في سنة سبع وثمانين وأربع مائة

* شرح حال الوزراء في أيامه *

لما بويع المقتدي بالخلافة أقرّ فخر الدولة بن جهير وزيراً على وزارته
وقد مضى من سيرته ما يغني عن ذكر شيء آخر

* وزارة ابنه عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير للمقتدي *

كان القائم والمقتدي يرسلانه في رسائل الى السلاطين فيحتج على يده
وكان فاضلاً حصيفاً . فاستخلاه نظام الملك وزير السلطان وكان يعجب منه
ويقول وددت أن لي ولداً مثله . ثم زوجه بنته واستوزره المقتدي وفوض
الامور اليه . ثم عزله بسعي له نظام الملك فأعيد الى الوزارة . فقال ابن الهبارية
الشاعر في ذلك يهجو عميد الدولة (بسيط)

لولا صبيّة ما استوزرت ثانية ... فاشكر حِراً صِرت مولانا الوزير به

صبيّة هي بنت نظام الملك الوزير التي تزوجها عميد الدولة . ثم وقع بين
عميد الدولة وبين سلاطين العجم . فطلبوا من الخليفة عزله وأشار أصحاب
الخليفة بذلك . فعزله وحبس بباطن دار الخلافة ثم أخرج ميتاً فدفن . وكان
يقول الشعر فمن شعره (بسيط)

الى متى أنت في حِلّ وترحال ... تبغي العلى والمعالي . بئرها عال
يا طالب المجد دون المجد ملحمة ... في طيها خطر بالنفس والمال

وللبالى صروف فلما انحدرت   الى مراد امرئ تسعى بلا مال

جـ وزاره أبى شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الهمدانى للمقتدى *

كان رجلا دينا خيراً كثير الخير والبر والصدقة . ووقف له على بيت حرج على وجوه البر والصدقات خاصة بما قدره مائه وعشرون الف دينار وكان الذى أورد هذا البيت كاتباً من جملة عسر ه كتبه بكتبون صدقاته خاصه ولما ولى ظهير الدين المذكور كتب اليه ابن الحريرى صاحب المقامات

(مقارب)

هنيئاً لك الفخر فاخر هنيئاً   كما قد ورثت مكاناً عليا

وبت كأنك لا كرة بين   لدست الوزارة كفئاً رضيا

تحملت أعباءها ما فعلا   كما أوتى الحكم يحيى صبيا

كان يصلى الظهر ويجلس لكشف المظالم الى وقت العصر وكان الحجاب ينادون فى الناس من كانت له حاجه فليعرضها

ومن مناقبه أنه لما وقعت الفتن بين السنه والشيعه بالكرخ وباب البصره من مدينه السلام تعاصى عن اراقه الدماء عانه التعاصى حتى قال له المقتدى . ان الامور لا تمشى بهذا اللين الذى تستعمله . وقد أطمعت الناس بحلمك وتجاوزك ولا بد من نقض دور عشره من كبار اهل المحال حتى تقوم السياسه وتسكن هذه الفتن . فأرسل الوزير الى المحتسب وقال له قد تقدم الخليفة بنقض دور عشره من كبار اهل المحال ولا تمكننى المراجعه فيهم وما آمن ان يكون فيهم أحد غير مستحق للمؤاخذه او ان يكون الملك ليس له فأريد ان تبعث بقاتك الى هذه المحال وتشترى املاك هؤلاء المتهمين فاذا صارت الاملاك لى نقضها وأسلم بذلك من الاثم ومن سخط الخليفة ونقده

النمن فى الحال . فعمل المحتسب ذلك . ثم بعد ذلك ارسل وعصبها * وحج بيت الله تعالى ولم تؤرخ عن وزير أنه حج فى ايام وزارته الا هذا فان الوزراء قبله كانوا محجوبين بعد خلوهم من الوزارة الا البرامكة فانهم حجوا فى حال وزارتهم وطلب السلطان جلال الدولة ملكشاه من المقتدى عزل هذا الوزير فخرج توقيع المقتدى بعزله على حاله جميلة لم تصف فى عملها وزير و صرف الى داره وهو ينشد (وافر)

تولاها وليس له عدوّ وفارقها وليس له صديق

ثم اعتزل وزهد ولبس ثياب القطن وتوجه الى الحج وأقام بمدينة الرسول صلوات الله عليه وسلامه فكان يكنس المسجد النبوى ويفرش الحصر ويشعل المصابيح وعليه ثوب من خليط الخام وبدأ بحفظ القرآن وختمه هناك وله شعر لا بأس به فمنه قوله (خفيف)

ان من شبث الجمع من السمــــــــل قدر أن جمع أهلا

لسب مستثنيا وان طال هجر رب هجر يكون عقباه وصلا

واذا أعقب الوصال فراقا كان ذلك الوصال فى القلب أحلى

ومات رضى الله عنه فى سنة ثلاث عشرة وخمس مائة باعقب ايام المقتدى بأمر الله وورائه

* ثم ملك بعده ابنه المستظهر بالله أبو العباس أحمد *

بويع له بالخلافة فى سنة سبع وثمانين وأربع مائة

كان المستظهر كريما وصولا حسن الاخلاق كثير الهيبة جليل البركة مهذب الخلال محبا للخير مبغضا للظلم * فى أيامه نشأت حال الباطنية واستولوا على المعاقل والحصون بخراسان وكان اصل دعوتهم بخراسان الحسن بن صباح

وهو رجل أصله من مرو ، وسافر الى مصر وأخذ من دعاة آل أبي طالب
بها المذاهب وكان رجلا ذا دهاء وصاحب حيل . ثم إنه رجع من مصر الى
خراسان وصار داعياً لآل أبي طالب وتوصل بأنواع الوصلات حتى ملك
قلعة من بلاد الديلم تعرف بالرودبار فلما ملكها قوي أمره واستهوى طوائف
من الناس وفشا مذهب الباطنية ونمى واعتقده خلق من الأكابر في باطن
الأمر وما زال يستفحل أمرهم الى أن قصدت العساكر المغولية قلاعهم
وفعلت بها ما فعلت وفاة المستظهر في سنة اثنتي عشرة وخمس مائة

شرح حال الوزارة في أيامه

لم يكن للوزارة في أيامه كبير أبهة . فمن وزرائه زعيم الرؤساء أبو القاسم
علي بن فخر الدولة بن جهير لم تطل أيامه ولم يكن له من السيرة ما يؤثر ، وبعد
سنين من وزارته عزل وقبض عليه

وزارة أبي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب للمستظهر

كان رجلا كافياً من كفاة الدولة العباسية . استوزره المستظهر بعد زعيم
الرؤساء بن جهير وكان قبل الوزارة يلي ديوان الزمام . حدث عنه بعض
أصحابه قال دخلت يوماً اليه قبل الوزارة وهو صاحب ديوان فرأيته مفكراً
مضطرب الخاطر فسألته عن السبب فقال كنت قد أنهيت الى المستظهر في
السنة الخالية جهادي في عمارة البلاد وضبطي للارتفاع وتوفيري للحاصل
وقلت قد حصل في هذه السنة ارتفاع ألف كرّ من السنة المستقبلة يحصل
منه دون ألف كرّ فخرج جوابه بشكري والثناء عليّ وتشريفي بشيء من ثيابه
فلما وقفت هذه ثمرة الاجتهاد ثم جردت همتي للعمارة واستنفدت جهدي
وطاقتي في عمارة السنة فاتفق أن انحدر شيء قليل من الارتفاع عن

كسر وحرت أحوال أخر افسصت حقوق الارتفاع بحسب نقص عن ارتفاع السنة الخالية حملة فكتب مطالبة الى الخليفة أعرفه فيها حقوق الارتفاع وذكرت له كنه الحاصل ولم أشرح له السبب في قصة الارتفاع وقلت في نفسي ان سألني عن السبب شرحته له فخرج جوابه لي بشكري وثنى عليّ وسروي بشيء من ثنائه كما قال في السنة الخالية فقلت في نفسي وا ويلاه هذا حالي معه في حالة الاجتهاد والتقصير وقد شكرني على الحالين المتناقضين وهذا يدل على أنه لا يفكر فيما نقوله ونعمله. فما تؤمني أن يقص من هو قريب اليه من أعدائي بعرض بلية في أمري ما يكون سبباً لهلاكي فلا سأمل العصمة بل عدم تمام بواقي عرض القدح. قال الحاكي فقلت له تقدك الله ونعتك مما تحذر. وما رحت حتى سلمته وأزلت عنه وكان هذا أبو المعالي ابن المطلب من علماء الوزراء، فاضلهم وأخيارهم. انقضت أيام المستظهر بالله ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه المسترشد ابو منصور الفضل بن المستظهر بالله ، بويع في سنة اثنتي عشرة وخمس مائة

كان المسترشد رجلا فاضلا. ولما بويع بالخلافة هرب أخوه الامير أبو الحسن وأخفى نفسه ومضى الى حلة مستجيراً بدبيس بن صدقة صاحب الحلة وكان دبيس بن صدقة أحد جود الدنيا. كان صاحب الدار والجار والحمى والذمار. وكانت أيامه أعياداً وكانت حلته في زمانه محط الرحال . وملجأ بني الآمال. ومأوى الطريد. ومعتصم الخائف الشريد. فأكرمه دبيس اكراماً زائداً عن الحد وأفرد له داراً . أكرمه كرماً كثيراً ومكث عنده مدة على أحسن حال. فلما علم أخوه المسترشد بالله به عند دبيس

فلو لذلك وخاف من أمر يحدث من ناحيته . فبعث نقيب النقباء علىّ ابن طراد الزينبيّ الى الحلة بجماعة وأمانه . وأمره ان يأخذ البيعة على دبيس ويطلب منه أن يسلم اليه الامير ابا الحسن . فقال دبيس أما البيعة فالسمع والطاعة لامر أمير المؤمنين ونابع . واما تسليم جاري فلا والله لا أسلمه اليه وهو جاري وبربلي ولو قتلت دونه الا ان اختار . فأبى الامير أبو الحسن التوجه صحبة النقيب الى أخيه فمضى النقيب وحده . ثم بعد ذلك ظفر به المسترشد فسجنه فى بعض دوره على حالة جميلة وجرت بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وحشة وتفاقم الامر منها وأفضى الحال الى الحرب . فتوجه الخليفة المسترشد وصحبه العسكر وأرباب الدولة . وتجهز مسعود لقتالهم . فلما التقوا والتحم القتال تكسر عسكر المسترشد واستظهر السلطان مسعود عليهم ونهب عسكره من العسكر الخليفيّ أموالا عظيمة فقال ان صناديق المال كانت على مائة وسبعين بغلا وهي أربعة الف الف دينار وكان الرحل على خمس مائة جمل . وكان معه عشرة الف عمامة . وعشرة الف جبة . وعشرة الف قباء . كل ذلك من فاخر الثياب كان قد أعدها للبشر فات ان ظفر فقال ان جملة ما نهب عشرة الف الف دينار ونهى مسعود عن اراقة الدماء وقبض على أصحاب الخليفة وحملهم الى القلعة . وأما الخليفة فأفرد له خيمة ووكل به جماعة . وسار مسعود والخليفة معه الى مراغة فوصل كتاب السلطان سنجر الى مسعود يأمره بالاحسان الى الخليفة واعادته الى بغداد مكرما معززاً وأن يلاقى الخاطر معه وأن يرد عليه أمواله وأن يحمل له من الحشم والترك والاسباب أعظم وأجمل مما ذهب منه ويبعثه الى بغداد على أتمّ حال فامتثل مسعود جميع ذلك وصنع له من الترك والاسرة والخيم

والحمول أشياء حمله . ووقع العرم على العود الى بعداد . وانقضب عمله من مسعود والعسكر فهجم جماعة من الباطنية على المسترسد فضربوه بالسكاكين في خيمته بقربه منها وبن مراغه فرسخ وحد وقتلوا معه جماعة من أصحابه وحين علم مسعود بذلك ركب مبرحاً . ط براً للجزع وأخذ القوم فقتلهم . ثم نقل المسترشد على رؤس العلماء والامراء الى مراغه فدفن بها . وقبره الآن بها معروف تحت قبة حسنة رأيتها عند وصولي الى مراغه في سنة سبع وسبعين وستمائة

واختلف الناس عند قتل المسترسد في سبب قتله . فقال قوم ان مسعودا لم يعلم بذلك ولا رضي به . وقال قوم بل مسعود هو الذي واطأ الباطنية على قتله وأمرهم بذلك لانه خافه حيث قوى نفسه على جمع الجموع وجر الجيوش ولم تمكنه قتله ظاهراً ففعل ما فعل من لاحسان اليه ظاهراً ثم قتله باطناً . ثم انه أخرج جماعة من أهل الجرائم فصلبهم وأوهم الناس أنه قد قتل قتلته . ثم أطلقهم سراً . وذلك في سنة تسع وعشرين وخمس مائة

* سرح حال الوزارة في أيامه *

من أفاضل وزرائه أبو على الحسن بن علي بن صدقة . كان فاضلا بحراً عالماً بعوامض الرئاسة خبيراً . ستوزره المسترسد سنة ثلاث عشرة وخمس مائة ولقبه بجلال الدين سيد الوزراء صدر الشرق والغرب ظهير أمير المؤمنين وكان له معرفة بالحساب وأعمال السواد عز به لا يسب اليه شيء من الكرم ثم ان المسترشد قبض عليه وعزله عن الوزارة ولم تكن ذلك عن ارادة من المسترسد و نما دعته الضرورة الى القبض عليه لان وزير السلطان كان يبغض عليه

ثم بعد ذلك بمدة زال المانع فأعاده المسترشد الى وزارته وخلع عليه خلع الوزارة وتقدّم الى أرباب الدولة بالسعى بين يديه الى الديوان * وهو أول وزير مشى أرباب الدولة بين يديه رجالة

كان الوزير ابن صدقه يوماً جالساً فى دست الوزارة فدخل عليه سديد الدولة بن الأنبارى كاتب الانشاء وفى كمّه أبيات قد هجا فيها الوزير فسقطت الرقعة من كمّه فى يد الوزير بديهاً وتناولها فكان فيها من جملة أبيات

(بسيط)

أنت الذى كونه فساد   فى عالم الكون والفساد

فلما رآها سديد الدولة فى يد الوزير سقطت فى يده خوفاً وخجلا . فلما قرأها الوزير فطن القصة وصرف لمحو عن نفسه الى سديد الدولة . وقال عرف هذه الابيات ومن جملها

ولفمه السديد جهلا   وهو برئٌ من السدد

فنظر الوزير هذا البيت فى الحال فاستحى السديد بن الانبارى وأمسك عن الجواب

ولما عزم السلطان سنجر على الوصول الى بغداد وتوعد الخليفة كتب اليه الوزير بن صدقه والله لئن تحرك لأعطين جميع ما وراءك عنك وأقطعك عنه فلئن سرت فرسخا لأسيرن اليك فرسخين

ومرض الوزير أبو علىّ بن صدقه فى آخر أيامه فعاده المسترشد وأنشده

(طويل)

دعوا لك لآفات حتى اذا أتت   بريدك لم تسطع لها عنك مدفعا

ولم يزل أمره يضمحل حتى توفى فى سنة اثنتين وعشرين وخمس مائة

* وزارة الشريف أبي القاسم علي بن طراد الزينبي *

هو أبو القاسم علي بن طراد بن محمد نقيب النقباء ابن أبي القاسم علي نقيب النقباء ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وانما عرفوا بالزينبيين لأن أمهم زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس — هو ا . كان معروفا من المعرفة مع الوزارة بأسباب الرئاسة وهو الذي جمع الناس على خلع الراشد . وقام في خلعه وأخذ البيعة للمقتفي في المقام العظيم واتفق مع السلطان مسعود على ذلك وهو زور لخلفين المسترشد والمقتفي

ولما استوزره المسترشد شافهه بالولاية قال له كل من رتب اليه الوزارة سواك فانه ما إلا أب عالب لوزارة سواك وحمل اليه الدست الكامل من دار الخلافة . وتقدم إلى أرباب المناصب بالسعي بين يديه إلى الديوان ومكث على ذلك مديدة . ثم قبض عليه المسترشد وعزله . ثم أعاده إلى أحسن ما كان عليه . فلما خرج المسترشد الى حرب مسعود كما تقدّم خرج معه الوزير . فلما جرى على المسترشد ما جرى حظي الوزير عند السلطان مسعود وقربه وأعلى محله وقد صحبه إلى بغداد . وقام الوزير بين يديه في خلع الراشد وإجلاس المقتفي في المقام الذي عزمه له مسعود وشكره عليه وبالغ أخباره ترد عند ذكر وزارته للمقتفي

* وزارة الوزير أبي نصر أحمد بن الوزير نظام الملك للمسترشد *

كان كريماً جميل الصورة وزر للمسترشد بالله فشكرت سيرته . لما عزم المسترشد على عمارة سور بغداد قسط على الناس خمسة عشر ألف دينار فقام الوزير أبو نصر بها وأداها عن الناس من ماله . وقد طال أيامه فوق

في سنة أربع وأربعين وخمس مائة

* وزارة أنوشروان بن خالد بن محمد القاساني للمسترشد *

كان رجلا من أفاضل الناس وأماثلهم وأخيارهم تولى الوزارة للسلاطين والخلفاء . وكان يستعمل من الوزارة ويخاف الى ذلك ثم يخطب لها فيحضر كارهاً . هو الذي صنف له بن الحريري المقامات الحريرية واليه أشار في أولها بقوله فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم

طلب الأرجاني الشاعر من الوزير أنوشروان خيمة فأرسل اليه بدنانير كثيرة وقال له شتر بها خيمة فقال الأرجاني في ذلك

(منسرح)

لله در بن خالد رجلا أحيا لنا الجود بعد ما دفنا

سألته خيمة ألوذ بها فجاد لي ملء خيمة ذهبا

وكان أنوشروان بن خالد كثير التواضع مشهوراً بذلك يقوم لكل من دخل عليه فهجاه بن الهبارية الشاعر بقوله (بسيط)

هذا تواضعك المشهور عن صغة يبدو ثمن أجلها بالكبر بينهم

قعدت عن صلة الراجي وثبت له قد وثوب على الطلاب لا لهم

وفيه يقول أيضاً يشير الى كثرة قيامه (بسيط)

رأيت مسرورة تعطى مراوداً في يد الغلام

فقلت لا تعرضن لشرب الدواء من غير ما سقام

فإنه حاجة الية فانه دائم القيام

وكان بين أنوشروان بن خالد وبين الوزير الزيني عداوة وتباغض وتنافس على الوزارة فعزل الوزير الزيني وتولى أنوشروان بن خالد فعرّف

الناس اليه سلب الزيني فدخل الحمص نص الشاعر عليه وأنشده قصيدة أولها (كامل)

سكراً لدهري بالصبر وبالهم لما أعاض سمع عن ... منه

... الى أنوشروان ... الزيني فاستحسن الناس منه ذلك و ... به على وفاته ... ثم إن انوشروان بن خالد مات وأسند الزيني الى الوزارة فمرّت الناس اليه تهنيه أنوشروان فدخل عليه الحمص نص وانشده (طويل)

... ولا ... مدت اسطاري يوم فقدان خالد

ومات انوشروان في سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة ... أيام المسترشد بالله ووزرائه

ثم ملك بعده ... الراشد بالله ابو جعفر منصور بن المسترشد

بويع له بالخلافة عقب وصول الخبر ... سنة سبع وعشرين وخمس مائة وجهز الراشد عسكراً كثيفاً وتوجه محاربة مسعود. وتوجه مسعود نحو العراق طالباً لمملكته فوصل الى بغداد في خمسة الف فارس ودخلها فكف الراشد ... وخرج منها متوجهاً الى الموصل . ودخل السلطان مسعود بغداد وسلم ... الامور فيها وأظهر العدل ومنع ... وجمع القضاة والشهود وأخذ خطوطهم بالقدح في الراشد وكتب محضراً ... الراشد واشهد على القضاة ... ذلك له الوزير الزيني . وكان مسعود قد سار الزيني فيمن يوليه الخلافة فقال له يامولانا هناك رجل يصلح لها فسأله عن اسمه فقال له يامولانا ان سميته أخاف أن يقتل ولكن اذا دخلنا بغداد سميته لك . فلما احتاجوا الى اخلاص خليفة سمى الزيني له أبا عبد الله محمداً

المقتفي عم الراشد فبايعه وأجلسه على سرير الخلافة . ثم ان الراشد لم يمهله
بالموصل أمر فسار عنها الى اصبهان فوثب عليه جماعة من الملاحدة فقتلوه على
باب همذان . وذلك في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . وقبره هناك معروف

* شرح حال الوزارة في أيامه *

لما أفضت الخلافة اليه استوزر جلال الدين أبا الرضى محمد بن صدقه
وهو [illegible] أيامه . وخاف مما جرى فالتجأ الى زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل
فأجاره وأصلح أمره . ثم لما خرج الراشد من بغداد بعده استخدم هذا أبو
الرضى في بعض خدمات غير الوزارة . وتوفي في سنة ست وخمسين وخمس
مائة . ولم يكن له من السيرة ما يؤثر . انقضت أيام الراشد ووزرائه

ثم ملك بعده عمه المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر

بويع له بالخلافة سنة ثلاثين وخمس مائة

كان المقتفي من أفاضل الخلفاء . ولما أجلسه مسعود وبايع له وكان قد
أخذ جميع ما بالدار للخلافة من ذهب وأثاث ورحل وسير ذلك وصرف
نوابه في جميع أعمال العراق وأرسل الى المقتفي يقول له اذكر ما تحتاج اليه أنت
وكل من يتعلق بك حتى أعين لك به اقطاعات . فأرسل اليه المقتفي يقول ان
بالدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة لسقي عالم فانظر أنت كم يحتاج اليه
من يشرب في كل يوم ماء يحمله ثمانون بغلا فقال مسعود لقد أجلسنا في
الخلافة رجلا عظيما فالله تعالى يكفينا شره . وجرت في أيامه فتن وحروب
بينه وبين سلاطين العجم كانت الغلبة فيها له . وثار في أيامه العيارون
المفسدون . ثم قمعهم أتم قمع . وتوفي المقتفي في سنة خمس وخمسين
وخمس مائة

* سـ ح حال الوزارة في أيامه *

أول وزرائه الرشيد أبو القاسم علي بن طراد العباسي وزير أخيه المسترشد استوزره حين بويع لانه هو لذي قام في بيعته وأشار على مسعود بهومكث مدة في وزارة المقتفي . ثم جرت بينه وبينه وحشة خاف فيها منه فاستجار بدار السلطان وأقام بها مدة معتصما من المقتفي الى أن وصل الخليفة من جهة السلطان في معناه فأذن في عوده الى داره مكرماً فانصرف الى داره وأقام بها على قدم البطالة وصحة أمره ورق حاله ولبى شيئاء عظيما وصادقه سديده حتى انه مرض فاشتهى نفسه شيئاً من المسموم ولم يقدر على ثمنه وقد كان أبقى أكثر . له لما كان مستجيراً بدار السلطان على حواشيه وأتباعه وأرباب دولته وكانت موهبته داره على أكثر أرباب الدولة وسيرة من العلماء والوافدين والطالبين . ولما مرض مرضه التي مات فيها كتب اليه المقتفي رقعة يسميله فيها وبعده بكل جميل فتمثل الوزير

(طويل)

تبت وحاص الموت بيني وبينها وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

وقال وصاني حفظ حرمي وطفالي . فلما توفي قام المقتفي بجميع ما يحتاج اليه أولاده وصغاره وأجرى عليهم جرايات الكثيرة

• وزارة نظام الدين أبي نصر المظفر بن علي بن محمد بن جهير النقد ذي للمقتفي كان له أنس بالعلوم وخاصة بالحديث النبوي صلوات الله على صاحبه ولم تطل أيامه ولم يكن له من السيرة ما يؤثر

وزارة مؤيد الدولة أبي القاسم علي بن صدقة للمقتفي *

منه بيت مشهور بالوزارة معروف بالرئاسة . وكان مؤيد الدولة حسن

الصوره والخلق آكن لا علم عنده نعواس الوزاره. وكان كثير التعبد والصدقه اسووره لخليفه المقتفى لامرالله. قالوا كان هذا مؤثر الدوله الوزير قليل الاشتغال بالعلم. وكان ضعيف القراءه فى الكتب. وكان قد أدمن فى قراءه جزء واحد من أجزاء القرآن وفى كتاب وحده من كتب الأدب فكان لا يزال الجزء المذكور والكتاب بين يديه يقرأ فيهما فرءه حسده فخفى على الناس حاله مده وزارته. فلما مات ظهر ذلك منه ولم يكن له من السيره ما يؤثر

عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيره للمقتفى وزاره

ولد بنشيه من قريه تعرف بالدور من أعمال دجيل تعرف اليوم بدور الوزير سنه ٤٩٩ بن هبيره. وكان أبوه أكاراً بالقريه المذكوره. وكان يحث ولده على تحصيل الأدب و درك الفوائد. وكان يردده صغيراً الى بغداد ويحضره الى مجالس الصدور وصدور المحافل وكان هو كما قيل

(مديد)

ولها من غير ما طرب

ومات أبوه وهو بعد متفرد بالاشتغال ومتلبس به لتصاريف الامور وضرب عليه شدائد وكابد من الفقر أهوالاً. وعمل فى الخدمات فكان لا ينتقل من خدمه الا الى أكبر منها وما زال ينتقل من خدمه الى أخرى أرفع منها حتى تقلد الوزاره للمقتفى فتمكن منها مده ومشاهرته فى كل سنه مائة الف دينار. وكان كريماً جواداً سمحاً لا يخرج من السنه وفى خزانته منها درهم واحد. وكان المقتفى والمستنجد يقولان ما وزر لبنى العباس كيحيى بن هبيره فى جميع أحواله. وكانت له فى قمع الدوله السلجوقيه يد قويه وحيل مرضيه. وكان وقوراً حليماً متواضعاً * لما تولى الوزاره دخل الديوان وعليه الحلم فرأى غلاماً

من عليان الديوان وافقاً عن بعد فاستدناه وسلم في وجهه وأمر له بذهب وكسوه ثم قال لااله الا الله أذكر مرة وقد دخلت هذا الديوان وجلست في بعض المجالس فجاء هذا الغلام وجلس بجنبي وقال لي قد جلس هذا مكانك وقد رأيته الساعة واقفاً وأنا خوف ظاهر عليه فاحببت أن أواسيه وأزيل روعه ورأى يوماً في الديوان حسينا فقال لحاجبه أعط هذا الحسيني عشرين دينارا وكرر حسطه وقال له لا يدخل للديوان ولا يريا وجهه فقام الناس وتسوقوا الى معرفة السبب في ذلك فقيل الوزير لذلك فقال فهم كان هذا الحسيني شحنة في قرية فمال شخص من أهل القرية فجاء هذا الشحنة وأخذ جماعة من أهل القرية واحدني معهم مكتوفاً في مرض العرس وبالغ في أذاي وصب من ثم أخذ من كل واحد منهم سماً وطلبه مني وبعث أنا معه فقال لي أعطني سماً فاخلص فقلت والله ما أملك سماً فأعاد علي الضرب والاهانة ثم قال لي اذهب الى لعنة الله ثم أطلقني فانا لا احب أن أرى صورة وجهه

ومن أفكاره اللطيفة في الوزراء كانوا قبله يسمون القاباً من جملتها سند الوزراء فتقدم هو الى الكتاب أن لا يكتبوا هذا اللقب في القابه وقال اني افكرت في هذا فرأيت الله تعالى قد سمى هارون وزيراً حتى قال عز من قائل حكاية عن موسى عليه السلام (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري) وسمعت عن النبي عليه السلام أنه قال (لي وزيران من اهل السماء جبرائيل وميكائيل ووزيران من اهل الارض ابو بكر وعمر) وقال عليه السلام (ان الله تعالى اختار لي أصحابا فجعلهم وزراء وأنصاراً)

وحدث عنه بعض مجالسيه قال كنا يوما عنده فدخل الحاجب فقال يامولانا بالباب رجل سوادي يذكر انه فلان ابن فلان ومعه شملة مكوره

وهو نطلب الحصور بين يديك فعرفه الوزير وقال له أدخله. فال فدخل شيخ طويل من اهل السواد عليه ثياب غليظة من القطن وعمامة فوط ملونة وفي رجله جمجمان فسلم على الوزير . وقال يا سيدي أنا الصعتراني نعى روحه لما علمت أني احي الى بغداد قال لي سلم على الشيخ يحيى بن هبيرة واسوحش له وقد حضرت لك هذا الخبر على سمك فيسمع الوزير وهش به وقال خراها لله حبر وحال تلك الشمله فاذا فيها حبز سعير مشطور بكامخ الثوب فأخذ الوزير منه رغيفا وقال هذ نصيبي من هذه الهدية وفرق الباقي على الصدور الحاضرين وسأل الرجل عن حوائجه وحوائج روحه فقضاها وقال للحاضرين هذ كان جاري في قرى وبيننا كنت في زرعه واعرف منه لامانه

ومن حيله انه كان ببعض بلاد العجم رجل كلما أقيمت الخطبة يوم الجمعة في الجامع يقوم ويذم الخليفة ويدعو للسلطان فاتصل ذلك بالوزير بن هبيرة فأحضر شخصاً من اهل بغداد وسيره ان يسافر الى تلك البلدة واعطاه ستة دنانير ذهبا وقارورة فيها عطر وقال له اذا دخلت تلك البلد وحضرت يوم الجمعة في الجامع ورأيت الرجل الذى يسب الخليفة فانهض اليه وثب على رد السحار وأنكر على كلامه واصبر الى كان عند مسبة الخليفة وقل إي والله فعل الله به وصنع وقل حر بي عن عالي ووطني وأفقرني عمره ثم افعل في الجمعة كذلك وقل له قد حلفت ابى أملأ فك دنانير وضع هذه الدنانير حشو فمه واخرج عنه وبادر الى استعمال هذا العطر على وجهك ولحيتك فانه يحدث في لوحه سمره وفي شعر اللحيه سوادا وسر زينك حتى لا تعرف فمهلك . ففعل الرجل ذلك وكانت الدنانير مسمومة فلما راح ذلك الرجل الى بيته ما زال يتململ حتى مات في يومه . واستعمل الرجل المنفذ الصبغ فأخفى به نفسه

ورجع الى بغداد

ومن جملة انه كان كتب الى ملوك الاطراف ملاطفات صغار في رق حفيف وتسوى في جلد ساق الركابي بعد ان يدخلها فيه ثم يتركه حتى يلتحم فيسيره الى حيث اراد ومن هو جاسه . انه كان يوماً جالساً بالديوان بين يديه الامراء والصدور . الاكابر فسقط من السقف حية كبيرة فوقعت على كتف الوزير ... من الحاضرين ... حجره فمر كل من كان هناك من ارباب الدولة عن مستقره . ومحو ... عن ... ولم يتحرك عن مكانه . لا ... عن ... ما كان . وقع سلمه ... ثم أمر المماليك بقتلها فقتلت بين يديه

وفي الجملة فكان ابن هبيرة من أفاضل الوزراء ... وباحد ... في تدبير الدولة وضبط المملكة اليد الطولى ... في العلوم . المصنفات المنبئة على اهل عصره وله شعار كثيرة منها (طويل)

تعس الفتى يرى بحالة حرصه   ... عن ضعف ... تحصيل

اذا قل مال المرء قل صديقه   وقبح منه كل ما كان ...

وفي آخر أيامه عرض له ... اللعم ... وهو ساجد . ... في سنة ستين وخمس مائة . انتصب نام المقتفى لامر الله ووزر له

ثم ملك بعده ابنه المستنجد بالله أبو المظفر يوسف

بويع عقيب موت أبيه في سنة خمس وخمسين وخمس مائة

كان المستنجد ... عارفاً بالامور لما ولي الخلافة أزال المكوس والمظالم

إلا انه فعل فعلة قبيحة . حل المقاطعات وأعادها الى الخراج . فشق ذلك على العلويين بالكوفة والمشاهد مشقة عظيمة . . . هذا الفعل الى ابن

هبيره واعنوه بالمساهد

وفى أيامه سد ء فتح مصر وصعف دوله الفاطميين بها. وفى أيام ولده المستضيء بكامل فتحها على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب

ومات المستنجد محبوسا فى الحمام حيث أن كان به علة عصب مرضه صعبة كان قد مرض له لأنه حافوه على نفسه . و ذلك فى سنه ست وستين وخمس مائه

شرح حال الوزرة فى أيامه

لما بويع بالخلافه أقر ابن هبيره على وزارته واد فى رفع منزلته وقد مضى من سيرة ابن هبيره ما يغنى عن الاعاده

وزارة ولد محمد بن يحيى بن هبيره امنه عز الدين

كان من الوزراء بعد وفاة أبيه . وكان فاضلا رئيسا عفا بالسياده سامياً وسيم المعالى حسنا بالادب و حذب السوى . وحبس بعد موت ابيه ولم يزل محبوسا حتى مات وقد نقل لابن النسان أبيات له

(خفيف)

كم محب لاجل صبراً جميلا واكم حل ما بها سلسبيلا
ولكم قلب للدى صار للحا ى على الوجد و لأسى سل سبيلا

وزارة شرف الدين ابن جعفر محمد بن أبي الفتح بن البلدى للمستنجد بالله

كان قبل الوزارة ناظراً بواسط . فأبان فى مدة ولايته عليها عن قوة وجلادة و رعاية تامه وحمول دوره . فطلب منزلته عند المستنجد فكوتب عن الخامسة الى واسط بما يقتضى أن يكون وزيره . وكذا الحال فى ذلك [illegible] وكانت ملوك الاطراف

وهو بواسط ثم أصعد الى بغداد وخرج الموكب لتلقيه وفيه جميع أعيان الدولة . وكان عضد الدين أبو الفرج محمد بن رئيس الرؤساء أستاذ الدار بينه وبين ابن البلدي كدر فكره عضد الدين خروجه لتلقيه . وقد كان الخليفة تقدم اليه بالخروج فبذل خمسة آلاف دينار على أن يعفى من خروجه اليه فقال للخليفة ان عضد الدين عدواً أعيته من الخروج فورث في الحال وحمل فلما صار في الحرن تقدم خليفته اليه بالخروج لتلقي الوزير . وقيل له هذه المال حمايته من كونك تكره ما تؤثر وترجع في العقد اب الذي عقده مدة المال فيه وخرج عامر ان الحاجب العربي صحبة الموكب . فمضى الى كابهم الى ... فلسوء هناك . فلما وقعت بين عضد الدين ... على الوزير أراد عضد الدين أن يرحل فساح به الوزير وقال ائتني ترحل برحلت أنا أيضا خدمه . ثم عنقا على ... . وسار بين يديه ووصل الوزير الى محاذاة الباب . وعبر في ... من يدي الخلافة . فسأله بالوزارة وخلعت عليه خلع الوزارة . ثم كتب له بالتفويض الى ... من بلغنا الوزارة فمار أمره على السداد الى أن سرى للمستنجد ... آخرين من علمه عضد الدين أستاذ الدار وأكابر الامر ... وإدخالا الحمام . وهو مريض حتى مات من الحرارة . ثم ... عضد الدين استاذ الدار خرج ولده المستضيء ... وأنه ... أن يكون هو ... ولده ... استاذ الدار . وفلان ... العسكر . وفلان ... . فالتزم المستضيء لهم بذلك وحلف لهم ... خليفة . ثم بويع المستضيء بن ناصر الدين المنعم خاصة وسدعى الوزير ابن البلدي لبيعته . فلما حضر الدار عدل به الى مكان وصب ... فيه ... وأخرج

فرمى على مرتلة ساب المراب . ثم سحب والى فى دخله . وكان حسن الطريقة
مشكور الاخلاق . انقضت أيام المستنجد بالله ووزرائه

. ثم ملك بعده ولده المستضىء ابو محمد الحسن بن المستنجد بالله
ولد فى سنة ست وستين وخمس مائة . لم يكن يسيرته بأس . فى أيامه
وردت البشائر الى بغداد بفتح مصر و نقرض الدولة الفاطمية
ولما جلس على سرير خلافته عزل ابن البلدى وزراءه وتوفى
فى سنة خمس وسبعين وخمس مائة

شرح حال الوزارة فى أيامه

أول وزرائه عضد الدين أبو الفرج محمد بن أبى الفتوح عبد الله بن
رئيس الرؤساء لا ى كان قبل ذلك أستاذ الدار

كان عضد الدين من أفاضل الناس وأعيانهم . وكان أستاذ الدار فى أيام
المستنجد . فلما جرى للمستنجد ما جرى تولى عضد الدين ونهض فى
خروج المستضىء من الحبس ومبايعته وخلافته فاستوزره المستضىء . وبقى
عضد الدين أعباء الوزارة خوضاً مرضياً وفرق فى يوم جلوسه فى دست الوزارة
ذهباً كثيراً وحنطة على المقيمين بالمشاهد والجوامع والمدارس والربط
ولطف بالامور لطفاً لم يكن فى حساب الناس وبيته بيت مشهور بالرئاسة
معروف قديماً بيت الفضل . وكان ابن التعاويذى الشاعر البغدادى شاعرهم
ومنقطعاً اليهم وانفق جل عمره معهم ولهم خاطب بقوله (سريع)
فصبت سطر العمر فى مدحكم ظلماً كم ابكى أهله
وسدت أفسه هجاء البكى مضاع فكم عمرى كله
وله فيهم مدائح كثيرة فمن جملتها

(طويل)

وما زلت في آل الزميل معرّل | من الجور ممدودا لي الامن والخصب
فإن أعترف دنيا عدمت سواهم | فلي حرص الطير تنقصها الحب
وإن عاد لي عطف الوزير محمد | محمد أكسب النائي ولان لي الصعب
وزير إذا أعيا الزمان فرأيه | هناء به يطلى خلائقه الجرب

وما زال أمر عضد الدين يجري على السداد حتى عزله المستضيء وقبض
عليه وسبب عزله كان يوماً جالساً في الدست وبحضرته جماعة من خدم
الخليفة فقال له قد استعفى علك. ثم أطلق دونه ودخل الوزير والجند الى
دوره فنهبوا ما فيها ودخل العوام أيضاً وكسروا الصناديق لأبنوس والعاج
بالدبابيس وأخذ جميع ما كان فيها. فخرج عضد الدين وهو يشاهد ويقول
الاتراك أما تستحيون مني. أما تحلمون عني. ثم ما أكلمه ر دى فلم يسمعه ذلك فلم
يمض الا ساعة واحدة حتى سارت ذرّة بلاقعة. ثم حمل الى الحريم ووكل به
هناك مدة. ثم أعاده المستضيء الى الوزارة وحكمه وبسطه فصعب له الأ ا
وعظم شأنه وكبر خطره وهابه وأحبه الناس. وكان سخيا وهو أيسر من
النفس بمقل به ما اشترى لداره قط سكراً بأقل من الف دينار

حدث عنه بعض مماليكه قال حاج مرة الى الف دينار فأنفذ عنده
أن يقترضها من أولاده أو من سيرهم وكان أنس بي فقال لي يا ولدي قد
احتجت الى الف دينار تجدها عليك بعد أيام فقلت السمع والطاعة يا مولاي
ثم مضيت واحضرت اه خمسة الف دينار وقلت يا مولاي هذه والله
أكسبتها منك فخذ منها ما شئت فأطرق ساعة ثم قال والله لا أحدث . يا
منه واحدة خذها وتصرف. ثم أنشد

(كامل)

والصاحب المسموع نصح أن يرى   ما معًا ما في لدى أسماعه

ولم يزل أمره في الوزارة الناسيه جارياً على السداد حتى كان آخر مدته فطلب من الخليفة الاذن له في الحج فأذن له فتجهز جهراً له بمثله ثم عبر الى جانب الغربيّ من مدينة السلام ليتوجه الى الحلة والكوفة ومنها الى مكة ومن بذنه جميع أرباب الدولة فلقيه رجل سيد محله هناك يعرف بقطيما فقال يا مولانا مظلوم مظلوم وناوله قصته فسأله الوزير عنه فقال ما مظلوميته فقال وصرنه سكين في رقبته ووقف عليه آخر من خلفه فأخرج قصته به في خاصرته ووثب آخر وبيده سكين مسلول فلم يصل اليه وكاثر الناس على الثلاثة فقتلوهم ثم مات الوزير وصلي عليه ودفن في تربته وقيل ان الثلاثة لدن قتلوه كانوا من الباطنية من جبل السماق

وحكى بعض أهل قطيما قال دخلت قبل قتل الوزير ساعة بيتاً لي فيه هناك فرأيت به ثلاثة رجال وقد قدموا واحداً منهم الى المحراب وأتموه ثم صلى الرجلان الآخران خلفه بالسلام ثم قام ودنا آخر وصلى الآخران خلفه حتى صلى كل واحد منهم على الآخر وأنا أراهم وهم لا يروني متعجب مما فعلوا ثم لما قتل الوزير وقتل الثلاثة تأملت وجوههم فاذا هم هم

وزر بعده ظهير الدين أبي بكر منصور بن أبي القاسم نصر بن العطار ثم كان تاجراً في ابتداء أمره ثم تدرج المتصرفين وموقف على المستضيء فاستوزره وكان يصل الوطأة على الرعية وكانت العامة تبغضه فبقي الى أن مات المستضيء وولي الناصر وهو آخر ووزراء المستضيء انقضت أيام المستضيء ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله .

بويع بالخلافة في سنة خمس وسبعين وخمس مائة

كان الناصر من أفاضل الخلفاء واعيانهم بصيراً بالامور مجربا سائساً مهيباً مقداما عارفا شجاعا متأيداً حاد الخاطر والنادرة موقد الذكاء والفطنة لمعاً عن مد فيه من فضله حلم ولا بادرة فهم تفاوض العلماء مفاوضة حسنة ومارس الامور السلطانية ممارسة بصيرة . وكان يرى رأي الامامية . طالت مدته و ... له الملك وأحب ... الى ... حتى كان يمشي في الليل في دروب بغداد ليعرف أخبار الناس ... يدور ... . وكان كل حد من أرباب المناصب والرعايا يخافه ويحاذره حتى كأنه يطلع عليه في داره . وكثرت جواسيسه وأصحاب أخباره عند السلاطين في أطراف البلاد . وله في مثل هذه قصص غريبة . ووصف كتباً ... سمع الحديث النبوي صلوات الله على صاحبه وأسمعه . ... وهو ... في ... حلق ... في الارض وغربها . وروي بالاجازة . وروي له ... وكان نافعة زمانه ورجل عصره . في أيامه ... عمرت ... آل سلجوق بالكلية . وكان للناصر من المآثر والوقوف ما ... والمساجد والربط ما تجاوز حد الكثرة . وكان مع ذلك بخيل . وكان ... وفي آخر أمور المملكة ولي التولية والعزل والمصادرة وحصل الاموال ... ملأ بركة من الذهب ورآها يوماً ... حتى تملأ وتقص شيء يسير فقال نرى أعيش حتى املأها ... ذلك . فقال المستنصر ... هذه البركة فقال نرى ... حتى فيها . كذلك ... مات الناصر في سنة اثنتين وعشرين وستمائة

* سرح حال الوزاره في أيامه *

لما بويع الناصر بالخلافة أقر ابن العطار وزير ابيه على قاعدته أياما يسيرة ثم نكبه وقبض عليه وحبسه في باطن دار الخلافه. ثم أخرج بعد ايام ميتاً فسلم إلى أهله ليجهزه ويدفنه فغسله واخرجه في تابوت على رأس حمال ليدفنه فعبر به بعض الناس فرجموه فرمى الحمال بالتابوت وهرب فأخذه العوام وخرجوه من التابوت وشدوا في رجله حبلا وفي ذكره وسحبوه ووضعوا في يده حسبة والطخوها بالعذرة ونادوا به يا مولانا طهر الدين وقع لنا

ومن عجيب ما وقع في ذلك أن بعض الأتراك عبر حماما وجعل مجرى الماء على دربٍ لبعض الحريرين فأدى ذلك الجار سال مجراه فشكا ذلك الى الوزير فزبره ولم يأخذ بيده وقال له ليس يسكت والا جعلت رأسك في مجراه فقال ان ابن العطار لما سحبه العوام ومسلوه به جاروا به على باب الحمام المذكور فاتفق انه وقع في المجراه فسحبوه فيها خطوات فعجب الناس من ذلك

* (وزاره جلال الدين أبي المظفر عبيد الله)

كان في ابتداء أمره أحد الشهود المعدلين. ثم علت به الاحوال حتى بلغ الوزاره. وأرسله الناصر صحبه عسكر كثيف الى محاربة السلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل السلجوقي فالتقيا. فكانت الهزيمة لعسكر السلطان وانهزم عسكر الخليفه ونهب الوزير وأسر. ومكث مدة في الاسر ثم أطلق فوصل الى بغداد مختفياً ولم يطل مدته بعد ذلك

٤(وزارة معز الدين سعيد بن علي بن حديدة الانصاري)

كان رجلا فاضلا منصوبا موسراً كثير المال روى ابن نصب النصرة

أنا جعفر محمد بن أبي طالب الشاعر أصعد الى بغداد متطلعا لي هذا الوزير من

ناظر البصرة واسنده قصيدة من جملتها

(كامل)

وقائل الاعصار عبر مقاله   لكن سو عم ٭ لاحبار

ميمم ابو أيوب حل محمد   في دره محاوره لمحار

نامه في النسب الصحيح ومن   ذلك الفضل فيلي بذلك حور

ولقد نزلت عليك مثل نوءله   في در حدك والنزيل نحار

فعلام أطلب بالنبي محمد   نعي السنة وقومك لا نصار

قالوا فلما سمعها الوزير رق له وبكى وخلع عليه ووصله وقضى حوائجه

وأضعفه من ناظر البصرة وعزله ومات الوزير المذكور معزولا في سنة ست

عشرة وستمائة

٭ وزارة مؤيد الدين ابي المظفر محمد بن احمد بن القصاب ٭

هو اعجمي الاصل. كان يتوسع لحجرعلي ابن درب النصر بين بغداد

ونشأ هو متسعلا بالعلوم والآداب وبرع في علوم المتصرفين. كالحساب

ومعرفة الكروب. والمساحات والمقاسمات. ثم حضر أسباب الوزارة

وكانت نفسه قوية وهمته عالية. قاد العساكر وفتح الفتوح. وجمع بين

رئاستي السيف والقلم. ومضى الى بلاد خوزستان ومحاها وقرر امورها

وعو عندها. ثم مضى الى بلاد العجم وصحبته العساكر فملك اكثرها. ثم ادركه

اجله فمات هناك

ه و ره السيد نصير لدين ناصر بن مهدي العلوي لري للناصر ٭

هو ا بدر ى المولدو لاصل ر ري المنشأ بعد دي الدين والوفاه

كان من كفاه لرجال وفضلائهم و علمائهم وذوي المره منهم سعمل بالآداب في صباه فحصل منها صرفا صالحا ثم صار بامور لدو وبين فهافها

كان في سد سره سوت عن النصب عر لد ب المرتضى المسمى نصب

بلاد لعجم كلها ٠منه سعاد فو بن ا ثاسه وكان عز لدين النصب من احد

لعاه وعطيا لساد ب فلما قتل النصب سر لدين فبلعه علاء لد ين حو وزرساه

هرب ٠بده لنصب ٠ ب لدين محمد وقصد مديه السلام مستجيرا بالخليفة

ـاصر صحبه باثنه صـه لدين ـ المهدي ٠كان من عقلاء لرجال فاجبه ه

لناصر فرـه باه الا ـد سدنه فصار سسسه به سر فيما سعلوب بملوك

لاصر ف فوجد عـده جه ه بامه باحو ـ سلاصين العجم ومعرفه بامور

٠فو عده وخلاق كل وحد منهم فكان الناصر كلما سسار به في سيء من

دلك محده مصيبا عين الصواب فاستخلصه! نفسه ورسه ولا نصب الطالبين

ثم فوض اليه مور لو ه فتمكن فيها مده تجري "موره على ثم سد د وكان

كريما وصولا على لهمه نصب النص حدثني به كان بوا حالسا في

دست الورر ه ٠في يده قطعه سود كنه ٠ فر ئ الوزير بعض الصدور حاضر بين

وهو يلح بالنصر اليها فقال له محـ ك هده فدننا به موهبه ناها وقام لرجل

محرج فلما مد عن محلس وزير سسدباه سر عه ٠ قال له بريد ن تصحبا

٠ صـدق لما فيا(بحره عر باب) ثم امر محلع عليه ودفع اليه مجب بابـ

وقال له سحر في هذه الباب ٠٠مدحه لا يرى الساعر لاتحمى نعم بده

مسطوره في العجم من جمله مدحها

(بسط)

وزير مشرق ومغرب بصير ملت ودين كه نادر بي عالس با أبد منصور
صر بر كلك بودركسف مسكلات أمور كه ز حو نعمه داود در أد - ربور

وأرسلها الابهرى صحبة بعض التجار مع بعض الفعول . وقال للتاجر
أوصلها الى الوزير وان قدرت أن لا يعلمه من قائلها فافعل . فلما عرضت
القصيدة على الوزير استحسنها وطلب التاجر ودفع اليه الف دينار ذهباً وقال
هذه سلمها الى الابهرى ولا تعلمه ممن هي

وقبض الناصر عليه كارهاً لأمور اقتضت ذلك . وكان القبض عليه
في سنة أربع وستمائة . ونقل الى دار في دار الخلافة فأقام بها تحت الاستظهار
على حالة الاكرام والمراعاة الى أن مات تحت الاستظهار في سنة سبع
عشرة وستمائة

* وزارة مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن القمي للناصر *

هو قمي الاصل والمولد . عربي المنشأ والوفاة . منسوب الى المقداد بن
الاسود الكندي . كان رحمه الله عشيراً أموراً الملك خبيراً بأدوات الرئاسة
عالماً بالعربية . عارفاً باصطلاح الدواوين . خبيراً بالحساب . ريان من فنون
الادب . حافظاً لمحاسن الاشعار . راوياً لطرائف الاخبار . وكان جلداً على
ممارسة الامور الديوانية . ملازماً لها من الغدوة الى العشية . وكان في
ابتداء أمره قد تعلق بخدمة سلاطين العجم . وكان يلوذ ببعض وزراء العجم
ناصهران في حال صباه ولم يبلغ العشرين من عمره . وكان ذلك الوزير قد
ضجر من الكتاب الذين بين يديه ونسبهم الى أنهم يخالفون تقدماته فأنقذهم
عنه واستكتب القمي طمعاً منه انه لمجرد حداثة سنه لا يقدم على مخالفة ما يشير

به . فـكـب الفتى يكتب بين يديه مده . ففي بعض الايام أحضرت بين
يدى الوزير جملة من الثياب النسيج بعضها صحيح وبعضها مقطوع . فأحضر
الفتى بين يديه ليثبت عـددها ويحملها الى الخزانه . وكان الوزير يورد عليه
كذ وكذ ثوباً صحاحاً فيكتب الفتى كذ وكذا ثوباً وما يكتب لفظه صحاحاً
فقال له الوزير لم لا تكتب كما أقول لك . فقال يا مولانا لا حاجـه الى ذكر
الصحاح . فاني اذا وصلت الى ذكر ثوب مقطوع ذكرت بجنبه أنه مقطوع
فتخصص المقطوع بالذكر يدل على أن ما لم يوصف بالقطع صحيح . فقال
الوزير لا بل اكتب كما أقول . فرجعه الفتى . فخرج الوزير لذلك وازعج صوته
والتفت الى الحاضرين . وقال يا غرلب الكتاب الكبار الذين كانوا عندي
لأجل مخالفتهم ولجاجهم فيما أقوله . و سكتت هذا الصبي صبياً مني به لجدايته
سنه لا يكون عنده من التحرز و لمخالفه ما عندهم فاذا هو أشد مخالفة من
ولئك . فخرج بعض خدام السلطان من بين يديه . وكان جالساً فرساً من
مجلس الوزير وسأل عن كثرة الصياح وحرد الوزير . فعرف الخادم صورة
ما جرى بين الوزير والفتى . فدخل وحكى للسلطان ما قيل . فقال له اخرج
وقل للوزير خلي ما اعهده الصبي الكاتب . فنبل الفتى في عيون الناس وعلت
منزلته وأنس الفتى بهذا الخادم وصار الخادم يستشيره ويشكى اليه ويأنس به
فاتفق أن السلطان عين على هذا الخادم وعلى رجل آخر ليتوجها في رساله
الى ديوان الخليفه فالتمس الخادم أن يكون الفتى صحبته فأرسل صحبته فتوجهوا
الى بغداد وحضر الخادم ورفيقه عند الوزير ابن القصاب فشافهوه بالرساله
وسمعوا الجواب . وكان جوابا سيرا مطابقا للرساله . ولكنـه كان نوعا من
المغالطه فقنع الخادم ورفيقه بذلك الجواب . وما تنبهوا على فساده وخرجوا

فرجع الممى ووقف بين يدى الوزير وحادثه ثم قال له يا مولانا الحوت
عبر مطاوق لما نهاه لماسك فقال له الوزير صدقت ولكن دعهم على
عاداتهم ولا تعصهم فى ذلك فقال السمع والطاعة ثم ان فى الصباح
كتب الى الخليفة يقول له انه قد وصل صحبة خادم لسلطان فلان سابقا شى
قد جرى من شبهه كيت وكيت وما لى قدرة بحب ان تصنع وتحسن اليه
وتستخدمه فكتب الخليفة اليه يأمره ان لا يكفه من الوجه معهم فعمل له
حجة وصنع عندهم خوجة وقام الممى بعد ذلك قعد عليه فى كتابه لا سيما
شكر على ذلك مدة ثم توفى الوزير وتمكن فى الدولة تمكنا تمكن
مثله احد من الله فكان وحيد زمانه فى كل شئ حسن كتبه الله والحمد
لله الصدقات

حدثت عنه ملوكه قدر لدن تاتار قال طلب منه من لياتى حلاوة
الساب فعمل فى حال ما يصحون كتبه ثم حضر بين يديه فى ذات ليلة
فقال يا تاتار قدر تجرى هذه حلاوة فى موقره فى يوم القيامة فقلت
يا مولانا وكيف تكون ذلك وهل يمكن هذا قال ثم مضى فى هذه
الساعة فى مسجد موسى وجود عليهما السلام وتصنع هذه لاصحاب قدمه
سام الملوك فانا تجرى فى موقره فى يوم القيامة قال تاتار فقلت السمع
والطاعة ومضيت وكان نصف الليل فى المسجد ومجئت لا بوب وجهت
القوم لا سام ووضعت لاصحاب بين يديهم ورجعت

وما زال الممى على سدد من امره يوم ورد مع زوره للملاح ثم للظاهر
ثم للمستنصر حتى قبض عليه المستنصر وحبسه فى باص دار الخلافة مدة
فرض وخرج مريضا فمات رحمه الله فى سنة سبع وعشرين وستمائة

انقضت أيام الناصر لدين الله ووزرائه

﴿ ثم ملك بعده ولده أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله ﴾

بويع في سنة اثنتين وعشرين وستمائة

لم تطل أيامه ولم يجر فيها ما يسطر سوى احتراق القبه الشريفة بمشهد موسى والجواد عليهما السلام . فشرع الظاهر في عمارتها . فمات ولم تفرغ فتممها المستنصر

وأيضاً فان الظاهر هو الذي عمل هذا الجسر الجديد الموجود الآن ببغداد . ولما فرغ عمل الشعراء فيه المدائح ووصفوا الجسر بها . فمن نظم في ذلك شعراً موفق الدين القسم بن ابي الحديد كاتب الانشاء وهو قوله

(متقارب)

إمام يحرم ذل السؤال	ويعمل بالكرم الواجب
أقام طريقاً على دجله	لذي القصد منه وللذاهب
فعارض جسراً على جانب	بجسر جديد على جانب
كسطرين في كاغد أبيض	أجادهما قلم الكاتب
كمختفي عنبر ضمتا	بياض الترائب من كاعب
كصفين من إبل أصبحا	وقوفا على جدد لاحب

ومات الظاهر في سنة ثلاث وعشرين وستمائة

﴿ شرح حال الوزارة في أيامه ﴾

أقر القمي وزير أبيه على وزارته ولم يستوزر غيره

﴿ ثم ملك بعده ولده أبو جعفر المنصور المستنصر بالله ﴾

بويع بالخلافة في سنة ثلاث وعشرين وستمائة

كان المستنصر شهماً جواداً بارى الريح كرماً وجوداً . وكانت هباته وعطاياه أشهر من أن يدل عليها وأعظم من أن تحصى . ولو قيل انه لم يكن فى خلفاء بنى العباس مثله لصدق القائل . . له الآثار الجليلة منها وهى أعظمها المستنصرية وهى أعظم من أن توصف . وشهرتها تغنى عن وصفها . ومنها خان حربى وقنطرتها وخان سور سابس بأعمال واسط . وخان الحربى وغير ذلك من المساجد والربط ودور الضيافات . وكان المستنصر يقول انى أخاف أن الله لا يثيبنى على ما أهبه وأعطيه لأن الله تعالى يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وأنا والله لا فرق عندى بين التراب والذهب

كانت أيامه طيبة . والدنيا فى زمانه ساكنة . والخيرات دارة والاعمال عامرة . وفى أيامه فتحت إربل . أرسل المستنصر اليها إقبالا الشرابى وصحبته عساكر الجيوش . وذلك عند وفاة صاحبها مظفر الدين بن زين الدين على كوجك . ومات المستنصر فى سنة أربعين وستمائة

* شرح حال الوزارة فى أيامه *

لما بويع بالخلافة أقر القمى وزير أبيه وحده على وزارته سنوات . ثم قبض عليه وجرى له ما نقدم شرحه

* وزارة نصير الدين ابى الازهر أحمد بن محمد بن الناقد *

ثم استوزر المستنصر بعد القمى أبا الازهر أحمد بن الناقد . كان فى ابتداء أمره وكيلا للمستنصر فكتب مدة فى الوكالة . ثم انتقل منها الى أستاذية الدار ثم منها الى الوزارة فنهض بأعبائها نهوضاً حسناً . وقام بضبط المملكة قياما مرضياً . وكان عظيم الامانة قوى السياسة شديد الهيبة على المتصرفين حاسماً لمواد الأطماع والفساد . قيل له هجى بيتين فلما سمعهما استحسنهما وهما

(سمط)

ووربما رهد والناس قد رهدو   فيه فكل عن باب مكمس
تامه ء سلى سهر الصوم حالسه   من المعاصي وفيها لجوع والعطش

وما الى السعاده بخدمه ى حر عمره فى جمله سعادته وهو من
لا نقلاب المحبه ما حدث عنه وهو انه قبل لور ره عمل فى نعض لاعاد
سابوسحا كبه و حب ن بد ب نعض صحابه فأمر ن بحى سعوب
سبوسحه بحب قص وبحاله وبحمل مقرده وعمل سابوسحا كبير كحارى
العاده ووكب ى د ر الخلعه فطلب منه عمل سيء من السابوسح ميذكر ب
عنده سيئا معروفا منه ء فرحا دماله باحصار ا عنده من الب وسح فمضى
الخادم عن عنه معرفه بذلك لحسو تحب القص ومرح لجمع ووضعه فى
لأصاق لتحمله ى د ر الخلعه لجاء الجو ى و الخدم وقالو اعطونا حصتنا
من هذ فأخذو منه مائه سابوسحه وحمل الخادم لاطباق ما فيها لى د ر
الخلعه فلما حمل السنبوسح ء صار بد ر الخلعه و جمع ن النافد ى د ره سأل
عن السابوسح لحسو تحب القطن فقالو لهما عرفنا سيء من دلك وفلان
الخادم جاء ومرح لجمع و حسده ومضى فلم سلك انه هالك وكادت سقط
قو ته حوفا وحجلا فقال ما نخلف ء ه سيء فط قالو ميد د طبع لجو رى
و الخدم منه حذو د مائه سابوسحه فقال حصر وها فأحضر ب وفحص س
بذ نه فوجد السعوب سابوسحه لحسوه تحب القطن قد حصلت أيدى
الجو رى و الخدم فى حمله ما أخذوه لأنفسهم لم سد منها و حده لى د ر
الخلعه ومات نصير لدين فى سنه ستين و رنعين وستمائه فى خلافه المستعصم
معصب تام المستنصر وورثه

ثم هلك بعده ولاه ابو محمد عبد الله المستعصم بالله

بويع له بالخلافة في سنة اربعين وستمائة وهو آخر الخلفاء

كان المستعصم رجلا خيرا متدينا لين الجانب سهل العريكة عفيف اللسان

والفرج حمل كتاب الله تعالى وكتب خطا مليحا وكان سهل الاخلاق وكان

خفيف الوطأة [illegible] كان مستضعف الرأي ضعيف البطش قليل الخبرة

بأمور المملكة مطموعا فيه غير مهيب في النفوس ولا مطلع [illegible] حقائق

الامور وكان زمانه ينقضي اكثره بسماع الاغاني والتفرج على المساخرة وفي

بعض الاوقات يجلس بخزانة الكتب جلوسا ليس فيه [illegible] فائدة وكان اصحابه

مستولين عليه وكلهم جهال من ارذال العوام الا وزيره مؤيد الدين محمد بن

العلقمي فانه كان من اعيان الناس وعقلاء الرجال وكان مكفوف اليد مردود

القول يترقب العزل والقبض صباح مساء

وكانت عادة خلفاء بني العباس ان يسموا اولادهم وقرابتهم وبذلك جرت

سنتهم فهي آخر ايام المستعصم حلى بنو المستعصم بطلب اولاده السلاطين ومع

تحسينهم ذلك الاسم لكنه ابو الدنيا حتى والعامة منه بالكره للناس

تصحيح وما سمعوه بالبلاد لانه لا يحب الكرخ ممن لامر في ذلك الاسم

وقيل انه هو الذي سيأتي بذلك ولانه لم يأمر وهو ابو الفضائل عبد

الرحمن كان سماه جرجي بن بابي السلطان هولاكو ووقع كلامه موضع

الاستحسان في حضرة السلطانية ولانه الاصغر ابو المناقب

حدثني صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الارموي وكان مقدما في

آخر ايام المستعصم معروفا عنده ومن خواصه وكان قد سحب في آخر ايامه

حرمة كتب وعمل النهار مع مالك الكتب وسلم مفاتحها الى عبد المؤمن مصار

عند المؤمن مجلس بباب الخزانة يسمح له ما يريد. وإذا خطر للخليفة الجلوس في حريمه الكتب جاء اليها وعدل عن الخزانة الاولى التي كانت مسلمة الى الشيخ صدر الدين علي بن النيار . قال أبي عبد المؤمن كنت مرة جالساً في حجرة صغيرة وأنا أنسخ وهناك مرتبة برسم الخليفة اذا جاء الى هناك جلس عليها وقد بسطت عليها ملحفة لترد عنها الغبار . فجاء خويدم صغير ونام مرتبساً من المرتبة المذكورة وسحرق في النوم فقلبت حتى تلفف في تلك الملحفة المبسوطة على المرتبة ثم قلبت حتى صارت رجلاه على المسند قال وأنا مشغول بالنسخ فأحسست بوطأ في الدهليز . فنظرت فاذا هو الخليفة . فهو يستدعي بالاشارة ويخفف وطأه فمضيت اليه . فنزعجاً وقبلت الارض . فقال لي هذا خويدم لدي قد نام حتى تلفف في هذه الملحفة وصارت رجلاه على المسند فهجمت عليه حتى يستقظ ويعلم أني قد شاهدته على هذه الحال ينفطر مرارته من الخوف فأيقظه أنت برفق فاني سأخرج الى البستان ثم أعود . قال وخرج الخليفة فدخلت الى خويدم وأيقظته فانتبه ثم أصلحنا المرتبة ثم دخل الخليفة

وحدثني بعض ثقات بغداد قال حدثت أن الشيخ صدر الدين بن النيار شيخ الخليفة قال دخلت مرة الى خزانة الكتب على عادتي وفي كمي مسندايل فيه رقاع كثيرة لجماعة من أرباب الحوائج فطرحت المنديل وفيه الرقاع في موضعي ثم قمت لبعض شأني فلما عدت الى الخزانة بعد ساعة طلبت الرقاع من المنديل حتى أتأملها واقدم منها المهم فرأيتها جميعها وعليها توقيع الخليفة بالاجابة الى جميع ما فيها فعلمت ان الخليفة قد جاء الى الخزانة عند قيامي فرأى المنديل وفيه الرقاع فتصفحها ووقع على جميعها . والمستعصم هو آخر خلفاء الدولة

العباسية ببغداد ، ولم يحرق أمام المستعصم شيء لو بيوت بيت الكرخ ونحو ذلك

وفي آخر أيامه قويت الأراجيف بوصول عسكر المغول صحبة السلطان هولاكو فلم يحرك ذلك منه عزماً ولا نبه منه همة ولا أحدث عنده هماً وكان كلما سمع عن السلطان من الاحتياط والاستعداد شيء ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والإهمال ولم يكن يتصور حقيقة الحال في ذلك ولا يعرف هذه الدولة يسر الله إحسانها وأعلى شأنها حق المعرفة . وكان وزيره مؤيد الدين بن العلقمي يعرف حقيقة الحال في ذلك ويكاتبه بالتحذير والتنبيه ويشير عليه بالتيقظ والاحتياط والاستعداد وهو لا يزداد إلا غفولاً . وكان خواصه يوهمونه أنه ليس في هذا كبير خطر ولا هناك محذور وأن الوزير إنما يعظم هذا ليتقوى سوقه ولتبرز إليه الأموال ليجند بها العساكر فيقتطع منها لنفسه

وما زالت غفلته تنمي ويقظته تنقص إلى أن حرق صاعقة حتى وصل العسكر السلطاني إلى همدان وأقام بها مدة ثم تواترت رسل السلطان إلى الديوان المستعصمي فوقع التعيين من ديوان الخليفة على ولد أستاذ الدار وهو شرف الدين عبد الله بن الجوزي فبعث رسولاً إلى حضرة الدركاه السلطانية بهمدان فلما وصل وسمع جوابه علم أنه جواب مغالطة ومدافعة فحينئذ وقع الشروع في قصد بغداد وبث العساكر إليها فتوجه عسكر كثيف من المغول والمقدم عليهم باجو إلى تكريت ليعبروا من هناك إلى الجانب الغربي ويقصدون بغداد من غربيها ويقصدها العسكر السلطاني من شرقيها . فلما عبر عسكر باجو من تكريت وانحدر إلى أعمال بغداد اجفل الناس من دجيل والإسحاقي ونهر ملك ونهر عيسى . ودخلوا إلى المدينة بنسائهم وأولادهم حتى كان الرجل

أو المرة هدف مسه في الماء . وكان الملاح د عمر جدا في سمسه من جاب
ى حاب بأحد حربه سو ر من دهب أو طر را من رركس أو عدده من
لدمامر فلما وصل العسكر السلطاني لى دحل وهو يرند على ىلاىس الف
فارس حرج اليه عسكر الحلفه صحه مقدم حيوس محاهد لدس سلك
لا و بدر . كان عسكر في بايه القله فالمقو باجاب العرى من عدد وفر
من البلا فكانت القلعة في أول لامر عسكر الحلفه ثم كانت الكرة للعسكر
السلطاني فأباده قتلا وأسرا وقعا بهم على دلك بر فحود ى صول با ل
فكه ب وحوى في صرفى لمهرمين ثم سح منهم لا من رمى نفسه في
الماء أو من دحل الى به ومصى على وجهه ى السلامه فحالا وبد في حمه
من عسكره . ووصل ى عدد . ساوىحوحى دحل البلا من جانبه العرى
... عسا كره محادى لباح وحاسب عسا كره حلال لا ر وأقام محادى
الدح باه

و حاب عسكر السلطان فاه ... حمس ع محرم من سنه سب
وحمسين . سلابه با ب د ... في عدد على درب عمو حسب ...
البلا فا ىح الناس من دلك وسعده ى باب لسصوحه لماير سموون
فانكسر ... من عساكر السلطان وحوا ... سده وكر ه ووقد صار
وحه لا س . جاب عدد من ح م ح ... سو ى سعيان ... سباب
حصار وسمع عسكر حا ى في المدينه ... ى يوم باسع عسر ى
محرم ثم سمعر باس لا ور ب لهم ى د هره على سور عند دمن برح
سمى برح العجمي من ... ه باب من ه ب عند د سال له باب كلودى
. كان هذا البرح فص ... البور وهجم العسكر السلطاني هجوما

ودحولا . تجرى من الفضل الدر ع . والهب العظيم . والمسـال اللمع ما تعظم سماعه حمله فما الظن بتفاصيله . وكان ما كان مما لست أذكره . مطرضاً ولا سائل عن خبر

وأمر السلطان بخروج الخلسه وولده وسائر اله فخرجو فحصر الخلسه بين يدى لدركاه . فقال له عوب ووبح ما فعله سـه الفجر والعرص والمعول الله . ثم أوصلها الى الاسا وولد ه الاكبر و الاوسط . وأما ـ به فأنه ...ثم سلمه الى المستعصم في ربع ...

[illegible]

لما نهب الخلافه ... وهو ... الدين محمد بن الامد على ... الى أن توفى . فلما توفى ... مؤيد الدين محمد بن العلقمي

وزره مؤيد الدين أبى طالب محمد بن أحمد بن العلقمي

هو أسدى ... وقيل لجده العلقمي لانه حفر النهر المسمى بالعلقمي ... وهو الذى برز لامر ... السلطان فى حفره ... وسمى ... القارىء . سمع ... والادب ... وكتب خطاً مليحاً . ويرسل ترسلا مع حسناً وضبط ضبطاً صحيحاً . وكان رجلا فاضلا كاملا لبيباً كريماً وقوراً محبا للرئاسه كثير التجمل رئيسا متمسكا بقوانين الرئاسه خبيراً بادوات السياسه لبيق الاعطاف بالات الوزاره . وكان يحب أهل الادب ويقرب أهل العلم اقتنى كتبا كثيره نفيسه

حدثنى ولده شرف الدين أبو القسم على رحمه الله . قال اشتملت خزانته والدى على عشره الاف مجلد من نفائس الكتب . وصنف الناس له الكتب فممن صنف له الصغاني اللغوى . صنف له العباب . وهو كتاب عظيم كبير فى اللغه

العرب . ووصف له عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد كتاب شرح نهج البلاغة يشتمل على عشرين مجلداً فأتاهما وأحسن جائزتهما وكان ممدحاً مدحه الشعراء . وانتجعه الفضلاء . فمن مدحه كمال الدين بن البوقي قصيدة من جملتها (سريع)

مؤيد الدين أبو طالب　　محمد بن العلقمي الوزير

وهذا بيت حسن جمع فيه بين لقبه وكنيته واسمه واسم أبيه وصنعته

وكان مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية متنزهاً مترفعاً

قيل إن بدر الدين صاحب الموصل أهدى إليه هدية تشتمل على كتب وثياب ولطائف قيمتها عشرة آلاف دينار . فلما وصلت إلى الوزير حملها إلى خدمة الخليفة . وقال إن صاحب الموصل قد أهدى لي هذا واستحييت منه أن أردّه إليه . وقد حملته وأنا أسأل قبوله فقبل ثم إنه أهدى إلى بدر الدين عوض هديته شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار . والتمس منه أن لا يهدي إليه شيئاً بعد ذلك

وكان خواص الخليفة جميعهم يكرهونه ويحسدونه . وكان الخليفة يعتقد فيه ويحبه . وكثروا عليه عنده فكفّ يده عن أكثر الأمور . ونسبه الناس إلى أنه خامر . وليس ذلك بصحيح . ومن أقوى الأدلة على عدم مخامرته سلامته في هذه الدولة فإن السلطان هولاكو لما فتح بغداد وقتل الخليفة سلم البلد إلى الوزير وأحسن إليه وحكّمه . فلو كان قد خامر على الخليفة لما وقع الوثوق إليه . . . . . .

. حدثني كمال الدين أحمد بن الضحاك وهو ابن أخت الوزير مؤيد الدين

ابن العلقمي قال لما نزل السلطان هولاكو على بغداذ أرسل يطلب أن يخرج الوزير اليه . قال فبعث الخليفة فطلب الوزير فحضر عنده وأنا معه . فقال له الخليفة قد أنفذ السلطان يطلبك . وينبغي أنت تخرج اليه فخرج الوزير من ذلك . وقال يا مولانا اذا خرجت فمن يدبر البلد ومن يتولى المهام . فقال له الخليفة لا بد من أن تخرج . قال فقال السمع والطاعة . ثم مضى الى داره وتهيأ للخروج ثم خرج . فلما حضر بين يدي السلطان وسمع كلامه وقع بموقع الاستحسان . وكان الذي تولى تربيته في الحضرة السلطانية الوزير السعيد نصير الدين محمد الطوسي قدّس الله روحه . فلما فتحت بغداذ سلمت اليه والى عليّ بهادر الشحنة فبكت الوزير شهوراً . ثم مرض ومات رحمه الله في جمادى الاولى سنة ست وخمسين وستمائة

انقضت دولة بني العباس ووزرائهم . وبذلك انقضى الكتاب والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلامه

فرغ من تأليفه واستنساخه مؤلفه في مدة أولها جمادى الآخرة من سنة إحدى وسبع مائة وآخرها خامس شوال من السنة المذكورة بالموصل الحدباء وهذا خط يده تجاوز الله عنه

يقول مصحح مطبعة الموسوعات البهية . الفقير محمد مكي أعانه رب البرية

حمداً لمن خلق الخلق وأنعم عليهم بخيره . ويسر لهم بقدرته وجعل سيرهم
عبرة . سبحانه دلت على ربوبيته آلاؤه . وشهدت بوحدانيته أرضه وسماؤه .
وصلاة وسلاماً على نبي الأنبياء المطهرة خصوصاً سيدهم الأكمل . وعلى آلهم
وصحبهم الذين شهد لهم التاريخ بالقدر الأفخم . والفضل الأجزل

هذا وإن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً . وأسمى المعارف فخراً
ومن أحسن ما ألف فيه كتاب (الفخري) كتاب تشهد سلاسة عباراته
وسهولة معانيه . بوفور علم مؤلفه . وقدرته في صناعة الكتابة . وتقرره
مبادئه على كل من يريد أن يتحلى بفضل التاريخ وخطابه . وكان الفراغ
من طبعه بعد التشكيل الجميل على نفقة شركة طبع الكتب العربية في ٢
رمضان المعظم سنة ١٣١٧ ألف وثلثمائة وسبع عشرة من الهجرة النبوية
وفق الله هذه الشركة لأمثال هذه الأعمال الشريفة التي تدل على حسن
عواطفها وحبها تقدم أبناء بلادها . . وإنها حق على خدمتها للأمة بطبع هذا
الكتاب خدمة جليلة تستحق عليها جزيل الثناء (وكان) طبعه بمطبعة
الموسوعات البهية الكائن مركزها في مصر بباب الشعرية وهي مطبعة جليلة
لطبع . مزيدة في وضع . ولعمري غنية عن المدح . حرسها الله تعالى
وكفلها برعايته





